

العيد الماسي لمجمع اللغة العربية

بالقاهرة

١٩٣٢م - ٢٠٠٧م

إشراف

الأستاذ الدكتور محمود حافظ
رئيس المجمع

الأستاذ فاروق شوشة
الأمين العام للمجمع

القاهرة

(١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م)

قام بالإعداد والمراجعة

سميرة صادق شعلان

المدير العام لإدارة التحرير والشؤون الثقافية

جمال عبد الحي أحمد

مدير إدارة التحرير والشؤون الثقافية

خالد محمد مصطفى

مدير إدارة التحرير والشؤون الثقافية

قام بالتنسيق والإخراج على الحاسب الآلي بالمجمع

ابتسام إمام إبراهيم

عيشة أحمد حسين

القاهرة

الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهارس

الموضوع	الصفحة
تصدير	
للأستاذ الدكتور محمود حافظ **رئيس المجمع**	ح
تقديم	
للأستاذ فاروق شوشة **الأمين العام للمجمع**	م
اليوم الأول– الجلسة الافتتاحية:	١–٥
أولاً: كلمة الافتتاح للأستاذ الدكتور محمود حافظ رئيس المجمع	
ثانيًا: كلمة الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي	٧–١٣
ثالثًا: كلمة الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد	١٥–١٦
رابعًا: كلمة الأستاذ الدكتور هاني هلال وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي	١٧–٢٠
خامسًا: كلمة الأستاذ محمد الخمليشي	٢١–٢٤
الجلسة الثانية:	
"مجمع اللغة العربية في خمسة وسبعين عامًا" **محاضرة** للأستاذ الدكتور كمال بشر	٢٥–٤٥
تعقيبات على المحاضرة	٤٧–٦١
اليوم الثاني– الجلسة الأولى:	
"اللغة العربية في مواجهة تحديات العصر" **(العلاقة بالعولمة)** **محاضرة** للأستاذ الدكتور فيديريكو كوريينتي	٦٣–٨١
تعقيبات على المحاضرة	٨٣–١٠٢

الجلسة الثانية:

الجلسة الثالثة:

اليوم الثالث- الجلسة الأولى:



تصدير

للأستاذ الدكتور محمود حافظ

رئيس مجمع اللغة العربية



بسم الله الرحمن الرحيم

بين يومي ١٧و ١٩ من شهر مارس عام ٢٠٠٧م عاش مجمعنا أيامًا تاريخية مشهودة في مناسبة الاحتفال بعيده الماسي، ومرور خمسة وسبعين عامًا على إنشائه. كان الاحتفال في مقر جامعة الدول العربية، وبرعاية الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية الذي أناب عنه الأستاذ الدكتور هاني هلال وزير التعليم العالي والبحث العلمي في حفل الافتتاح، وبمشاركة أعضاء المجمع مصريين وعربًا ومستعربين، بالإضافة إلى الأعضاء المراسلين، ونخبة كبيرة من ضيوف المجمع من الأساتذة والعلماء والكُتَّاب والإعلاميين – في هذه المناسبة الحافلة، التي ما تزال حديث الناس حتى اليوم، وما تزال أصداؤها تتردد، بعد أن أصبح المجمع وإنجازاته عبر ثلاثة أرباع القرن، وقضية اللغة العربية – التي هي الشغل الشاغل له – على كل لسان. وامتلأت أجهزة الإعلام وقنواته من صحافة وإذاعة وتليفزيون بمادة خصبة، تتناول مسيرة المجمع منذ إنشائه، ومسيرته الحافلة على مدار تاريخه الطويل، ورجالاته من أعلام الفكر والعلم واللغة والأدب والثقافة، والقضايا التي انشغل بها وعكف عليها، والإصدارات التي نشرها وفي مقدمتها المعاجم اللغوية والعلمية، وكتب التراث المحققة، ومطبوعاته التي تشتمل على قراراته وأبحاثه وتوصياته.

ولقد امتلأت أيام الاحتفال الثلاثة، بعمل علمي جليل، تمثل في عدد كبير من المحاضرات والأبحاث، والمداخلات والتعقيبات التي شارك بها الجميع، عرضًا وتقييمًا لجهود المجمع الدائبة، وكشفًا عن التحديات التي تواجه مسيرته، ورسمًا وتوضيحًا لخطواته القادمة، في مرحلة ما بعد العيد

الماسي، وهي مرحلة حافلة بالأعباء الكبرى والتحديات الجسام، من خـــلال الرؤية التي عبر عنها البيان الختامي للمجمع، الذي يؤكد حـــرص المجمـــع على أن يكون له دور فاعل ومؤثر في كل مـــا يتـــصل بحياتنـــا اللغويـــة، والتخطيط لمستقبل اللغة العربية باعتباره يمثل مرجعية لغوية.

من هنا كان حرصنا على إصدار هذا الكتاب الذي يعد سجلاً تاريخيًّا دقيقًا وأمينًا لكل ما حفلت به أيام العيد الماسي من أبحاث ومناقشات، ومرجعًا تاريخيًّا، نستروح من خلال صفحاته نسائم احتفالنا بالعيد الماسي للمجمع.

والله الموفق لما فيه خير المجمع، وخير اللغة العربية، وخيـــر هـــذا الوطن الذي نحيا على أرضه ونستظل بسمائه.

تقديم

للأستاذ فاروق شوشة

الأمين العام للمجمع



لعل أجمل ما جاء به احتفالنا بالعيد الماسي للمجمع، أنه كان وقفة صادقة وأمينة مع النفس، نتذاكر فيها ما فات، وننظر من خلالها إلى الواقع الممتلئ بالتحديات، ونتطلع إلى غد قادم، يدعونا ويحفزنا إلى أن نكون على قدْر ما يدخره لنا من أعباء ومسؤوليات.

من هنا، فقد كان هذا المشهد العلمي الجليل، في كل ما حفل به من محاضرات وأبحاث، ومداخلات وتعقيبات، تساؤلا مستمرًّا عن دور المجمع في قضايانا اللغوية، وتأثيره – الذي ينبغي أن يكون له – في المسار اللغوي: رسمًا وتخطيطًا وتقييمًا ومتابعة، وعن المرجعية التي ينبغي أن تكون للمجمع بحيث يتحقق له بها الدور والفاعلية، وعن ضرورة تعديل بعض مواد قانونه، حتى يستطيع المجمع القيام بدوره المأمول، وأداء مسؤولياته على الوجه المنشود.

كما جاءت المشاركة الحميمة والمسؤولة في طرح العديد من القضايا التي تتصل بواقع لغتنا العربية، والتحديات التي تواجهها في الداخل والخارج، واستشراف المشهد المستقبلي الذي نحن مقبلون عليه – جاء ذلك كله تجسيدًا وتوجيهًا لأهم ما ينبغي أن يركز عليه المجمعيون الآن. وفي مقدمته تحديات العولمة ومصير اللغة العربية ومستقبلها بين سائر لغات العالم، في ظل عالم متغير، والوضع الراهن لتعلم اللغة العربية وتعليمها في الجامعات الأوربية، والتأثير الذي تمارسه اللغة العربية والثقافة العربية في الثقافة الإنسانية المعاصرة، ودور هذه اللغة في بناء حضارة إنسانية جديدة، بالإضافة إلى قضايا الترجمة في شمولها وفي علاقتها بالمصطلح العلمي، وفي جانب شديد الأهمية منها وهو المتصل بترجمة معاني القرآن الكريم –

من خلال تجربتين في الترجمة إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية. وهي قضايا من شأنها أن تكون بمثابة خطة ودليل عمل للمجمع على مدار مؤتمراته القادمة ودوراته المتعاقبة.

ولقد كانت احتفالية العيد الماسي - علميًّا واجتماعيًّا وإعلاميًّا - فرصة سانحة لإعادة التذكير للمجمع، والتنويه برسالته، والدعوة إلى الالتفاف من حوله ومؤازرته، والاهتمام بتفعيل دوره الغائب الذي نص عليه مرسوم إنشائه، والتعامل معه من منطلق أنه يمثل مرجعية لغوية لها وزنها وقدرها وكلمتها. كما كانت دعوة إلى تعظيم جهد مجمعنا في إطار تكامله مع الجهد المجمعي العربي المشترك - المتمثل في اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية - وفي جهود ذخيرة الأمة من العلماء والمفكرين والمبدعين والباحثين.

والله الموفق.

اليوم الأول

(الجلسة الافتتاحية)

١- كلمة الافتتاح

للأستاذ الدكتور محمود حافظ رئيس المجمع

٢- كلمة الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي

الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي

٣- كلمة الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد

عضو المجمع من الأردن

نيابة عن الأعضاء العرب من غير المصريين

٤- كلمة الأستاذ الدكتور هاني هلال

وزير التعليم العالي والبحث العلمي

٥- كلمة الأستاذ محمد الخمليشي

الأمين العام المساعد، ورئيس قطاع الإعلام

بجامعة الدول العربية



أولاً: كلمة الافتتاح
للأستاذ الدكتور محمود حافظ رئيس المجمع
ورئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

معالي الأستاذ الدكتور هاني هلال وزير التعليم العالي والبحث العلمي
معالي السيد محمد الخمليشي الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية
سادتي العلماء!

بدايةً يشرفني أن أتوجه إلى مقام فخامة السيد رئيس الجمهورية الرئيس **محمد حسني مبارك** بأبلغ آيات الشكر والامتنان والعرفان على تفضله بوضع هذه الاحتفالية الكبرى تحت رعايته السامية، من منطلق تقديرهِ العميق للعلم والعلماء سدنة اللغة العربية وحماتها.

سيداتي سادتي:

أحييكم أطيب تحية وأرحب بكم في هذه المناسبة التاريخية وهذا اليوم المشهود الذي نبدأ فيه احتفالنا بالعيد الماسي لمجمع اللغة العربية، والذي يشهده علماؤنا الأجلاء رؤساء وأعضاء المجامع والهيئات اللغوية في الوطن العربي، وأعلام اللغة والأدب وقادة الفكر والثقافة والإعلام.

إن مجمع اللغة العربية الذي يحتفل بمرور خمسة وسبعين عامًا على إنشائه ظل طوال هذه السنين يعلي من شأن العربية التي هي وعاء الفكر، وأداة التواصل، والحافظة لثقافتنا وتراثنا وحضارتنا، وكانت لغة العلم الأولى في العالم أجمع طوال عدة قرون (من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر الميلادي)، وقد سبقت في عالميتها اللغات الأوربية الكبرى.

وكان إنشاءُ المجمع عام ١٩٣٢م فاتحة خير للغة العربية، وتحقق به أمل منشود بعد طول معاناة إبَّان احتلالٍ فرض لغته الأجنبية على البلاد.

ووسط هذا الجو القاتم، انطلقت حركات مباركة لإنشاء مجمع لغوي قاد الأولى منها الشيخ محمد عبده عام ١٨٩٢م، ثم تبعه حفني ناصف عام ١٩٠٨م، ثم أحمد لطفي السيد عام ١٩١٦م. ثم انفرط عقدها جميعًا بعد أن قامت ببعض الإنجازات اللغوية.

إلى أن صدر قرار الدولة بإنشاء مجمع اللغة العربية عام ١٩٣٢م، شمل في عضويته كوكبة من جيل الصفوة والرواد والعمالقة، منهم كرد علي، والكرْمَلي، والمعلوف، والشيخ محمد الخضر حسين، ومنصور فهمي، وعلي الجارم، ومن المستعربين هاميلتون جب (إنجلترا)، ولويس ماسينيون (فرنسا)، وأوجست فيشر (ألمانيا).

وانطلق المجمع في رسالته اللغوية والعلمية ينمو ويتطور، ويُنشئ المعاجم، ويصوغ المصطلحات، ويعقد المؤتمرات التي زخرت بأكثر من ألف من البحوث والدراسات اللغوية والأدبية والتي أخذت طريقها إلى مجلة مجمع اللغة العربية، وذلك بالإضافة إلى كمٍّ هائل من الإصدارات والتحقيقات اللغوية والعلمية؛ كما أولى عنايته البالغة بالحفاظ على سلامة اللغة العربية، وجعلها ملائمة لمطالب الحياة، ووافية بمطالب العلوم والفنون، ومسايرة للتطور العلمي والتكنولوجي.

كما أخذ المجمع يضيف إلى عضويته عربًا ومستعربين، عاملين ومراسلين، من نحو أربعين دولة من المشرق والمغرب.

وغدا بذلك المجمع – منذ نشأته – عربيًّا عالميًّا بكل المقاييس.



وهكذا يمضي المجمع في تأدية رسالته ويعلي من شـأن العربيـة، ويذود عنها ويدفع عنها غائلة المتربصين بها، كما يحمل مشعل الحـضارة والثقافة والتنوير.

وإذا كانت اللغة العربية تتعرض في السنوات الأخيرة لهجمـة مـن أعدائها مما يتطلب منا وقفة صارمة للتصدي لهذا العدوان، فإننا على يقـين أن اللغة العربية ــ وهي لغة القرآن الكريم والذكر الحكيم ــ ستظل باقية إلى أبد الآبدين وإلى يوم يبعثون.

وقبل أن أختم كلمتي يطيب لي أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى معـالي السيد عمرو موسى، الأمين العام للجامعة العربية لاستضافته هذه الاحتفاليـة في بيت العرب والعروبة.

كما أتوجه لكم بالشكر جميعًا،،

وعلى الله قصد السبيل،

والسلام عليكم ورحمة الله،،،



ثانيًا: كلمة الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي
الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي
وعضو المجمع المراسل من تركيا

بسم الله الرحمن الرحيم

إنه لشرفٌ عظيمٌ أن أقفَ اليومَ لأخاطبكم في المحفلِ الكبير لمجمــع اللغة العربية وبحضور هذا الجمعِ الحاشد بأعلام اللغــة والعلــوم والفنــون والآداب، من البُصراءِ بمذاهب الكلام، وعلوم اللسان وأئمة البيــان، حيــث نستعدُّ للحديث عن أمرٍ جليلٍ، ذي صلةٍ بلغةٍ هي فريــدةُ زمانهـــا، ووحيــدةُ أقرانها. لغةٌ شرّفها اللهُ وأسماها، واختصَّها لتتنزّلَ بها محكمُ آياتِـــه، وأوْدَعَ عبرَ كلماتِها آخرَ رسالاته.

نحن نحتفي في هذا اليوم بذكرى مرور خمسةٍ وسبعين عامًا علـــى تأسيسِ هذا المجمعِ العتيد، ونرى بعد مرور هذه السنين الطوال أننا ما زلنـــا أحوجَ ما نكون إليه. وحَرِيّ بنا أن نستعيد في هـــذا المقـــامِ ذكـــرى الآبـــاء المؤسسين لهذا الصرح اللغوي الثقافي الكبير، من رجـــال العلـــم والدولـــة الخالدين في وجدان أمتهم، ممّن سَمَتْ بهم أفكارُهم نحـــو عظـــيمِ الأفعـــالِ، وصالحِ الأعمالِ، وممّن كان لهم في خدمةِ لغةِ الضاد، الذّرع الواسع، والفكر السديد.

وأستميحكم بأن أتدارك قبل أن أستطرد فأقول:

طُلب إليّ أن أتكلم باسم المستعربين الأجانبِ، وقد نزلتُ عند رغبـــة أساتذةٍ كرامٍ أعتزُّ وأتشرف بالانتساب إلى نسبهم الثقافي، وامتثلتُ لطلـــبهم، فالأمر فوق الأدب، ولكنني ـــ مع ذلك ـــ أستدركُ بأن أقولَ بـــأنني عربـــيٌّ

اللسانِ، عربيُّ الجنَانِ، بل أزيدُ وأضيفُ: كيف لي أن أكونَ أجنبيًا في هــذه الديار الكريمةِ العزيزةِ، مصر، التي شهدتْ مولــدي، وطفــولتي، وحيــث ترعرعت حدثًا في ربوعها، ونهلتُ من شرعة علومها ومعارفها! مصر التي أتغنى دائمًا بذكرها في قول الشاعر:

"بلادٌ بها نيطت عليّ تمائمي   وأول أرضٍ مَسَّ جلدي ترابها"

أيها الحضور الكرام،

نقف اليومَ وقفةَ إكبار وإجلالٍ أمامَ ذكرى الآباء الأوائل، من رجــال الدولة ورجال العلم والفكر في مصر، خلال العقــود الأولـــى مـــن القـــرن العشرين، ممن تنادوا لإنشاء هذا المجمع وأمثاله من المؤسسات العلمية فـــي مصر، وبادروا لإقامة صرحه، وتحديد مهامّه، وتوجيه أنشطته وأعماله، بما نهض باللغة العربية، وأسمى شأنَهَا، ورفع درجتَهَا. وقد أسدوا بهذه الريـــادة الفكرية لمصر بل ولكل العربِ والمسلمينَ فــضلاً لا ينقــضي شــكرُه ولا يُستوفَى ثناؤُه، حيث صارت مصر محَجَّ من يتطلعُ إلـــى العلـــوم والثقافـــة والفنون في كلّ بلاد العرب والإسلام في العقود الأولى من القرن العشرين، بما شهد به العالمُ أجمع.

فالحمد لله أن سخّر لهذا المجمع رجالاً يُستصبحُ بـــرأيهم، ويُهتـــدى بهديهم، أخلصوا فيما نذروا أنفسَهُم له، فكان سعيهم مشكورًا، وأجرُهم عنـــد الله مذخورا.

وإذ نجتمع اليوم، وقد تعاقبت على بناء هذا المجمع الكبير كل هـــذه السنين، فإننا نجد أنفسنا في مسيس الحاجة إلى تدارك ما تعرضتْ له اللغـــةُ

العربيةُ في الآونة الأخيرة من ضعف، بهمّةٍ كهمَمِ أولئك الروّاد الذين طال تلفّتنا إليهم، وطال استرجاعنا لنتائج قرائح عقولهم ومنجزاتهم.

فلقد تكالبت على اللغة العربية مخالبُ خصومها، ونال منها عجزُ أبنائها، حين روّج للغات أجنبية، وفُتح لها مغاليق كل بابٍ، ورُميت اللغة العربية بالقصور والعجز، وسُدّتْ في وجهها السُبُل والأسباب.

وأود أن أؤكد هنا أنّ الحرصَ على اللغة، والارتقاءَ بهَا ليس من باب الترف الفكري، أو زخرف القولِ، وإنما هو في الحقيقة أمرٌ تسري جذوره في عمق الذات والهوية. فاللغةُ العربيةُ هي لغةُ الأمةِ الإسلاميةِ قاطبةً؛ وعنوانُ هويتها ورمزُ تواصلِها، ووعاءُ ثقافتِها وتفكيرها، ومحورُ دينِها.

وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن تكون اللغةُ العربيةُ الواسطةَ التي بُلِّغتْ بها رسالتُه وكلمتُه، فثبتت على عهدها وميثاقها، حتى أُبلغتْ للعالم كله كلمةُ الحقّ الذي لا يَطُور به باطل، والحجّة التي لا تَتَخَوّنُها شُبهة.

حضرات السيدات والسادة،

ما دمتُ أتحدثُ باسم المستعربين، دعوني أنقلُ لكم رأي المستشرق البريطاني المعروف ألفرِد غيوم، عن اللغة العربية، إذ يقول في مقدمه "تراث الإسلام":

"كان من حسن طالع الدين الإسلامي أن جاء في وقتٍ كانت فيه اللغةُ العربيةُ في ذروةِ الأوج، فهي لغةٌ مؤهلةٌ للتعبير الدقيقِ وبإيجازٍ مذهلٍ لا تضاهيها في ذلك أيةُ لغةٍ من اللغات الأوربية أو الهندية الأوربية وما ذلك إلا بفضل المرونة الفائقة التي تتميز بها مفرداتها من أسماءٍ وأفعال. فبالإضافة إلى ثراء مفرداتها، فإن الجذر الثلاثي في أفعال اللغة العربية تتشعب

اشتقاقاته إلى آلاف الصيغ، ويعجبُ المرءُ أيما عجبٍ بهذه القابلية التي تخلق في اللغة سحرًا يتجلّى في مرونةٍ طبيعيةٍ فريدةٍ. ويَضْرِبُ على ذلـك مـثلاً واحدًا من آلاف الأمثلة باشتقاقات فعل "دار يدور" التي يمكن أن تـستخلص منها عشرات المفردات، التي تتميز كل منها عن الأخرى بمؤدَّاها ومفهومها، مثل: دار يدور، دورانًا، أدار، استدار، تدوّر، دورة، دُوَار بمعنى (الصداع)، مدار (في حركة النجوم)، دَوْر (جزء من عمل أو في مسرح، أو طابق فـي عمارة)، مدير، إدارة، دائرة، الدوائر (المشاكل والمصاعب)، مداورة (عـدم الصدق والاستقامة) دار، ديار، دارة، دوريّة (للحرس وما شابه)، مديريّـة، مدارة (قربة الماء)، بائع دوّار، تدوير، الدُوري (الأليف الداجن) إلخ..."

ولا أجد في هذا السياق قولاً أبلغَ مما قال شاعر النيل حافظ إبراهيم في وصف قدرة اللغة العربية على التعامل مع مقتضيات العصر، إذ جعلها تقول عن نفسها:

رمَوْني بعقم فــي الــشباب وليتنــي	عَقُمتُ، فلم أَجْزَعْ لقــول عــداتي
وسِــعْتُ كتــابَ الله لفظًــا وغايــةً	وما ضِقْتُ عن آيٍ بــه وعظــاتِ
فكيف أضيقُ اليومَ عن وصفِ آلــةٍ	وتنــسيقِ أســماءٍ لمخترعــاتِ
أنا البحرُ في أحــشائِهِ الــدُرُّ كــامنٌ	فهل ساءلوا الغوّاصَ عن صَدَفَاتِي

أيها الحفل الكريم،

لاشك أن حالَ الأمة العربية جزءٌ من الحالة العامة التي تحياها الأمةُ الإسلاميةُ، وتعاني فيها ما تعاني من ضغوط شديدة على كافــة المــستويات والأصعدة. فقد كان العرب والمسلمون سادة العالم عندما رفعوا قيمة العلـم

وعرفوا له قدره، أما اليوم فقد تراجعوا أمام تقدم الآخرين، ويُخشى من أن يُصبحوا فريسةً لاستلاب فكري وتبعية ثقافية قد لا تكون في صالح اللغة العربية، ولغات العالم الإسلامي الأخرى.

ومع تلبد الأجواء بالغيوم، وتتابع الأحداث المؤلمة واحدة تلو الأخرى، وحالة الوجوم والدهشة التي يعيشها العالم الإسلامي إذا بنا نشهد مجيءَ تيارٍ ما يسمى العولمة، في سيل عرم جارف، تتدفق في مجراه قوى عاتية كثقافة مجتمع الاستهلاك، مدعومًا بطاقة اقتصادية كبيرة، وتكنولوجيا متفوّقة، ولغة احتكرت الخطاب العالمي، وأضحتْ تهدد التنوّعَ الثقافي الذي كنا نعتبره، وما نزال، أهم مصادر الغنى للثقافة العالمية. وأسفر كُلُّ هذا عن بروز هيمنة ثقافية طالتْ أرجاءَ المعمورة.

وقد وجد هذا التيار في ديار العرب والمسلمين على السواء مَنْ ناهضه عن علمٍ ودرايةٍ، ومَنْ ناصره عن اقتناعٍ أو عن انبهارٍ بمظاهرِه الخلابة، حتى فَرَضَ على ساحة النقاش والبحث موضوعَ التراثِ والمعاصرةِ الذي ينبغي أن يكون من أولويات اهتماماتنا.

وليس غريبًا على أحد أن اللغةَ — أية لغة — هي عنصرٌ جوهريٌّ من مكونات الهوية الذاتية، ومن عناصر الشخصية الثقافية العامة. وإذا كنّا نتحدّث عن لغة — كاللغة العربية — لها ارتباط بالمقدّس، فإننا نمسّ هنا المعتقدَ والدينَ، وأمورَ الحالِ والمآلِ، وهذا وضعٌ لم يتهيأْ لأيةِ لغةٍ أخرى.

ونستخلص من ذلك كلِّه أننا إزاءَ وضعٍ خاصٍّ، وحالةٍ فريدةٍ، وأعتقد أن الكلَّ يُدركُ أنه لا يمكنُ الحفاظُ على الإسلام، دون الحفاظِ على لغة القرآن. كما أن من نافلة القولِ أنَّ أواصرَ الوحدةِ بين الشعوب الإسلامية قد

تأصلت، وزادت قوةً ومتانةً بفضل اللغة العربية التي كانتْ وسيلةَ التواصل والترابطِ والالتحام. وما زال للغة العربية في كل بلاد المسلمين امتدادٌ لغويٌ بعيدُ الغَوْر في لغات هذه البلاد وثقافاتها. ويجد كُلُّ ما تتعرضُ له اللغة العربية أصداءً مباشرة عبر ساحة العالم الإسلامي الشاسع الرّحب.

وخلاصةُ القولِ إن ما ينتاب اللغةَ العربيةَ اليوم من تراجع، إنما هو غريبٌ عن ذاتها وروحها وقدراتها الكامنة، فهي قادرة على النهوض والارتقاء عندما تتوافر من حولها ظروفٌ موضوعية، ترتبط بمسائل تطوّر العلوم، والرقي بمستوى التعليم الذي ما زال متدنيًا، مما نجم عنه نقصٌ ملحوظٌ في عدد القراء، وعدد الكتاب والكتب.

من هنا يقتضي الأمر أن ننأى بأنفسنا عن الانكفاء على الذات، والركون إلى التقاعس والتواكل، وأن نعمل على النهوض من الكبوة، فالعصرُ عصرُ تكتلاتٍ وتجمعاتٍ، إقليمية ودولية، بل ولغوية كما هو الحال في الرابطة الفرانكفونية، ورابطة الكومنولث وغيرهما.

ومجمعنا العتيد هذا، بإرثه اللغوي الغني، وتاريخه الحافل بالعطاء، ومراس أعضائه الطويل، وواسع تجاربهم واطلاعهم، ودرايتهم بتحديات عصرهم، قمين بأن يدلي بدلوه في مَراد الإصلاح والتطوير هذا، ليتيح للغة العربية أن تدخل القرن الحادي والعشرين من أوسع الأبواب، استقاءً من ينابيع لغة الضاد الثرّة، المتدفقة بفيض الألفاظ ومفردات الكلام، وعبقرية التعبير، وبلاغة العبارة، وكل ما يؤهلها للاستجابة لمتطلبات العصر، ويمكّنها من أن تقف موقف الندّية والتميّز في مصاف أهم لغات العالم.

وما هذا على مَعينِ اللغة العربية بمعجز، ولا على همّة رجال المجمع وعزائمهم القوية بعزيز.

وأنتهز هذه الفرصة لكي أُذَكِّر الحاضرين بمشروعٍ من أهم مشاريع المجمع، ألا وهو مشروع "المعجم التاريخي للغة العربية" فقد ظهرت فكرته منذ بداية إنشاء هذا المجمع العتيد، لكن يبدو أن الظروف لم تسمح حتى الآن بخروج هذا المعجم إلى النور. ويسعدني باعتباري الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي أن أتوجه بالدعوة إلى كافة الهيئات الرسمية وغير الرسمية في كافة الدول لتأييد ودعم هذا المشروع والمساعدة على إخراجه.

شكرًا لرئيس المجمع وأعضائه الكرام على إعطائي هذه الفرصة للحديث ولحسن استماعكم.

والله الموفق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثالثًا: كلمة الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد
عضو المجمع من الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

دأب مجمعنا العريق الزاهر على أن يخصص كلمة في كل لقاء عام من لقاءاته السنوية لمتحدث باسم الأعضاء العرب، وهـذا محـض تنظـيم وتنسيق وترتيب إداري ليس فيه ما يُشتمُّ منه تفرقة بين مصري وعربي حتى ولا بين مصري وعربي ومستعرب؛ ذلك أننا نحن جميعًا نحس في رحـاب هذا المجمع أننا مصريون، وأننا عرب، وأننا أعضاء في هذا المجمع لا يفرق بيننا عامل من عوامل التفرقة التي مَزّقت هذه الأمة، والتي نأسى جميعًا لها. وإذا كان ما سمعتموه من صديقي الكريم معالي الدكتور أكمل الدين إحـسان أوغلي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي بحيث غلبنا جميعًا بفـصاحته وبلاغته، وغلبنا جميعًا بالنثر وبالشعر أيضًا، وحرص على أن يؤكد انتماءه لمصر وللعروبة، فكيف بنا نحن، ونحن الأقدم منه على هذه الأرض التـي أنبتتنا جميعًا نباتًا واحدًا لا فرقة بيننا. فلذا أحببت في أول الأمر أن أؤكد أن كلمتي تعني أننا في هذا المجمع لا نفرّق بين مصري وغير مصري، فـإن عضوية هذا المجمع تجمعنا في رحابه الواسع الكريم.

ثم إن لنا في كل عام لقاء في رحاب المجمع في مؤتمره الـسنوي، وهي مكرمة لمصر وللمجمع نلتقي فيها بإخواننا من علماء مصر، أسـاتذتنا الجهابذة الذين نعتز بهم، ونلتقي أيضًا بعلماء الأمة العربية من مختلف ديارها الذين هم أعضاء في هذا المجمع. والمجمع في مصر هو المجمـع اللغـوي

الوحيد الذي ينظم مثل هذه اللقاءات السنوية، ونحن نرجو أن تقلده المجامع العربية الأخرى بحيث تتكرر لقاءات العلماء، ومشاوراتهم ومباحثهم. أنتم تعلمون عناية مجمع اللغة العربية في مصر والمجامع العربية الأخرى في البلاد العربية المتعددة، ولكننا نحرص دائمًا على أن نقول إن هذه اللغة ليست وقفًا على أعضاء المجمع، ليست احتكارًا لأعضاء المجمع، وإنما هي رسالة يحملها كل عربي مهما يكن موقعُهُ، كل عربي حريص على هويته، حريص على وجوده وكيانه، ومن أجل هذا نُحمّل جميع الذين هم في هذه القاعة من غير أعضاء المجمع هذه الرسالة لينهضوا بها، ونُحمل صاحب المعالي وزير التعليم العالي أيضًا هذه الرسالة، ونحن نتطلّع إلى الوقت القريب – إن شاء الله – الذي تصدر فيه قرارات سياسية تحافظ على هذه اللغة، وتحرص عليها، وقد وضّح لنا الأستاذ الدكتور محمود حافظ رئيس المجمع كثيرًا من الآفات التي تصيب الآن هذه اللغة، في أسواقنا، في محافلنا، في شتى مجالاتنا. من أجل هذا نرجو أن تنهض وزارة التعليم العالي بهذه الرسالة التي طال تشوقنا إليها، وطالت دعوتنا إليها كذلك. أنا أتحدث نيابةً عن رئيس مجمع اللغة العربية الأردني، وقد حالت الظروف – نرجو أن تكون الظروف خيرًا – دون مجيئه وقد اخترت صباح هذا اليوم اختيارًا سريعًا لكي أسعد بمخاطبتكم.

مرة أخرى الشكر لمصرنا العربية، والشكر لمجمعنا الذي نرجو – إن شاء الله – أن نلتقوا في رحاب الاحتفال بمناسبته المئوية بعد ربع قرن، بمشيئة الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رابعًا: كلمة الأستاذ الدكتور هاني هلال
وزير التعليم العالي والبحث العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

السيدُ الأستاذُ الدكتور محمود حافظ رئيس مَجْمَعِ اللُّغةِ العربية

الأستاذُ الدكتور كمال بشر نائب رئيس المجمع

الشاعرُ الكبير الأستاذ فاروق شوشة أمين عام المجمع

ضُيُوفَ مصْرَ الكرام،

حضرات السادة الأعضاء،

السيداتُ والسادةُ الحضورُ الكرام

إنَّهُ لَمِنْ دَوَاعِي السُّرورِ وَالسعادةِ أَنْ أَشْرُفَ بوجودي بينَ هذهِ الكوكبةِ المُتَميِّزةِ منَ الأساتذةِ والعُلماءِ والخُبراءِ والباحثينَ في اللغةِ العربيةِ وعُلومِها، من مصْرَ والدُّولِ الشقيقةِ والصديقة، لنَحْتَفِلَ مَعًا بالعيدِ الماسيِّ لمجمعِ اللغةِ العربيةِ بالقاهرة، الذي يَشْرُفُ بالرعايةِ الكريمةِ للسيدِ الرئيس مُحمد حسني مبارك، رئيسِ الجمهورية. ويأتي احتفاؤنا بهذا الصرحِ الشامخِ من صروحِ لغةِ القرآنِ الكريم، بمناسبةِ مُرورِ خمسةٍ وسبعينَ عامًا على إنشَائِه، مَليئة بالعطاءِ والإنجازِ في خدمةِ اللغةِ العربيةِ وعلومِها وآدابِها، كانَ المجمعُ فيها قناةَ اتصالٍ فعالة بين اللغة وأبنائِها، وحصنًا حصينًا يَذُودُ عن كُنُوزِها من الأصواتِ والمفرداتِ والتَّرَاكِيب.

ويطيبُ لي في البدايةِ أن أتوجَّهَ بأَسْمَى مَعاني الترحيبِ بالأساتذةِ والعلماءِ من رؤساءِ وأعضاءِ المجامعِ اللغويةِ العربيةِ من خارجِ مصر، الذين

يُشَرِّفُونَنَا بالحضورِ والمشاركةِ في هذه التَظَاهُرَةِ العِلْمِيَّةِ الهامة، مُعْرِبًا عن خالصِ التهنئةِ القلبيةِ لكم جميعًا بهذهِ المناسبةِ العزيزةِ عَلَى قَلْبِ كُلِّ أبناءِ وَمُحِبِّي العربية.

الأساتذة والزُملاءُ الأعزاء

ليسَ مجمعُ اللغةِ العربيةِ مُجردَ مُؤَسسةٍ أكاديميةٍ تَعْمَلُ في المجالِ اللُغويِّ .. بَلْ هُوَ – بِفَضْلِ اللَّهِ، وَمُنْذُ إِنْشَائِه – هَيْئَةٌ جَامِعَةٌ لِكُلِّ ما مِنْ شَأْنِه الحفاظُ على اللغةِ العربيةِ: وسيلةً للاتصالِ، ووعاءً للفكرِ، وديوانًا للتاريخِ، وإطارًا للهويةِ.. وَهُو الأمرُ الذي تَضَافَرَتْ عِدَّةُ عواملَ لتوفيرهِ للمجمعِ، أَذْكُرُ مِنْهَا:

الصِّبْغَةَ العالميةَ للمَجْمَعِ:

فالمجمعُ مُنْذُ إنشائهِ يَضمُّ أعضاءً مِنْ خارجِ مصرَ، ممَّا أَخْرَجَهُ من دائرةِ المَحَلِّيَّةِ إلى آفاقِ إِنْسَانِيَّةٍ أَرْحَبَ، تَجْعَلُ مِنَ التَّبَحُّرِ في اللغةِ العربيةِ وعلومِها وآدابِها صكَّ اعتمادٍ وَوَثيقةَ انتسابٍ إِلَيْهِ، الأمرُ الذي أتاحَ للمجمعِ الاستفادةَ منَ اختلافِ المشاربِ الثقافيةِ والهوياتِ اللُغَويةِ لأعضائه.

طبيعةَ عملِ المجمع:

فَمَا مِنْ مُبْدِعٍ ولا عَالِمٍ ولا باحثٍ ولا خبيرٍ في تخصصٍ من التخصصاتِ العلميةِ أو الأدبية، إلا هُوَ ضاربٌ في اللغةِ بِسَهْمٍ، وَهُوَ مَا يَجْعَلُ المجمعَ عاملاً مُشْتَرَكًا بينَ مُخْتَلِفِ مَجَالاتِ الفِكْرِ والإبداعِ، من خلالِ ما تُؤدِّيه لِجَانُه المُخْتَلفَةُ من إسهاماتٍ مشكورة، كما يجعلُ من جُهُودِه مَصْنَعًا مُتَخَصِّصًا في صِناعَةِ اللُّغَةِ الوافيةِ بِمُتَطَلَّبَاتِ العلمِ، ومتغيراتِ التِّقْنِيَة.

مَعَايير الالتحاق بالمجمع:

فَهي تَعْكسُ مَدَى الدِّقَّةِ والمَوْضُوعيَّةِ في اختيارِ مَنْ يَتمُّ ضَمُّهُ إلى المجمع، بَدْءًا من المحررينَ وشباب الباحثين، وَمُرورًا بالخبراء، وَوُصولاً إلى الأَعْضَاء، حَيْثُ يَكُونُ المعْيَارُ الأَهَمُّ هُوَ النبوغَ العِلْميَّ وَالإسهامَ الفَاعِلَ في مجالِ عَمَلِه، وفي الوقتِ نَفْسِه الالتزامَ بالصِّحَّةِ اللُّغَوِيَّة في صياغَةِ الجُمْلَةِ العَربية، سواء في المفرداتِ أو التراكيب.

إنجازاتِ المجمعِ عبرَ تاريخه:

فَهِيَ إنجازاتٌ لا تُعَدُّ مرجعًا في بابها فَحَسْبُ، بَلْ تَحْرِصُ أيضًا أَنْ تَكُونَ سهلةَ المُتَنَاوَل، عَميمةَ الفائدة مَوْسُوعيَّةً بكُلِّ ما تَحْمِلُ الكلمةُ من مَعْنًى، وهو ما نَرَاهُ في الأعمالِ التي حَمَلَ المجمعُ عِبْءَ إنْجازِها، بدءًا من القراراتِ المجمعيةِ التي تتعاملُ مع اللغةِ بوَصْفِهَا كَائنًا اجْتِمَاعيًّا حيًّا يَخْضَعُ للتَّغَيُّرِ، ويُلَبِّي احتياجاتِ المُتَكلِّمين، ومرورًا بالملتقياتِ التي نَظَّمها المجمعُ مُنْذُ إنشائه، والتي كان لها بالغُ الأثرِ في تدعيمِ وجودِ العربيةِ، لغةً للاتصالِ والإبداع، وَوُصولاً إلى المَعَاجِمِ العامَّةِ مِثْلِ الوجيزِ والوسيطِ والكبيرِ، والمتخصصةِ مِثْل "ألفَاظِ القُرآنِ الكريم"، و"المصطلحاتِ العلميةِ والفنيةِ"، و"المُعْجَمِ التاريخيّ" الذي أثِقُ أَنَّهُ سيكونُ لَبِنَةً ضَخْمَةً في بِنَاءِ العَمَلِ المُعْجَمِيِّ العربيِّ عَبْرَ تَاريخِه الطويل.

التعاونَ مع الجهاتِ والمؤسساتِ الأُخْرَى:

سواء المجامعُ والجمعياتُ اللغويةُ الأخرى في الوطنِ العربيِّ والعَالَمِ، أو جمعياتُ حمايةِ اللُّغَةِ العربيَّة، أو اللجانُ الوطنيةُ والمنظماتُ الإقليميةُ والدوليةُ للتربيةِ والعلومِ والثقافةِ، وهو التعاونُ الذي يَقومُ بالتنسيقِ بين عملِ

هذه الهيئاتِ والمؤسسات جميعًا، وَمِنْ ثَمَّ يُعْطِي جُهودَها الأثرَ المَنْشُودَ عَلَى المستوى النظريِّ، وَبَيْنَ جُمُوعِ المُتَكَلِّمِينَ بالعربيةِ حَوْلَ العَالَم.

الحضوُر الكرام

احتفالُنا اليومَ بالعيدِ الماسيِّ للمجمع هو في المقامِ الأوَّلِ احتفاءٌ بِلُغَتنا الجميلة، وَتَعَاهُدٌ بيننَا على أن نتواصلَ ونتعاظمَ جهودُ خدْمَتِها وحمَايَتِها..

وهو أيضًا وفاءٌ وتكريمٌ لأسماء روَّادٍ وأساتذةٍ وَعُلَماءَ، مِنْهُمْ عَلَى سبيلِ المثالِ لا الحَصْر: مُحَمَّد توفيق رفعت، وأحمد لطفي السيد، وعباس العقاد، وطه حُسين، وعبد الرَزَّاق السنهوري، وإبراهيم أنيس، وإبراهيم مدكور، وشوقي ضَيْف، وغَيْرُهُم كثيرٌ من الأساتذةِ الذينَ قَدَّمُوا جليلَ العَطاءِ لِلُغَةِ والإبداعِ والعلم، واليومَ نذكرُهم بجزيلِ الشُكرِ والعرفان..

وهوَ كذلكَ احتفالٌ بصرحٍ أكاديميٍّ وطنيٍّ مرموق كانَ له أطيبُ الأثرِ في تدعيمِ لُغَتنا وإثراءِ ثَقَافَتِنا المعاصرة.

الحضور الكرام

أُكَرِّرُ ترحيبي بضيوفِ المجمعِ وأعضائهِ من الدولِ الشقيقةِ والصديقة..

كما أكررُ خالصَ تهنئتي لكم بهذه المناسبةِ الكريمة، راجيًا لكم دوامَ التوفيقِ والسداد، وللمجمعِ المُوَقَّرِ دوامَ التَقَدُّمِ والازدهار، والنجاحِ في أداءِ رِسَالَتِه النبيلة.

والسلام عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه

خامسًا: كلمة الأستاذ محمد الخمليشي
الأمين العام المساعد، ورئيس قطاع الإعلام
بجامعة الدول العربية

أود في بداية كلمتي أن أرحب بكم جميعًا في بيتكم، بيت العرب، وذلك بمناسبة الاحتفال بالعيد الماسي لتأسيس مجمع اللغة العربية في القاهرة، الذي يمثل صمام الأمن والأمان للحفاظ على لغتنا العربية التي نعتز بها جميعًا، لا بوصفها وسيلة للتخاطب بيننا فقط، وإنما لكونها تمثل المضمون الثقافي الحقيقي لهويتنا وانتمائنا لهذا الوطن الغالي وطننا العربي. وفي هذا الإطار أحيي أيضًا مشاركتكم الفكرية المتميزة والتي من شأنها دعم هذه الاحتفالية والتي تشكل في الواقع مناسبة ثقافية عربية هامة لتقييم ما تم من إنجازات في مجال اللغة العربية طوال خمسة وسبعين عامًا.

إن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية تحرص دائمًا على دعم العمل الثقافي العربي المشترك من خلال العمل المؤسسي وفي مقدمته اتحاد المجامع اللغوية العربية الذي يضم في عضويته مجامع اللغة العربية المنتشرة في البلاد العربية التي يعمل فيها بإخلاص علماء وفقهاء اللغة العربية؛ وذلك لدعمها والنهوض بمشاريعها الحيوية نحو الأفضل خاصة تلك المشاريع التي تتعلق بترجمة وتعريب المصطلحات الأجنبية إلى اللغة العربية ومعالجة النصوص المختلفة في مختلف فروع المعرفة وإصدار المصنفات والمؤلفات اللغوية وتأسيس المعاجم الهامة، وهذا كله بهدف بناء قاعدة متينة تشكل محتوى حقيقيًّا لثقافتنا العربية خاصة في هذه الظروف والمتغيرات الإقليمية والدولية التي تحيط بالأمة العربية.

وهذا يدعوني أن أضع بين أيديكم إطارًا عامًّا لتقنين الأبعاد الحقيقية للثقافة العربية في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية التي نعيشها الآن في دائرة العولمة والنظام العالمي الجديد، ذلك الإطار الذي تتبلور ملامحه في العناصر التالية:

أولاً: التأثير السلبي للعولمة المتمثل في غزو الثقافات الوافدة إلينا بخيرها وشرها دون وجود آليات عربية واضحة تعمل على التعامل مع هذه الثقافات ومعالجتها، وبالتالي تطويعها في إطار قيمنا وتقاليدنا العربية الأصيلة.

ثانيًا: الحملات الشرسة التي تشنها بعض الدوائر المعادية للعروبة والإسلام والتي تهدف إلى الإساءة إلى ثقافتنا العربية وقيمنا الإسلامية بهدف تحقيق أهداف سياسية من شأنها المساس بالأمن القومي العربي.

ثالثًا: اختفاء القدرات الثقافية الإبداعية وروح الأخذ بزمام المبادرة والتجديد وهو ما أدى إلى ظهور إشكالية عدم القدرة على اكتشاف الموهوبين والمبدعين في الوطن العربي في الوقت الذي تُشكل فيه قضية الإبداع الفكري والموهبة العلمية أساسًا للتنمية والتطور في كثير من الدول الأجنبية.

رابعًا: ربط اللغة والثقافة العربية بقضيتي الانتماء والهوية فقط مما جعل ثقافتنا العربية تنحصر في الدائرتين العربية والإقليمية دون أن تنطلق إلى العالمية أو تحاول أن تتعامل مع الواقع بأسلوب العصر، ذلك الأسلوب الذي يتطلب حركة ثقافية إيجابية للتواصل البناء مع العالم.

لقد فرض النظام العالمي الجديد نفسه على العالم وفرضت الاستراتيجية الكونية نفسها على النظام العالمي الجديد، ووجد العالم العربـي ذاتـه أمـام تيارات سياسية وثقافية متعددة وأيديولوجيات متنوعة دون أن يحـدد للـذات العربية مذاقًا ثقافيًّا متميزًا يتسم بالخصوصية والمرونة معًا بالرغم من توافر العناصر التي تساهم في تحقيق هذا الهدف، فخصوصية الثقافة العربية تنبـع من المكونات الفكرية والعقائدية الراسخة، وتنبع كذلك من القـيم والعـادات والتقاليد العربية الأصلية، أما مرونة الثقافة العربية فلا مجال للتشكيك فيهـا؛ فهي منفتحة على الثقافات الأخرى، وكانت الأرض العربية منذ الأزل مهبطًا للأديان ومهدًا لمختلف الحضارات، وهو الأمر الذي ساعد الثقافـة العربيـة على التفاعل مع الثقافات والحضارات، بمختلف أنواعها، في مرونة واضحة وملموسة لا تتسم بها غيرها من الثقافات.

علينا أن نتذكر بل نُذكِّر العالم أجمع بالإنجازات التاريخيـة والثقافيـة للعلماء العرب والمسلمين وكيف استعانت أوربا بهذه الإنجازات للتحول مـن عصور ظلماتها إلى عصر النور وتصل إلى حركة نهـضتها التـي تعـيش تطورها ونتائجها الآن.

لقد أحدث العلماء العرب أمثال الكندي والفارابي وابن سينا والغزالـي تأثيرًا واضحًا على المناهج الفكرية والعلمية لعصر النهضة في أوربا التـي أخذت عنهم الكثير من إنجازاتهم وإبداعاتهم المتميزة في الطـب والتـشريح والرياضيات والهندسة والجغرافيا والفلك والفلسفة والمنطق.

السيدات والسادة،

حان الوقت الآن لكي نطور أنفسنا ونستعيد أمجادنا الثقافية والعلميـــة، ولن يأتي هذا إلا بالعمل الدؤوب والمتواصل لكي يجد العرب مكانًـــا علـــى الخريطة السياسية للعالم، هذا المكان الذي يمكن منه أن نوجه خطابًا ثقافيًّـــا للآخر يتسم بالتوازن والموضوعية بعيدًا عن الشعارات والمسميات الفارغة، ولعل ذلك يتطلب مواجهة الذات قبل مواجهة الآخر.

فالحوار والتعاون الثقافي العربي – العربي أو بمعنى آخر بناء البيـــت الثقافي العربي من الداخل هو أصعب بكثير من الحوار العربي مع الآخـــر، فإذا استطاع الجانب العربي أن يتعامل من منطق التكتل الإقليمـــي الواحـــد فسوف يكون قادرًا على تحديد مسار خطابه الثقافي الجديد ما له وما عليـــه، حقوقه وواجباته تجاه الآخر.

إن التحديث والتجديد الذي أنادي به ليس مجرد كلمة وإنما هو مضمون يتطلب الأخذ بزمام المبادرة قبل أن يُفرض علينا من الخارج، وعليكم أنـــتم – مجمع اللغة العربية – كأحد حراس الثقافة العربية دور أساسي في حمايـــة لغتنا وثقافتنا العربية وفي ذات الوقت النهوض بها للتعامل مع مجريات الثقافة العالمية.

وفقكم الله،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

اليوم الأول

(الجلسة الثانية)

محاضرة

للأستاذ الدكتور كمال بشر

نائب رئيس المجمع

والأمين العام لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

بعنوان:

"مجمع اللغة العربية في خمسة وسبعين عامًا"

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الدكتور محمود حافظ رئيس المجمع

السادة الزملاء

السادة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فإنه لشرف عظيم أن أقف أمامكم اليوم مرحبًا ومحييًا، ومحاولاً في الوقت نفسه أن أدلف إلى مجمع الخالدين متجولاً بين أركانه وجنباته؛ كـي أتبيَّن موقعه في دنيا العلم والثقافة، وما أُسِّسَ من أجله في تأكيد "العروبـة"، بالحفاظ على قوامها وعمادِها المميِّز لها، وهي اللغة العربية وما يلفُّها ويسير في ركبها من حضارة وقيم ومعارف إنسانية.

إن يومنا هذا من أيام الله الخالدة، تشرق شمـسه وتفـوح أزاهيـره بعطرها على حصن العربية وقلعتها الصامدة في وجه الرياح الهوج، ووجه كل من يحاول أن يثير الغبار، أو أن يمسّ جدرانه وأركانه بما يذهب برونقه وبهائه، أو يحاول النيل من عراقته وأصالته. إنه مجمعنا هذا الموقر الـذي استقرّ كيانه وملئت أركانه بجواهر الفصحى وعقودها الغالية التـي تـزين صدور العرب على مرّ الزمان.

في البدء أهتف باسمه وأحيّي فرسانه بشيء مما قاله المرحوم الدكتور عبد الرازق محيي الدين في عيده الذهبي، تأكيدًا لعراقة المسيرة، وتجييش همم الزاحفين لنُصرة العربية وعصمتها عبر الزمان، مهما طالت أيامه وتغيرت أجواؤه. يقول رحمه الله (ضمن ما قال):

يا مجمع الخالدين، الخالدين به ... لا بالحطامين من جاه ومن نشب

يهنيكم أن يعيش الناس فترتهم ... وأن تعيشوا بمنجاة من العطب

كم تبعثون وكم تحيون في زمن ... ما أنتم منه في زى ولا دأب

وكم يقاضى إليكم في محاكمة ... وما شهدتم ويقضى الأمر من كثب

سبحانك الله علا ما وهبتَ لهم ... من فيض علمك ما استعصى على الحقب

اللغة – أيها السادة – هي الإنسان نفسه عقلاً وجسدًا، وفكرًا وسلوكًا، أو هي، كما قال الأستاذ محمد بهجة الأثري في افتتاح الاحتفال بالعيد الخمسيني للمجمع:

لغة المرء ذاتُه ... إن تهن ها ... ن وأضْوى وذلّت الكبرياء

ومن هنا كان اهتمام العارفين بلغاتهم القومية؛ إذ هي مرآة حياتهم وحاكية تاريخهم، بلا زيف أو تضليل. وقد قالوا في القديم (وهو قول له ما يرادفه في لغات أخرى): "لسانك أنت"، ومثله في الإنجليزية .Your tongue is you

وما أظن أن العرب في القديم والحديث تجاهلوا هذا المعنى أو تناسوه، بل استوعبوه وحاولوا تحقيقه بصور مختلفة، حسب الزمان وحسب الظرف والحال. ففي القديم كان العربي يعتز بلغته ويفتخر بحسن بيانه، كما كان يعرض بضاعته اللغوية ذات الجودة والامتياز في الأسواق الأدبية. وظل

هذا الاعتزاز قائمًا لقرون طويلة متمثلاً في الشعر والخطابة والرسائل الفنية، على ما هو معروف في العصور الذهبية للعرب وتاريخهم.

وبمرور الزمن مع اختلاط الثقافات وتداخل اللغات لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية، أصاب العربية شيء من الضعف والوهن، ومسّها شيء من الهوان. ظهر ذلك كله في ندرة التعامل بها وسيطرة العاميات بلهجاتها على السوق اللغوية في مختلف الأقطار العربية. وظل الأمر على هذه الحال، بل ازداد سوءًا في الفترات المتعاقبة؛ الأمر الذي أزعج الصادقين المخلصين من أهل المحروسة لِما مسّ لغتهم من تخلف وهوان، وما مسّ أهلها من غفلة إزاء هذا الوضع الذي ينذر بالخطر على كيانهم القومي.

فكر هؤلاء وتدبروا وكان التفكير في البدء فرديًّا أو على نطاق محدود موقعًا ونشاطًا. ففي عام ١٨٩٢م أنشئ منتدى لغوي بدار البكري، أسسه ورعاه الشيخ محمد توفيق البكري للنظر والبحث في واقع اللغة العربية، وما يلفها من مشكلات، حتى يستقيم أمرها ويصلب عودها وتظلل فروعها وأوراقها المجتمع العربي كله. وكان على قمة أعضائه جمع من كبار اللغويين والمفكرين من أمثال الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي. وحمل راية الزحف من بعده نادي دار العلوم الذي أبلى بلاء معروفًا مشهودًا في معركة الانتصار للعربية بتخليصها من أدوائها وزحزحة ما لحقها من غبار وتلوث. يشهد بذلك ويؤكده ما طرحه هذا النادي من دراسات وبحوث سجلها التاريخ على فترات من الزمن، تبدأ منذ إنشائه سنة ١٩٠٨م. ولم تقف جهود المخلصين من المصريين عند هذا الحد، بل قويت هذه الجهود وتعمقت في صورة إنشاء مجمع لغوي أهلي بدار الكتب

المصرية عام ١٩١٦م، برياسة الشيخ سليم البشري وأمانة الأستاذ أحمد لطفي السيد. وكان من أعضائه الكبار الشيخ أحمد الإسكندري والشيخ حمزة فتح الله، والأستاذ حفني ناصف. ولكن العربية حرمت من جهود هذا المجمع بتوقف العمل به بقيام ثورة ١٩١٩م.

وكان لهذه المحاولات الثلاث الرائدة آثارها البارزة التي امتدت أبعادها من جهود فردية أو أهلية محدودة إلى نطاق أوسع مدى وأعمق فكرًا وعملاً، وأشمل دراسة وبحثًا. تمثل هذا النطاق بخواصه المميزة تلك، في صدور مرسوم ملكي بإنشاء مجمعنا هذا الموقر في الرابع عشر من شعبان سنة ١٣٥١هـ الموافق الثالث عشر من ديسمبر سنه ١٩٣٢م، ولكن العمل به لم يبدأ إلا بعد ذلك بقليل، حيث عقدت أول جلسة له يوم الثلاثين من يناير عام ١٩٣٤م.

وتوالت دورات المجمع إلى أن استقر الأمر على أن تبدأ في أول أكتوبر وتنتهي في آخر مايو من كل عام، وهو ما يجري العمل به حتى الآن.

وقد نُصّ في المادة الثانية من مواد الإنشاء على أهداف هذا المجمع وأغراضه التي تتلخص كلها في رعاية اللغة العربية والمحافظة على سلامتها وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون، وملائمة لحاجات الحياة المتطورة خلال الزمان والمكان. وإنما يتم ذلك بالنظر في أصولها وأساليبها للوقوف على ما يوسّع أقيستها وضوابطها وييسر تعليمها وطريقة إملائها وكتابتها؛ الأمر الذي يعمل على نموّها وتوسيع دوائر استخدامها ويجعلها مألوفة مأنوسة من العامة والخاصة.

ومما يساعد على هذا النموّ، وتحقيق الإلف بينها وبين أهليها، النظر في المصطلحات العلمية والأدبية والفنية والحضارية، بشرحها وتقديمها إلى الشادين بأسلوب عربي فصيح صحيح، وفاءً بمتطلبات الحياة المتطورة، وقصدًا إلى توحيدها بين المتكلمين بالعربية. كما نُصّ في النهاية على مداومة البحث في كل ما له شأن في تطويرها، على المستويات اللغوية كافة، ونشرها في كل البقاع والأصقاع.

وقد تكفلت المادة الثالثة من مواد الإنشاء بذكر أمثلة من وسائل تحقيق هذه الأهداف والأغراض. من أهمها:

١- وضع معجمات لغوية وأخرى علمية اصطلاحية على النمط الحديث في العرض والشرح والترتيب.

٢- الإسهام في إحياء التراث العربي في اللغة والآداب والفنون وسائر فروع المعرفة المأثورة.

٣- دراسة اللهجات العربية، قديمها وحديثها دراسة علمية لخدمة الفصحى والبحث العلمي.

٤- دراسة قضايا الأدب ونقده، وتشجيع الإنتاج الأدبي بالتنويه به، أو بعقد ندوات ومسابقات ذوات جوائز.

٥- النظر فيما يشيع من ألفاظ وأساليب محدثة، ودراستها لإبداء الرأي فيها.

٦- إصدار مجلات أو نشرات أو كتب تحوي قرارات المجمع وبحوث أعضائه وغيرهم، مما يتصل بأغراض المجمع وأهدافه.

٧- توصية الجهات المختصة باتخاذ ما يكفل الانتفاع بما ينتهي إليه المجمع، لخدمة اللغة وتيسير تعميمها وانتشارها.

٨- عقد المؤتمرات والندوات ذات الصلة بأغراض المجمع، والاشتراك فيما يُدعى إليه المجمع من مؤتمرات وندوات تتصل بهذه الأغراض.

٩- توثيق العلاقات بالمجامع والهيئات اللغوية والعلمية في مصر وفي خارجها.

١٠- وأخيرًا، مداومة النظر في أية وسائل أخرى لتحقيق أهداف المجمع.

أيها السادة: هذه إشارة موجزة إلى فكرة إنشاء مجمعنا هذا الموقر، وإلى ما نُصّ على مسؤولياته وأهدافه وإنجازها بطريق علمي منضبط الحدود والرسوم. ونحمد الله أن سار المجمع منذ بداية العمل به على هذا النهج المرسوم حتى يومنا هذا، بل لا نبالغ إذا قررنا أن أبعاد العمل وجوانبه اليوم قد اتسعت وتعمقت في الإنجاز والتفعيل.

ونأتي الآن إلى تشكيل هذا المجمع، بالإشارة إلى أعضائه وتصنيف مواقعهم وتبيين مسؤولياتهم نحو تحقيق الأهداف والأغراض المرسومة.

أما بالنسبة للأعضاء فقد تواردت أفواج على عضوية المجمع. بلغ الفوج الأول منها عشرين عضوًا، صدر بتعيينهم مرسوم ملكي في أكتوبر عام ١٩٣٣م. وكان عدد هذا الفوج مناصفة بين المصريين وغيرهم من العرب والمستعربين. ومن اللافت للنظر أن هؤلاء الأعضاء كانوا يمثلون عددًا كبيرًا من بلدان العالم شرقه وغربه، دليلاً على عالمية هذا المجمع، وأهمية رسالته وأهدافه. وكلهم من كبار الأعلام في اللغة والثقافة والمعرفة الإنسانية. ولسنا بمستطيعين هنا تسجيل أسمائهم جميعًا، ويكفينا الإشارة إلى أمثلة منهم، تأكيدًا لفكرة العالمية وتنوُّع أبعادها.

فمن مصر كان هناك من بين العشرة المختارين محمد توفيق رفعت ومنصور فهمي والحاخام حايم ناحوم. ومن البلاد العربية حسن حسني عبد الوهاب من تونس، ومحمد كرد علي من سورية، والأب أنستاس ماري الكرملي من العراق، وعيسى إسكندر المعلوف من لبنان. والتقى الغرب مع الشرق في هذا الحصن، في صورة انضمام عدد غير قليل من المستعربين الأعلام الأوربيين إلى صفوف الرفقاء العرب : من ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وهولندا.

وقد اختير الأستاذ محمد توفيق رفعت رئيسًا للمجمع، والدكتور منصور فهمي كاتب سر المجمع.

وفي عام ١٩٤٠م صدر مرسوم بتعيين فوج ثانٍ من عشرة أعضاء مصريين، منهم:

الشيخ محمد مصطفى المراغي وطه حسين وعباس محمود العقاد.

ثم صدر مرسوم عام ١٩٤٦ بتعيين فوج ثالث من عشرة أعضاء مصريين، بلغ بهم أعضاء المجمع أربعين عضوًا، منهم: الدكتور عبد الرازق السنهوري والأستاذ زكي المهندس والدكتور إبراهيم مدكور.

ثم تتابع الفوز بالعضوية العاملة – عن طريق الانتخاب – منذ عام ١٩٤٧م حتى الآن، من غير تقيّد بالجنسية. ووفقًا لمرسوم إنشاء المجمع يجوز اختيار أعضاء مراسلين بلغ عددهم الآن حوالي سبعة وتسعين عضوًا.

ومعذرة، إذ فاتني ذكر أسماء جميع الأعضاء في الأفواج السابقة، نظرًا لضيق الوقت. ويقيني أنهم أعلام معروفون مشهورون بجهودهم

وإنتاجهم وعطائهم الغزير الذي يخلّد مسيرتهم وأسماءهم في سجل التـــاريخ على مدى الأيام والعصور.

أما من حيث تصنيف مواقع أعضاء المجمع، فهناك عـــدة مواقـــع، ولكل موقع فرسانه ومسؤولياته في تسيير العمل في هذا الحصن وفي تـــدبير شؤونه وإنجاز واجباته على وجه كريم يفي بأهدافه. هناك:

١- المجلس

يتكون مجلس المجمع من أربعين عضوًا من المصريين، وهو الركن الركين في هذا البيت، بيت الخالدين. وهو مالك الزمـــام وضـــابط الإيقـــاع بمتابعة نغماته والتنسيق بينها: يُعرَض عليه ما أعدته اللجـــان مـــن إنتـــاج ودراسات في جلسته الأسبوعية المقرر عقدها يوم الاثنين من كـــل أســـبوع طوال الدورة المجمعية. ينظر ويدرس ويناقش، حتى يصل إلى القول الفصل وإبداء الرأي النهائي فيما يعرض عليه.

ومن مسؤوليات هذا المجلس أيضًا الإشراف على كل مـــا يتـــصل بأعمـــال المجمع من شؤون داخلية وصلات خارجية.

٢- مكتب المجمع

يتكون هذا المكتب من رئيس المجمع ونائبه والأمين العام، وأربعـــة من أعضاء المجمع الذين ينتخبهم المجلس. ومسؤوليات هذا المكتب تتركـــز في تصريف أعمال المجمع الإدارية والمالية ومتابعـــة قراراتـــه وتنفيـــذها، والنظر في مشروع الموازنة وتحديد المكافآت لمن يعـــاونون المجمـــع فـــي أعماله من الخبراء وغيرهم.

٣- لجان المجمع

ونأتي بعد إلى القوة الضاربة والجنود الزاحفة بصدق وإخلاص وتفانٍ نحو الغرض المقصود والهدف المنشود. وأعني بذلك تلك العقود الغالية المشكلة من أعضاء المجمع وخبرائه ومحرريه وهي لجان المجمع.

تألفت بعض لجان المجمع في دوراته الأولى، وبدأت تعمل وتنشط، ثم أخذت تنمو وتتكاثر مع اتساع آفاق الحضارة المتطورة يومًا بعد يوم خلال الزمان والمكان.

تعكف هذه اللجان - ما وسعها الجهد والطاقة - على النظر والبحث ومدارسة ما تكفّلت به من عمل في شتى العلوم والآداب والفنون، بتنوعاتها وتفرعاتها في التخصصات المختلفة، وإعداد كل ذلك بالمراجعة والتوثيق وطرحه على مجلس المجمع لإبداء الرأي فيه.

وقد بلغت هذه اللجان الآن ثلاثًا وثلاثين لجنة منتظمة، في إطارها عدد من اللجان التي استحدثها المجمع في العامين الأخيرين.

٤- رعاة الحوكمة

معلوم أن لكل هيئة أو مؤسسة معايير معيّنة لضبط العمل وإنجازه على وجه يفي بمسؤوليات هذه الهيئات والمؤسسات، مع التنسيق بين فروعها وأبعادها، وضبط العلاقات بينها وبين المتعاملين مع هذه الهيئات والمؤسسات في الداخل والخارج.

يتولى رعاية هذه الحوكمة في مجمعنا رؤساء المجمع ونوابه والأمناء العامّون.

بلغ عدد رؤساء المجمع منذ إنشائه حتى الآن ستة من كبار الأعلام الأفذاذ. حظيت الرئاسة في البدء بالأستاذ محمد توفيق رفعت (١٩٣٤-١٩٤٤)، وتشرف الآن – فخورةً معتزة – بالعالم الجليل الأستاذ الدكتور محمود حافظ، أطال الله في عمره.

أما نواب رئيس المجمع منذ البدء حتى اليوم فهم سبعة. شرف الموقع أول الأمر بعلم الأعلام الدكتور طه حسين (١٩٦٠-١٩٦٣م)، ويشرف الآن بهذا الموقع محدثكم الماثل بين أيديكم، كمال بشر.

ونأتي بعد إلى واسطة العقد في شؤون الحوكمة، المتمثلة في الأمناء العامّين، وعددهم تسعة. تقلد الأمانة في البدء الدكتور منصور فهمي (١٩٣٤-١٩٥٩م) ويتألق الموقع الآن ويعتزّ بأمانة الشاعر الكبير الأستاذ فاروق شوشة، المعهود نشاطُه والواسعة آماله في تحقيق الحوكمة على خير وجه وأكمله.

تلك، أيها السادة، صورة موجزه لتشكيل مجمع الخالدين، وتوزيع الأدوار والمسؤوليات على أعضائه، وإشارات خفيفة إلى نوعية ما تقوم به كل كتيبة، بالتلاحم والتنسيق الكامل فيما بينها، وفاء بحق الأهداف المرسومة المتمثلة في نصرة اللغة القومية، عمادِ الهوية العربية، وأساسِ خواصها المميزة لها، والحامية لأركانها من الذوبان والضياع وسط الأمواج العاتية في بحر "العولمة" الطاغية.

وليس هذا فقط، فللمجمع أيضًا أوجه نشاط عامة تؤكّد عالميته وتوسّع من دوائر اهتماماته، حتى يُفيد الخاصة والعامة من إنجازاته، وينضموا إلى صفوف المجاهدين المخلصين في سبيل جمع الشمل وتقريب الأفكار

والاتجاهات الحياتية، بالحفاظ على لغتهم وحمايتها، فهي عماد هـذا الجمـع وذاك التقريب.

نذكر – في هذا المقام المحدود وقتُه وموقعُه – ثلاثة أمثلة من هـذه الأوجه:

١- مؤتمر المجمع:

توثيقًا لأعماله، وتعميقًا لآثاره، وتعميمًا لخدْماته، يعقد المجمع مؤتمرًا عالميًّا كل عام، لمدة خمسة عشر يومًا، وتسير فعالياته في اتجاهين:

الأول- يتمثل في عرض ما أقرّه مجلس المجمع من أعمال لجانـه طـوال العام. ويتم هذا العرض في جلسات مغلقة، مقصورٍ حـضورُها علـى ذوي الاختصاص الذين يشكلون البنية الأساسية للمؤتمر. وهم أعـضاء المجمـع المصريون وغيرُ المصريين، ومن يُختارون من الأعضاء المراسلين العرب والمستعربين من مختلف بلدان العالم.

ينظر هؤلاء فيما يُعرض عليهم من أعمـال اللجـان التـي أقرّهـا المجلس، لمناقشتها والحوار حولها وإبداء الرأي فيها. كما ينظرون ويناقشون ما أعدّه الأعضاء من بحوث ودراسات تُلقى في هذه الجلسات المغلقة.

الاتجاه الثاني- يتمثل في جلسات علنيـة، يُلقـي فيهـا بعـضُ الأعـضاء محاضرات عامة، يحضرها الراغبون الشادون من الجماهير العريضة، دون قيد أو تحديد. وإنما كان هذا الاتجاه العام، تأكيدًا لدور المجمع ومؤتمره فـي نشر الثقافة اللغوية والمعرفة الإنسانية، وتوطيد الصلات بـين المجمعيـين وسائر الأقوام.

ويُنهي المؤتمر جلساته وأعماله بإصدار قرارات وتوصيات، تُنشر وتبلّغ إلى الجهات المعنية، كالمجامع والجامعات والوزارات، وبخاصة وزارات التعليم والثقافة والإعلام في جميع أنحاء الوطن العربي.

٢- النشاط الثقافي العام:

حرص المجمع منذ سنوات على توسيع دوائر اهتمامه ومسؤولياته في خدمة الصالح العربي العام، فاتخذ سبيلاً جديدة تفي بهذا الهدف. كوّنت لجنة تسمّى "لجنة الثقافة"، تتولى إقامة لقاءات وندوات فكرية عامة تحضرها الجماهير العريضة، ويُدعى إلى الحديث فيها أعلام من رجال الفكر والثقافة المهتمين بقضايا وطنهم اللغوية والعلمية والفنية، وكلّ ما يشغل بال المواطن العادي، ويثار في الشارع من أفكار وآراء تحتاج إلى إلقاء الضوء عليها وبيان وجه الحق فيها. ويستوي في ذلك أن تكون هذه الأفكار والآراء ذات اتصال بموقع المجمع ومسؤولياته وإنجازاته، أو أن تكون ذات سمة ثقافية عامة في اللغة وما يلفها من آداب وفنون.

وليس هذا فقط، بل امتد نشاط المجمع وتنوعت مسارات العمل فيه في العامين الأخيرين تقريبًا بتشكيل لجان أخرى جديدة تتوزع مسؤولياتها توزّع حاجات المجتمع من المعرفة اللغوية أو تعميقها، أو وسائل اكتساب هذه المعرفة والفوز بهذا التعميق.

من هذه اللجان مثلاً: لجنة تعليم وتعلّم اللغة العربية، ولجنة اللغة العربية في وسائل الإعلام.

وإن ننس لا ننس في هذا المقام الإشارة إلى مكتبة المجمع ودورها في خدمة الثقافة الإنسانية وحرصها على توثيق الصلة بين المجمع وجمهور

الشادين الراغبين في تحصيل المعرفة وتعميقها من شباب الدارسين وشيوخهم.

مكتبة المجمع غنية بالكتب والمراجع والمعجمات والموسوعات ودوائر المعارف في اللغة والآداب والعلوم والفنون. وتضم جوانبها أيضًا كثيرًا من كنوز المخطوطات ومصوراتها، كما تضم كثيرًا من كتب التراث في التفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه والتصوف والفلسفة والمنطق ومختلف فروع العلوم.

والمكتبة في نمو مطرد؛ إذ إنها تزخر الآن بحوالي أربعين ألف مجلد بين عربي وأجنبي. وقد عُني بتصنيفها تصنيفًا عشريًّا وفهرستها فهرسة دقيقة، حسب الموضوع وعنوان الكتاب واسم المؤلف.

٣- المجمع واتحاد المجامع:

لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية أهمية كبرى في دنيا العرب ولغتهم. ذلك أن من أهداف هذا الاتحاد جمع العرب على كلمة سواء فيما يعرضون له من بحث ودراسة لقضايا لغتهم وثقافتها.

ولمجمع الخالدين بالمحروسة دور بارز وموقع رائد في هذا الاتحاد. لقد تفضل الزملاء أعضاء الاتحاد- مشكورين - بإسناد رعاية الحوكمة في نشاطه ومسؤولياته إلى مجمعنا هذا الموقَّر، متمثلاً ذلك في منصب الرياسة الذي يشرفه الآن الأستاذ الكبير الدكتور محمود حافظ، وفي تكليف محدثكم الماثلِ أمامكُم القيام بمهامّ الأمانة العامة.

ينظر الاتحاد ويناقش القضايا الكبرى التي من شأنها الوفـاءُ بحـق "العوربة" ومقوّماتها الأساسية، وعلى القمة منها ركنُها الركين، وهي اللغـة العربية وما يلفها من ثقافات ومعارف.

من ذلك مثلاً، ما قرره الاتحاد وحسم الأمر فيه منذ عامين تقريبًـا، من إصدار معجم تاريخي للغة العربية. وهو حلم راود العرب جميعًـا منـذ سنوات طوال، حزم الاتحاد رأيه على تحقيقه.

كوّنت أول الأمر لجان عامة وفرعية أطلق عليها فيما بعـد "الهيئـة العامة للمعجم التاريخي للغة العربية" تضم أعلامًا بارزة من مختلـف بـلاد العالم العربي، لدراسة الموضوع، ووضع الخطط العلمية والإداريـة لتنفيـذ المشروع وقد تمّ ذلك تقريبًا.

وكان لمجمع الخالدين موقف معروف مشهود في رعايـة الحوكمـة التي تضبط مسيرة العمل وتصل به إلى الهدف المقصود متمثلاً ذلـك فـي إسناد الإدارة التنفيذية للمشروع إلى كمال بشر، وفي استضافة جلسات اللجان كلها هنا في مجمع القاهرة مع تقديم أقصى ما يمكن مـن وسـائل الراحـة والتيسير لهؤلاء الأجناد في زحفهم المبارك.

إنتاج المجمع:

للمجمع إنتاج غزير الكم عميق الكيف في مختلـف فـروع العلـم والمعرفة وكل ما يدخل في إطار مسؤولياته الواسعة الأبعاد والاتجاهات.

والتقاليد جرت وتجري على مرور مجمل هذا الإنتاج بثلاث مراحل متتابعة.

المرحلة الأولى: مرحلة إعداد المادة بالنظر والدرس في اللجان المختصة المشكور نشاطها وجهدها فيما كلفت به. **والمرحلة الثانية**: مرحلة عرض ما أنجزته هذه اللجان على مجلس المجمع، لتوثيقه بالمناقشة والحوار مع أهل الاختصاص. أما **المرحلة الثالثة**: فهي مرحلة عرض ما أقرّه المجلس على مؤتمر المجمع، لمنحه سمة العالمية، وإعداده للنشر على المستويات الخاصة والعامة.

أما حصيلة إنتاج المجمع فهي تتمثل في نوعيات وصنوف مختلفة، لسنا بمستطيعين في هذا المقام أن نحصي مفرداتها، وتكفينا الإشارة إلى أمثلة عامة من هذه النوعيات والصنوف.

من صنوف هذا الإنتاج ما يلي:

أولاً ـ المعجمات:

وتتمثل في طائفتين:

الطائفة الأولى: المعجمات اللغوية، وهي معجمات عربية، مرتبة ترتيبًا ألفبائيًا. وقد روعي فيها تنوّع المادة، وفقًا لمستويات الشادين. فهناك المعجم "الوجيز" الذي صنع لمقابلة حاجة طلاب مراحل التعليم العام ومَن في مستواهم. وهذا المعجم أشبه ما يكون وليدًا لذلك المعجم ذائع الصيت في العالم، الموسوم "بالمعجم الوسيط" الذي نال ما لم ينله معجم عربي حديث من سعة الانتشار والحرص على الفوز به، لما ينماز به من دقة الصنع وعمق المحتوى، والوفاء بحاجة المثقف العام.

ونأتي بعدُ إلى قمة المعاجم العربية الحديثة. ذلك هو "المعجم الكبير" الذي بدأ المجمع في صنعه منذ عشرات السنين. ومازال العمل فيه يجري على قدم وساق، وتتوالى أجزاؤه بتوالي فترات الزمان.

الطائفة الثانية: هي المعجمات العلمية المتخصصة. وقد صدر منها حتى الآن نحو عشرين معجمًا في فروع العلم المختلفة، كالفيزياء والكيمياء والطب والهندسة والنفط والحاسبات والجيولوجيا، بالإضافة إلى معجمات أخرى في العلوم الإنسانية، كالفلسفة والقانون ... إلخ.

ثانيًا ــ إنتاج في صورة كتب:

وهي كتب تضم أعمال اللجان اللغوية بالمجمع، وهي لجان الأصول والألفاظ والأساليب واللهجات والأدب. وهناك كتب أخرى، خصّصت لتسجيل القرارات المجمعية.

ثالثًا ــ إنتاج في خدمة التراث:

ونعني بهذا الإنتاج ما صدر من جهود مجمعية في خدمة التراث العربي ونشره. يتمثل ذلك في تحقيق العديد من الكتب والمعجمات والمخطوطات التراثية في اللغة والأدب. من ذلك مثلاً: ديوان الأدب للفارابي، والتكملة والذيل والصلة للصاغاني والزّبيدي، والجيم لأبي عمرو الشيباني، وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلاّم الهروي، والأفعال للسرقسطي، وغير ذلك كثير.

رابعًا ــ مجلة المجمع:

وهي مجلة دورية، صدر منها حتى الآن مئة عدد وثلاثة. وهي معنية بنشر ما يرد إليها من بحوث أعضاء المجمع وغيرهم من ذوي

الاختصاص في اللغة والأدب والثقافة العربية على وجه العموم. ولهذه المجلة أيضا مسؤولية أخرى مهمة، وهي نشر ما يلقى أو يقدم من بحوث في المؤتمر السنوي للمجمع.

خامسًا ــ محاضر جلسات المجمع:

يُنشر بها كل ما يدور بمجلس المجمع ومؤتمراته من مناقشات حول المعروض من دراسات وبحوث. وقد صدر منها حتى الآن خمسون عددًا، تغطي أعمال الجلسات والمؤتمرات من الدورة الأولى حتى الدورة الخمسين سنة ١٩٨٤. والباقي من هذه المحاضر تحت الإعداد للطبع.

سادسًا ــ مجموعة المصطلحات العلمية والفنية:

وهي تغطي ما عرض على المؤتمرات وتم إقراره من مصطلحات علمية وفنية منذ إنشاء المجمع حتى الدورة الثانية والسبعين سنة ٢٠٠٦.

تلك – أيها السادة – صورة مصغرة تحكي قصة هذا الصرح الكبير (مجمع الخالدين) من حيث موقعه في دنيا المعرفة العربية ومن حيث تشكيله وسير العمل فيه، كما تشير بإيجاز مبين إلى جهوده وإنتاجه في خدمة اللغة العربية وثقافتها. ذلك الإنتاج الذي صنع بإخلاص وصدق، وطرح على القوم أجمعين، نشرًا للثقافة اللغوية، وإرشادًا إلى الطريق السويّ في التعامل مع لغتهم، وتأكيدًا للانتماء القومي، بعقد الألفة بينهم وبين عماد هذا الانتماء وأساسه، اللسان العربي الفصيح الصحيح.

ولكن يبدو أن تحقيق هذه المقاصد السامية ما يزال أشبه بالآمال عصيّة المنال من لدن الكثرة الكاثرة من الجماهير العريضة، ولهذا الوضع أسبابه. من أهم هذه الأسباب – في نظرنا – :الواقع الثقافي والمعرفي في

دنيا العرب: ثقافة عشوائية البناء والطلاء تلفها ظروف اجتماعية وحياتية معقّدة، من شأنها أن تخلخل هذا البناء وتشوّه ذاك الطلاء. اكتفى كل فريق من القوم العرب "بخُصه الثقافي" الهش الذي تنبئ عنه لافتته اللغوية من لهجات ورطانات متباعدات متنافرات، من شأنها أن تقطع حبل الوصل بينهم وتحرمهم التكاتف والتعاون في بناء البيت العربي الحقيقي. هذا البيت الذي لا يكون ولن يكون إلا باعتماده على أساس يضمن قوامه، ويحمي جدرانه. ذلك الأساس هو اللسان العربي الموحّد.

ربما يهمس بعضهم بادّعاء شائع بين غير العارفين، منطوقه يشي بأن المجمع هو الآخر مسؤول عن هذه الفوضى اللغوية، إذ هو يعمل بنفسه مع نفسه في حجرات مغلقة.

ونحن نقول، نعم: المجمع يعمل في حجرات مغلقة. ولكنه لا يعمل لنفسه، وإنما يعمل لصالح قومه. إنه هيئة علمية تدرس وتبحث في هدوء وفق منهج علمي مرسوم، بعيد عن الدعاية مبرّأ من غوغائية الإعلان وعشوائية النظر في الأمور التي تسود بعض الجهات أو الطوائف ذات الأصوات الزاعقة في وسائل الإعلام والمثيرة للضجيج المزيّف في الشارع.

إن المجمع – على الرغم من خفوت صوته وهدوء مسيرته – له موقع الإمامة في محاريبها. يقود ويرشد ويعلم بإنتاجه، وهو إنتاج غزير، كما أشرنا إلى ذلك سابقًا. ولكن هذا الإنتاج – للأسف الشديد – لم يحظ بالجوّ الثقافي الذي يحتضنه أو يتعرفه أو يلتمس شيئًا منه. ذلك أن القوم – في مجملهم – لا يرغبون في ذلك بالطبع أو الصنع. ومن ثم بعدت الشقة بين القبيلين، وسار كل قبيل في طريقه، فكان هذا الادعاء المغلوط بعجز المجمع

عن أداء رسالته، في حين أن المدّعين هم المقصرون في حق أنفسهم وحق قوميتهم.

ومع ذلك فقد رأى المجمع في سنيه الأخيرة تشكيل لجان عامّة مفتحة أبوابُها على مصاريعها، تعمل في داخل المجمع وخارجه حتى يسمع الصم الدعاء ويستجيبوا لندائه المشحون بما ينفع الناس ويزيح ادعاءاتهم، ويؤكد انتماءهم لقوميتهم. فهناك لجان للإعلام والتعليم والتدريب والثقافة وتفعيل الحاسبات. وكلها – وإن بصور مختلفة – تسعى – ما وسعها الجهد – إلى تقديم موائد طيبة من التثقيف اللغوي وألوان من الفكر العربي الأصيل، المبرّأ من الغوغائية والعشوائية. والهدف من هذا التشكيل الجديد – كما هو واضح – توسيع دوائر العمل، بحيث تلاحق الجماهير في مواقعهم أو تضمهم في إطارها للحوار والمناقشة والمداخلة، حرصًا على تقريب الشقة بين القبائل أو الجمع بينها على طريق سويّ، ينبئ عنه لسان موحّد، هو العربية الفصيحة الصحيحة – لغة القوم أجمعين.

وهنا نهمس في أذن المجمعيين والمسؤولين أصحاب القرار : كيف ومتى نضمن الاستجابة لجهود المجمع وتنفيذ قراراته، والمجتمع العربي سادر في نومه لا يوقظه إلا القرع على أبوابه والنفخ في آذانه ؟ ليست لنا سلطة تنفيذية حتى الآن. وأظن من الواجب على المسؤولين النظرُ في الأمر وإصدارُ القرارات أو القوانين التي تكفل للمجمع تحقيق أهدافه وتؤكد مسيرته نحو غاياته المتمثلة في الحفاظ على الهوية وتأكيد الانتماء إلى القومية، وعمادها اللغة العربية في صحيح معناها.

والسلام عليكم ورحمة الله،



تعقيبات ومداخلات

على محاضرة

الأستاذ الدكتور كمال بشر

الأستاذ الدكتور محمود حافظ رئيس المجمع:

شكرًا جزيلاً للأستاذ الدكتور كمال بشر نائب رئيس مجمع اللغة العربية والعالم اللغوي الضليع.

هذه محاضرة بالغة القيمة، وإن شاء الله تطبع ليستمتع بها كل اللغويين وكل من يريد لغة طيبة رائعة، ومعلوماتٍ عن مجمع اللغة العربية أحسب أننا جميعًا في حاجة إليها.

المحاضرة قد تثير مداخلات وتعليقات، فأنا أعتقد أن الدكتور بشر على استعداد، ويسره سرورًا بالغًا أن يرد على كل المداخلات والتعليقات من السادة العلماء الحضور. ويتولى الآن الأستاذ فاروق شوشة إدارة هذه العملية.

الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع:

شكرًا سيادة الرئيس، طبعًا نلاحظ جميعًا أن الأستاذ الدكتور كمال بشر نائب رئيس مجمع اللغة العربية والأمين العام لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية آثر أن يترك الأوراق، وأن ينطلق على سجيته، وأن يجعلكم شركاء فيما يفكر فيه، وفيما يسعى إليه، وبالتالي أصبح الحديث حميمًا، والحديث الحميم دومًا يتضمن ما يثير وما يستوقف وما يتطلب أيضًا من مداخلات، وأرجو من السادة الذين سيشاركون في هذه المداخلات ألا يحاضروا، ويكتفى بأن تكون مندرجة تحت عنوان المداخلات. ولديّ طلب مقدّم من المستشار عبد المنصف إسماعيل وهو عضو في جمعية حماة اللغة العربية وقد آثرت أن أبدأ به لأقول لحضراتكم: نحن نُقَدِّر دورَ جمعيات المجتمع المدني في خدمة اللغة العربية، ولهذا فقد أشرت في الجلسة

الافتتاحية إلى الدور الذي تقوم به جمعية تعريب العلـوم، وجمعيـة لـسان العرب في مصر، وجمعية حماة اللغة العربية في مصر، وجمعية حماية اللغة في دولة الإمارات.

الأستاذ المستشار عبد المنصف إسماعيل:

بسم الله الذي أقسم بالعصر على أن الإنسان لفي خُسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق. في هذا اللقاء مـن لقـاءات التواصـي بالحق، ونحن في هذا الحفل العلمي والسياسي والاجتماعي المهم، وأنا مجرد تلميذ مُسن وسط كوكبة عظيمة من العلماء والسياسيين والإعلاميين.

ما أود أن أتواصى بالحق حوله مع حضراتكم، في الحقيقة كان يدور حول نقطتين: الأولى: أدبيات استخدام اللغة العربية عالميًّا. والثانية: أدبيات استخدام اللغة العربية محليًّا.

الأستاذ الدكتور كمال بشر غطَّى الجانب المحلِّي بما نعرفه جميعًا وطوَّف بنا حول الجانب العالمي. لا أستطيع أن أضيف إليه شيئًا إلا ما أقتنع به، وأرجو أن يأخذ الكل ما أقوله على محمل الجد، لأنني إذا كنت لـم أتحـدث – ولا أتحدَّث – في أي محفل عالمي فأنتم تتحدثون وتمثلون مصر وتمثلون العرب واللغة العربية في كل مكان.

أما عن الجانب العالمي فأقول – وبالله التوفيق – ما يلي:

إذا كنت أنا أو أي إنسان آخر سفيرًا لأكبر أو أصغر دولة في دولـة أخرى فإن عليّ أن أُبَلِغ الدولة التي أوجَدُ فيها نيابة عن دولتي بلغـتهم هـم حتى وإن كانت لغتهم ليست عالمية، وإذا لم أكن أجيد لغتهم ينبغي أن أتحدث بلغتي العربية والمترجمون يترجمون إلى اللغة التي يتحدّث بها أهل هذا البلد،

ولكن للأسف نجد العربيّ يتحدث بلغات أخرى إنجليزية أو فرنسية ثم تترجم إلى لغة أهل هذا البلد، فلماذا لا يكون الحديث باللغة العربية؟ ولماذا يُصرّ المتحدّثون في أي بلد غير عربي أن يتحدثوا بغير العربية؟ أنا أرى وجوب التحدّث باللغة العربية حتى وإن كان المتحدث يجيد غيرها من اللغات؛ لأن اللغة العربية لغة عالمية ولابد أن نرفع شأنها. وأما عن الجانب المحليّ فقد تحدَّث فيه أستاذنا الدكتور كمال بشر حديثًا أفدت منه كثيرًا، وفقكم الله جميعًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأستاذ فاروق شوشة:

والآن نستمع إلى الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي عضو المجمع من المغرب فليتفضّل.

الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي:

بسم الله الرحمن الرحيم، سيدي الرئيس أريد بادئ ذي بدء أن أُعرب عن فرحتي الغامرة التي شعرنا بها اليوم، ونحن نجتمع في بيت العروبة، فهو البيت الذي ينبغي أن نلتجئ إليه في كل ما يتصل بمشاكل لغتنا العربية. في الحقيقة المشكل الذي استمعنا إليه اليوم في هذا البيت من رئيسنا الدكتور محمود حافظ الذي أبى في آخر حديثه إلا أن يحرك سواكننا فيما يتصل بنقطة مغلقة جدًّا بالنسبة لكل من يتكلم لغة الضاد، وهي العزوف عن التكلم باللغة العربية في عصرنا الحاضر. أنا لا أريد أن أكون متشائمًا، ولكنني أريد أن أقول بصراحة إننا في كل بيت من بيوتنا سواءً أكنا في الشرق أم في الغرب أم في الشمال أم في الجنوب نشعر بأن هناك رغبة من أبنائنا في أن يتحدثوا بلغة الآخر، نشعر بأن هناك عزوفًا – ربما يكون مقصودًا أو غير

مقصود – عن استعمال اللغة العربية في المحادثات والمراسلات، بحيث أصبح مما يُرى في كل يوم أن المتحدثين يتطلعون إلى النطق بلغة أخرى من أجل أن يبرهنوا على أنهم حداثيون وأنهم متقدمون. هذه هي المشكلة التي نعيشها اليوم، والتي نريد أن نصل فيها إلى حل، ليس على مستوى الجمعيات التي استمعنا إليها وهي كثيرة، ولكن على صعيد أصحاب القرار السياسي.

النقطة الأساسية هي الوصول إلى القمة، الوصول إلى مخاطبة الذين بيدهم أن يفرضوا آراءهم حول ما يتصل بهذه اللغة، من المؤسف أن نرى اليوم عددًا كبيرًا من الدول التي لا أصل للغاتها تتحدَّانا بإدخال العلوم لتُدرّس بلغاتها في مدارسنا. ولذا نحن اليوم نقولها بكل صراحة لابد أن نوجِّه الكلام إلى الذين بيدهم القرار السياسي من أجل طرد هذه اللغة سواء من المدرسة أو الجامعة، نحن لسنا ضد لغة أخرى، نحن من الذين يؤمنون بقول جوته الفيلسوف الألماني: من لم يعرف من اللغات إلا لغته فقد جهل حتى لغته. نحن مع التفتح، ولكن التفتح لا ينبغي أن يكون على حساب لغتنا. فنحن عربٌ مادمنا متمسكين بلغتنا، ونحن قنافذ بدون شوك إذا لم نتمسّك بلغتنا، والقنفذ بدون شوك فأر كبير، وأنا لا أريد أن نكون فئرانًا؛ لذلك أعود إلى المَطْمَح وإلى التطلع الذي أُعربُ عنه – أمام هيئة المجمع، ونحن تحت سقف بيت العروبة – يجب أن نعمل على تفعيل دور اللغة العربية. أنا لا أخفي عنكم أنني في الأسبوع الماضي سمعت موظفين في الجامعة العربية يدلون بتصريحات في بيوت عربية بلغة غير اللغة العربية، وهذا أمر غريب، إذا أردنا أن يتطلع الناس إلى لغتنا فعلينا نحن أن نتكلم في بيوتنا باللغة العربية. كنت خجولاً حقيقة في الأسبوع الماضي أن أسمع موظفًا من الجامعة العربية

يتكلم بلغة أخرى غير اللغة العربية أمام العرب ويرتكب لحنًا فظيعًا فيما يتصل باللغة العربية. علينا نحن أن نكون في بيوتنا غيورين على هذه اللغة عاملين على رفعة شأنها، وشكرًا لكم.

الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع:

شكرًا للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي، والكلمة الآن للأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور عضو المجمع فليتفضّل:

الأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد، فأبدأ بتحية الحاضرين جميعًا بهذا اللقاء العلمي ونشكر الذين أسهموا في إقامته وفي إنجازه. لديّ بعض التساؤلات أُوجِزها فيما يلي:

ما الجهود التي ينبغي أن تبذل من أجل استكمال ما سبق أن قام به أعضاء هذا المجمع؟ وما العقبات التي تقف في وجه هذه الجهود؟ هذه الأسئلة يُتوقع أن تكون لها إجابات في المحاضرة المكتوبة؛ حتى يستضيء الناس ويعرفوا قدر هذا المجمع وجهوده المتوالية المتواصلة التي يسهر عليها علماءُ كثيرون يبذلون من وقتهم وجهدهم ما ينبغي أن يكون موضع التقدير للغة العربية ولمجمع اللغة العربية، وأقول إننا في بداية هذا الحفل العلمي أرجو أن نصل في نهاية الأمر إلى أن نغرس في أذهان المستمعين جميعًا سواءً أكانوا في داخل المجمع أو في خارجه فكرة هيبة اللغة العربية واحترام اللغة العربية والحرص عليها. وهذا أمر لا يستطيع المجمع وحده أن يقوم به وإنما يجب أن تقوم به الأمة كلها والمجمع في الطليعة، ولكنه لا يمكن له وحده أن يقوم بهذا الأمر. وكل الأمم التي تحترم نفسها وحضارتها تبذل

الجهد في احترام لغتها وفرضها على مواطنيها – (ليس الفرض القهري، ولكن الفرض بالتعليم والإعلام وبكل الوسائل) – ثم تحاول أن تفرض هيبة هذه اللغة على العالم كله، ولقد استمعت إلى بعض المؤتمرات الدولية التي تُعقد في مواطن متعددة من العالم كان أصحابها حريصين على أن يتحدثوا بلغاتهم، وكانوا يستحضرون مِن المترجمين مَن يترجمون لغاتهم إلى لغات أخرى ويتدخل هؤلاء لتصويب الترجمة عندما تخرج الترجمة عن التعبير الدقيق عن مراد أصحابها بلغتهم الأصلية. ليتنا نستطيع أن نصل بما نطلبه الآن إلى سلطة لغوية لمجمع اللغة العربية، حتى يمكن لهذه اللغة أن تسود في مواقع العلم والتعليم وأدوات الاتصال وأدوات التخاطب، وحتى تستقيم اللغة على ألسنتنا وتسهم في بناء حضارتنا ويكون المجمع في ذلك قد أدى للأمة خدمة جليلة بأن وضع أقدامها على الطريق الصحيح، وشكرًا.

الأستاذ فاروق شوشة:

شكرًا للأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور، والكلمة الآن للأستاذ الدكتور عبد الرحمن العوضي الأمين العام لمركز تعريب العلوم الصحية بالكويت والوزير الأسبق للصحة، وضيفنا في هذا العيد الماسي، فليتفضل:

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العوضي:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، والسلام عليكم جميعًا ورحمة الله.

أنا سعيد جدًا أن أُدعى إلى هذا الاجتماع الذي نحتفل فيه بمرور خمسة وسبعين عامًا على إنشاء مجمع القاهرة، ولقد استمعنا إلى مراحل إنشائه، وأشكر الأستاذ فاروق شوشة الذي ألحّ عليَّ أن أحضر وأنا لست من

أعضاء المجمع، ولم تكن بيني وبين هذا المجمع أية علاقة عملٍ تربطني به، إنما أثارني فعلاً ما تفضل به الدكتور كمال بشر الذي وضع يديه على أماكن الخطأ والصواب، إنما أنا شخصيًّا باعتباري وزيرًا وطبيبًا أقول إن كان هناك في هذا المجمع جيل من الخالدين فهناك جيل من التابعين، فقد حاولنا أن نتمسك بهذه اللغة، وأنا طبيب، وحضراتكم تعلمون أن الأطباء يتعلمون في الوطن العربي باللغة غير العربية إلا في سورية، وكأطباء متحمسين للغة العربية أتذكر أنا والدكتور هيثم الخيّاط والدكتور حسين الجزائري، والدكتور علي فخرو أن تجمّعنا مصادفة ونحن وزراء في فترة من الفترات، ووجدنا أن هناك فاصلاً بين المريض والطبيب، لا نستطيع أن نتكلم مع المريض بلغته، وهذا أمر هام وخاصة في الطب فلابد أن تعرف لغة المريض، فأصابنا الوهن وأصبحنا في حزن شديد؛ لأننا لا نقبل هذا الأمر، ولا نقبل إلا أن نكون كما كنا في طليعة حمل الحضارة. وكم يتألم الإنسان حينما يسمع وهو طبيب عربي مسلم عن الأطباء العرب ومساهماتهم لأستاذ يهودي، كيف بهذه الثقافة العربية الإسلامية التي تعلمناها والتي برع فيها أجدادنا، كيف الآن نتعلمها من يهودي؟ نحن الآن جيل التابعين نجد أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية في التعليم سواء أكان جامعيًّا أم غير جامعي، ولكن أين الجامعات التي تدرس العلوم باللغة العربية؟ ولأننا متحمسون للغة العربية أنشأنا مركزًا لتعريب العلوم الصحية بالكويت وهو تابع لمجلس الوزراء العرب، وذلك لأننا رأينا أن هناك صعوبة في التحدّث بين الطبيب والمريض. ورغبنا باعتبارنا أطباء منتمين إلى وزارة الصحة أن نجتمع مع المسؤولين في وزارة التعليم العالي ونحاول أن نقنعهم، ولكنهم قالوا لنا إن

حل القضية عند اتحاد الجامعات، ذهبنا إلى اتحاد الجامعات، فقالوا لنا إن حل القضية عند عمداء كليات الطب، لذا أقول لابد من إصدار قرار سياسي يُجبر الجامعات على تعليم أبنائها بلغة بلدهم، فالجميع يعلم أن هناك تيارًا شديدًا جدًّا يريد أن يمحو اللغة العربية وهويتنا العربية. فلولا الدين الإسلامي والقرآن الكريم ما حُفظت اللغة العربية على النحو الذي نراه الآن، فنحن نرى الباكستانيين والإندونيسيين يحفظون آيات القرآن الكريم، ويعرفون اللغة العربية؛ لأنهم مسلمون، ولذا أقول على الرغم من وجود هذا التيار فإن الدين يحفظ اللغة، وجهود هذا المجمع بارزة وكلنا يشكرها، وما ينقص هذا المجمع إلا الأدوات التنفيذية حتى لا تظل قراراته حبرًا على ورق. نحن بحاجة إلى مراكز لتعريب العلوم الطبية كمركزنا، وتعريب العلوم الهندسية، وتعريب العلوم الطبيعية. وأنا أدعو هذا المجمع إلى أن ينتقل نقلة نوعية إن شاء الله لإنشاء مراكز تستثمر هذا الجهد العظيم الذي يبذله حتى لا تضيع اللغة ولا تضيع الهوية ولا تضيع الأمة. ليتنا نحافظ على اللغة، واللغة لا يحافظ عليها إلا بأسلوب علمي تطبيقي، وأنا من هنا أقول الخوف كل الخوف من الفضائيات؛ فهي كاسحة حاقدة على الأمة العربية، ومن ثم الخوف كله منها أن تدمر هذه اللغة؛ فهذه الفضائيات تساعد على نشر اللهجات على حساب اللغة الفصحى، ونحن لم يبق أمامنا إلا أن نحافظ على هذه اللغة، وشكرًا.

الأستاذ فاروق شوشة:

شكرًا للدكتور عبد الرحمن العوضي، وسنستمع غدًا إن شاء الله إلى حديث مطوّل ومعمَّق عن دور هذا المركز الذي أشار إليه سيادته في تعريب العلوم الصحية.

أما الآن فمع الأستاذ أحمد شفيق الخطيب عضو المجمع من فلسطين فليتفضل:

الأستاذ أحمد شفيق الخطيب:

بسم الله، كلمة أستاذنا الدكتور بشر أثارت في ذهني ثلاث وقائع:

الأولى: أن أستاذًا أمريكيًّا كان يُدرِّس ويسمح للطلاب بحضور فترة أسبوعية، وكنا نحن – طلاب العلوم – نحضر عنده أكثر من طلاب التاريخ، عندما عاد من أمريكا – وهو من تلاميذ الدكتور فيليب حِتِّي – أحضر معه بناته الثلاث، عندما كنَّ يذهبْن إلى المطاعم كنّ يتكلمن بالفصحى، وكانت طريقة كلامهن تثير ضحك الناس في الشارع، ولكنهن أصررن على أن يتكلمن بالفصحى سواء في الشارع أو في الجامعة أو في أي مكان، وكل هذا لأنهن يتكلمن في أمريكا مع والدهن ومن يجاورهن بالفصحى فقط.

الواقعة الثانية: مؤسسة المقاصد وهي مؤسسة تعليمية مشهورة في لبنان لها حوالي ١٥٠ مدرسة تقريبًا، في أوائل السبعينيات تقرر تحويل تعليم العلوم والرياضيات إلى اللغة العربية، وبدأت الفكرة في التنفيذ، وكان النجاح في بضع السنوات الأولى متميزًا، ولكن موقف الأهالي أجبر الإدارة في المقاصد أن تعود إلى التعليم باللغة الأجنبية في كل مدارسها، مع أن نسب النجاح كانت متميزة جدًّا، حتى أن بعض الأساتذة قالوا إن لغة الطلاب الإنجليزية تحسَّنت عندما صاروا يدرسون اللغة الأجنبية كلغة، ويدرسون العلوم باللغة العربية، ولكن ضغط الأهالي أدى إلى التغيير، لماذا؟ لأن الذين يذهبون إلى البنوك وغيرها يحتاجون إلى اللغة الأجنبية، وهذا يعني أن الأمر يحتاج أن نضع في فكر الناس ضرورة تعلم اللغة العربية.

الواقعة الثالثة: في العشرينيات من القرن الماضي قدَّمَت الجالية الألمانية لدائرة المعارف منحة لتأسيس مدرسة، وعندما بدأت في السنة الأولى أحضرت الجالية أساتذة ألمانيين لتدريس المادة العلمية، أضرب الطلاب عن الحضور وأيدهم الناس وكذلك الجرائد العبرية، فاضطرت إدارة المدرسة إلى استحضار أساتذة يترجمون من الألمانية إلى العبرية، ليدرس بها الطلاب.

يا سادتي بأواخر القرن الماضي كان هناك مؤتمر للنوويات، وكانت اللغة الرسمية لهذا المؤتمر باللغة العبرية.

الأستاذ فاروق شوشة:

شكرًا للأستاذ أحمد شفيق الخطيب والآن نستمع إلى الدكتور حسن بشير صديق من السودان.

الأستاذ الدكتور حسن بشير صديق:

سعدت باستماعي إلى هذه المحاضرة القيمة التي ألقاها الدكتور بشر، ومداخلتي في إضاءة تستهدف جزئية ذات أهمية قصوى في تقديري، وهي الجزئية التي قال فيها سيادته: نريد لغة موحَّدة، وقبل شهرين تقريبًا حضرنا مؤتمرًا للمؤسسة العربية ووزارة التعليم السورية في دمشق فاستعمل الإخوة المغاربة مصطلحات لم يفهمها الإخوة المشارقة، واستعمل الإخوة المشارقة مصطلحات لم يفهمها الإخوة المغاربة، واستعمل إخوتنا في وادي النيل مصطلحات لم يفهمها إخوتنا المشارقة ولا المغاربة. وهذه مسألة تحتاج إلى توقف وإلى حل. والحلُّ في تقديري هو إنشاء مجمع اللغة العربية القومي تحت مظلة جامعة الدول العربية؛ لأن هذا المجمع القومي يمكن أن يُناط به توحيد المصطلحات العلمية، ويمكن أن يُناط به إنجاز مشروع الذخيرة

اللغوية العربية الذي تبناه مجمع اللغة العربية الجزائري، ولكنه – في حد علمي – لم يسر إلى الأمام. ويكون مسؤولاً أيضًا عن تبني مشروع تعريب التعليم الجامعي بالوطن العربي، وتقديم العربية لغير الناطقين بها؛ لأن هذه رسالة العروبة والإسلام، فينبغي أن يُنشأ مجمع قومي يقوم بهذه الرسالة ويتبنى مشروع تحرير الخطاب العربي الرسمي، وأن يدعو إليه السياسيين، وأن يتبنى أيضًا مشروع تأصيل اللغة العربية الموحَّدة ومشروع مواكبتها للعصر، فهذه كلها عندما تكون من أعمال مجمع قومي ليس منتميًا إلى بلد ولا إلى حكومة ولا إلى قُطر، يكون التأصيل هنا قويًّا وأنفع، ويكون بداية توحيد لهذه الأمة، وهذا هو الهدف الأساسي الذي أشار إليه الدكتور بشر، فتكون اللغة موحَّدة وموحِّدة لأهلها إن شاء الله، وشكرًا لكم.

الأستاذ فاروق شوشة:

شكرًا للدكتور حسن البشير، والمداخلة الآن للدكتور أحمد الضبيب عضو المجمع من السعودية، فليتفضل:

الأستاذ الدكتور أحمد الضبيب:

بسم الله الرحمن الرحيم، شكرًا لأستاذنا الجليل محمود حافظ رئيس المجمع والإخوة الكرام أعضاء المجمع، وشكرًا لأستاذنا الجليل الدكتور كمال بشر على محاضرته القيِّمة التي أثارت شجونًا كثيرة، والتي لا يكفي هذا الوقت لمناقشة وقائعها، ولعل الأيام القادمة تلم ببعض القضايا التي تحدث عنها سعادته. من أهم ما توقف عنده الأستاذ الدكتور كمال بشر قضية التعليم، والواقع أن هذه هي القضية المركزية بالنسبة للغة العربية، ذلك أن المشكلة الكبرى التي تعانيها اللغة العربية الآن هي ذلك الأساس الوجداني

والنفسي الذي زُلزل من أساسه، والذي نجد كثيرًا من المحاولات للقضاء عليه، حتى يصبح العربي إمعة لا هوية له. فقضية التعليم والصراع حول التعليم باللغة العربية قضية قديمة، ولهذا البلد الكريم مصر العزيزة جهود كبيرة في هذا، فحينما دخل الإنجليز مصر، حوّلوا التعليم جميعه إلى اللغة الإنجليزية، وبقي التعليم عشرين سنة يدرس باللغة الإنجليزية منذ المدارس الأولية، وكان موقف الشعب المصري موقفًا عظيمًا فقد امتنع كثير من أبناء الأمة عن إرسال أبنائهم إلى المدارس، ثم في سنة ١٩٠٧م ناقشت الجمعية العمومية موضوع التعليم في مصر وضرورة إرجاعه إلى اللغة العربية، وقف في هذا الوقت ناظر وزارة المعارف سعد زغلول وقال لأعضاء الجمعية كيف نعيد التعليم إلى اللغة العربية وكل شيء في البلد بالإنجليزية، الجمارك والإدارات الحكومية والشركات، وما إلى ذلك؟ لاحِظوا أن الوضع يكاد يشبه الوضع الذي نعيشه الآن، وكل شيء في السوق باللغة الإنجليزية، ولكن أعضاء الجمعية العمومية في ذلك الوقت كانوا من الشجاعة ومن الوطنية بحيث يقررون إعادة العربية إلى التعليم في ذلك الوقت، واحتفظت مصر بمكانتها العظيمة باعتبارها قلبًا للوطن العربي وذلك بوقفتها التي لا ينساها التاريخ، وتقدَّمت تقدُّمًا كبيرًا عن كثير من البلدان التي استمرت فيها اللغات الأجنبية إلى الوقت الحاضر، نحن الآن في وقت مشابه لذلك الوقت. هجوم شديد، لكن كان في الزمن الغابر الهجوم عسكريًّا يحمل معه الثقافة واللغة، أما نحن الآن فإننا نستقبل هذا الهجوم بصدر رحب ونفسح له الطريق، وندعوه بكل ترحاب ونتبرج له كثيرًا، هذا التبرج اللغوي الجديد لابد له من وقفة؛ فالتعليم في اعتقادي هو اللَّبنة التي يمكن أن تعيد للأمة

هويتها مرة أخرى، الموضوع طويل وقد يحتاج الكثير، ولكن صاحب القرار لابد أن يبدأ بالتعليم أولاً سواء في المدارس أو في الجامعات، وما تفضل به الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العوضي عن موضوع الجامعات هو موضـــوع خطير ومهم، فكل جامعة في الدول العربية تقول إن اللغة العربية هي لغـــة التعليم، ويجوز عند الحاجة التدريس باللغات الأجنبية، ولكن هذا الاســـتثناء ينعكس ويصبح هو القاعدة، وتصبح هذه المادة في نظام الجامعة مفرَّغة من محتواها، والواقع هذا ما يحدث أيضًا في الدساتير العربية، فكلها تنص على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد ولكنها لا تتعامل بهذا، على أية حال نكرر الشكر للدكتور بشر.

الأستاذ الدكتور كمال بشر:

الشكر الجزيل لكل السادة الذين عقبوا على هذه المحاضرة، وإلى لقاء آخر إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

اليوم الثاني

(الجلسة الأولى)

محاضرة

للأستاذ الدكتور فيديريكو كورينتي

عضو المجمع المراسل من إسبانيا

بعنوان:

"اللغة العربية في مواجهة تحديات العصر" (العلاقة بالعولمة)

العولمة، وما أدرانا ما العولمة؟ إنها لفظة مستحدثة في أيامنا هذه للدلالة على تحول الكرة الأرضية كلها بما تحتوي عليه من شعوب وقبائل، ومن عناصر وأجناس، إلى ما يُسمّى بالقرية الشاملة أو العالمية، وذلك نتيجة لتقارب مقومات العمران من مجتمع واقتصاد وقانون وعقائد ... إلخ، وهذا التقارب قد أصبح ملموسًا فعلاً في بعض الميادين دون غيرها في مناطق شاسعة من العالم.

وقد نُسب ذلك إلى تقدم البشر السريع في القرنين الأخيرين، ومن المتفائلين من يراه تقدمًا صحيحًا متزايدًا متكاملاً حتميًّا، ومن المتشائمين من يشك في صحة اتجاهه وفي اطراده واتساعه في القضايا المادية والمعنوية على السواء، بل وفي حسن نية بعض المشيدين به.

ونحن نرى، كما قلنا في محاضرة سابقة ألقيناها في أثناء إحدى جلسات المجمع الأخيرة، أن هذه العولمة ليست الأولى، إذ قد سبقتها أمثالها على مر الزمان، مع اختلاف شأنها وأثرها ومقاديرها بالطبع، وعلى تشابهها الأصلي في ذاتها وجوهرها، لأن المشترك في جميعها أكثر من المختلف، كما يتبين لمن اطلع على أحوال دولة الإسكندر، مثلاً، ثم قارنها بأحوال الإمبراطورية الرومانية، أو بالدولة الإسلامية الأولى، أو بالدول الغربية في العصر الحديث، أي: إسبانيا وفرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية،

المتعاقبة في الهيمنة العالمية، مع اتساع ممتلكاتها أو إشرافها الفعال على أكثر من قارة واحدة وتثقيف رعاياها بثقافاتها المجسدة في فرض لغاتها وقوانينها الخاصة وجانب كبير من عقائدها الدينية ومثلها العليا الجمالية والأخلاقية عليهم. الأمر الذي أدى بلا أدنى ريب إلى قطع الأمم المشاركة في تلك العولمات أشواطًا بعيدة في الرقي المادي أو المعنوي أو في كليهما معًا، ويجب الاعتراف بأن تلك الظواهر التاريخية لم تخل من آثار سلبية جدًا في بعض الأحيان، بما فيها من جرائم شنيعة ضد الإنسانية، كاستئصال الملايين من الناس على يد الاستعمار في أمريكا وأفريقيا وأستراليا، والقضاء على حضارات مزدهرة رفيعة، كما جرى مثلاً في أمريكا الجنوبية والوسطى.

ويتجلى من أبسط دراسة للتاريخ أن الفرق الوحيد أو الرئيسي بين تلك الدول المهيمنة أثناء فترات من الزمان وعولمة أيامنا هذه مقتصر على أن هذه الأخيرة متسعة على العالم كله، أو تستهدف ذلك على الأقل، في حين أن تلك الدول السابقة، مهما عظم شأنها، ما لبثت أن وقفت أمام حدود لم يمكنها تجاوزها، سواء أكانت حدود دولة أخرى لا ترضى بالخضوع، أم غيرها من حدود الطبيعة أو الإنسان المتنوعة. وقد يظن البعض أن هناك فرقًا آخر، أي أن عولمة عصرنا هذا تحثها أغراض اقتصادية وعمرانية تشترك فيها دول كثيرة، على خلاف شأن الإمبريالية الكلاسيكية المعهودة، ولكن هذا الفرق في نظرنا وفي نظر الكثيرين مجرد فرق مدعى أو عرضي فقط، وليس جوهريًا، إذ إن وراء تلك الأغراض دولة واحدة أو كتلة من عدة دول معينة تقصد مثل ما قصدت الدولة الإمبريالية الواحدة في القرون الخالية من أهداف مُغرضة في غير صالح الجميع.

أو قد يقول بعض الناس من المقتنعين بفوائد العولمة الحاضرة المعجبين بفضائلها إنها تخالف الإمبريالية مخالفة تامة في نقطة مهمة جدًا، أي أنها مفيدة للجميع غير مضرة لأحد من البشر، وما أجمل هذا لو صح وثبت في المستقبل العاجل على عكس المحقق حتى الآن!

على أن مناقشة مناقب العولمة الاقتصادية والاجتماعية ومثالبها لا تخصنا اليوم، ونحن في أكناف مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وإنما مهمتنا أن نعتني بالجانب اللغوي المكنون دائمًا في أية عولمة، فلم تنتشر أكبر لغات العالم إلا عقب هيمنة الدول الناطقة بها، ولا شاهد أحدث ولا أدل على هذا الأمر مما فازت به الإنجليزية من نجاح وإقبال في النصف الثاني من القرن الماضي على حساب الفرنسية خصوصًا، وذلك نتيجة لنفوذ إنجلترا والولايات المتحدة السياسي والاقتصادي، وقد آل أمرها إلى غاية لا يكاد يجوز للمثقفين المعاصرين أن يجهلوا الإنجليزية، فضلاً عن أهل السياسة والاقتصاد، بما أنها تعتبر لغة العولمة بدون جدال.

فبالتالي ينبغي أن نلفت أنظارنا إلى أحوال هيمنة اللغات السائدة أثناء فترات العولمات الماضية لكي نستطيع أن نقيس عليها فننذر بعاقبة هذه العولمة الحاضرة. وإذا أمعنا النظر في الظواهر الاجتماعية وجدنا حالتين مختلفتين فيها، إما أن تغلب اللغة السائدة على غيرها غلبًا تامًّا شأن اللاتينية في غربي أوربا إثر الفتح الروماني، وإما أن تتعايش السائدة والمسودة على اختلاف الأوضاع فيما يتعلق باستمرار هذا الحل الوسط وتفضيل كل واحدة من اللغتين لأغراض معينة.

والحكم في ذلك متوقف على ظروف شتى من شهرة اللغة المسودة وإخلاص الناطقين بها لتراثهم القومي ... إلخ، نضرب مثلاً لذلك ما هو مشهور من عدم تقهقر اليونانية في شرقي الإمبراطورية الرومانية وقلة حرص سكانه على تعلم اللاتينية مع كونها هي اللغة السائدة، إلى درجة اضطرار الموظفين الرومان إلى إجادة اليونانية، إن أرادوا تولي المناصب في تلك البقاع، وهي قصة تكررت أيضًا عندما غزا المغول الصين وإيران فكانت الصينية والفارسية والأوردية هي الغالبة على المغولية.

أما ما يتعلق بالفتوحات الإسلامية فمعروف أن اللغات المحلية ظلت مستعملة عدة قرون إلى جانب العربية الرسمية والغالبة، فانقرض بعضها كالقبطية في الديار المصرية، وتقهقر البعض الآخر تقهقرًا كبيرًا، كالآرامية في الشام والعراق أو كالحميرية في جنوبي جزيرة العرب، وربما انتعش بعضها واسترد رونقه بعد طول خمول كما جرى للفارسية في إيران.

فيتضح من مقارنة هذه الحالات أن شهرة اللغة ودرجة ثقافة الناطقين بها تساعدانها على البقاء والتغلب على النكبة – وإن عظمت – وكذلك يفعل إخلاصهم البحت أحيانًا، كما يلاحظ في تمسك البرابرة بلهجاتهم في شمالي أفريقيا، مع خلوها من أدب كتابي ووجوب لجوئهم إلى العربية في جميع أغراض الحضارة والدين.

وإذا رجعنا إلى الوقت الحاضر الذي يعنينا، فالسؤال المهم هو: ماذا عسى أن يكون مصير لغات العالم المواجهة لتحدي هذه العولمة؟ والأجوبة تختلف بالطبع وفقًا لعقول الناس وطباعهم وميولهم العقائدية، ومنهم

المتكهنون بانتصار اللغة الواحدة في مستقبل البشر العاجل أو الآجل، ومنهم من يحسب ذلك الانتصار غير مؤدٍّ إلى انقراض أهم لغات العالم التي ستبقى لا محالة متداولة في أوطانها في شبه الازدواجية القائمة الآن في مناطق واسعة من العالم، ومنهم أخيرًا من لا يصدق بأن شأن هذه العولمة غير شأن أمثالها فيما سلف من الزمان، أي أن اللغة السائدة اليوم ستقوم مقامها لغة أخرى بدورها غدًا، ثم أخرى فأخرى إلى أن يرث الله الأرض بما فيها، كما نعلم أن نسبة انقراض اللغات الصغرى الموجودة في كل وقت قد تتزايد أو تتقلص باستمرار من جرّاء عوامل عمرانية يصعب تخمينها، ولعل هذا الرأي أصوب، إذ لا داعي لتصديق نظرية "نهاية التاريخ"، أي أن تاريخ البشر قد آل إلى أوضاع لا يمكن فيها تكرار انقلابات الماضي العظمى.

أما نحن، معشر العرب والمستعربين المحبين للعربية وآدابها وثقافة أبنائها، فالسؤال الثاني الذي يهمنا بهذا الخصوص ويغمنا أحيانًا هو: كيف يا تُراكُم ستؤثر العولمة الحاضرة السائرة تحت لواء الإنجليزية في مصير لغة العروبة العزيزة علينا المعدودة إحدى اللغات الخمس التي وضعت عليها أسس حضارة البشر، إلى جانب اليونانية واللاتينية والصينية والسنسكريتية.

ولا يخالجنا أدنى شك في قابلية العربية وقدرتها على مواجهة هذا التحدي في حوزتها، وعلى البقاء فيها سائدة غير مسودة، مع توقع ازدياد إقبال على تعلم الإنجليزية كلغة الاتصال بالخارج والنشاط الدولي، خصوصًا في الأقطار العربية التي كانت تلعب فيها هذا الدور لغة أخرى إلى الآن، شأن الفرنسية في شمالي أفريقيا. ومن أقوى الأدلة على رسوخ قدم العربية

في اسواق بضائع العولمة سرعة تطبيق أحدث المخترعات الكهربية من أدوات وبرامج على خصائص الخط العربي.

ولا تتعرض العربية من جهة أخرى لنقصان الإقبال على مطبوعاتها عن مستوياتها الحاضرة، مع كونها دون ما تستحق هي من العلو، على غرار ما قد اعترى الفرنسية والألمانية، مثلاً، في السنين الأخيرة عقب تحول عدد كبير من قرائهما من سوى أهاليهما إلى تفضيل المطبوعات الإنجليزية. وذلك أن معظم قراء العربية غير أجانب، إن لم يكونوا مسلمين مقدرين للغة الإسلام فوق سائرها، يترتب على هذه الميزة أن رواج الكتاب العربي ونجاحه في الأسواق الداخلية الطبيعية غير مهدد بالعولمة على خلاف تينك اللغتين المذكورتين وغيرهما من أخواتهما الأوربيات كالإيطالية والروسية ... إلخ، وإن كان انخفاض عدد القراء المطلق في العالم كله بالنسبة إلى تضخم الوسائل الإعلامية الصوتية والبصرية في الأجيال الحديثة من أعوص مشاكل الثقافة العربية هي الأخرى.

ولا يخفى على أحدنا خطر استيلاء هذه الوسائل على الرأي العام وتأثيرها السلبي غالبًا في مستوى ثقافة المجتمع، مع سهولة تسييرها في اتجاه معاكس لمصالح المواطنين الحقيقية، مادية كانت أم معنوية، لكون تلك الوسائل عادة ملكًا لشركات متعددة الجنسية غير صافية النية أحيانًا أو لاحتكارات حكومية أكثر عناية بالسياسة منها بتثقيف الجمهور، وهي بلوى كادت أن تعم جميع البشر، لا يمكننا أن نتصدى لمعالجتها الآن، فالأجدر بنا أن نعود إلى ما يخص العربية وأبناءها من تحديات العولمة.

ونحن نميل، على أساس ما سبق لنا ولغيرنا من التجارب والدراسات، إلى قبول أن العولمة – أية عولمة كانت من حاضرة أو ماضية – تؤدي من حيث أثرها في أوضاع العالم اللغوية، إلى تقسيم اللغات الموجودة في حينها إلى ثلاث مراتب: أولاها – مخصوصة باللغة السائدة وحدها. تليها مرتبة ثانية متوسطة الشأن محتوية على لغات العالم الكبيرة غير المهددة في بقائها وحوزتها تهديدًا خطيرًا، كحالة العربية في أيامنا هذه. وذلك على خلاف المرتبة الثالثة المتكونة من اللغات الصغرى التي تمسي، وإن لم يكتب لها الانقراض ضرورة، عرضة لمصير غير مأمون لمجرد كسادها في أسواق الحضارة الخاضعة كسائر الأسواق لقانون العرض والطلب.

على أننا لسنا من السذاجة بحيث نرى جميع لغات الطبقة الثانية متساوية الصنف تساويًا تامًّا، فإن مجرد تسميتها باللغات الكبيرة لا يعين مقادير كبرها وأنواعها، فلا شك أن وضع الألمانية مثلاً في تلك الطبقة غير شبيه بوضع الفارسية، وإن كانت كلتاهما كبيرتين من حيث عدد الناطقين بهما وأثرهما في الحضارة العالمية، وهذا صحيح أيضًا في حالة اللغة العربية، على اختلافها المعروف لدى الجميع، فيجوز إذن أن نصنف لغات المرتبة الثانية تصنيفًا تراعى فيه بعض المعايير الإضافية، إلى عدد الناطقين والتأثير الحضاري، كعلاقة اللغة العليا بلهجاتها، واستمرار أهميتها الحضارية في الماضي والحاضر، واتساع العناية بها في داخل حدودها السياسية وخارجها، وجِدّ المسؤولين عن تخطيط مستقبلها ... إلخ.

فإن لبعض هذه الظروف أثرًا إيجابيًّا في تقدير اللغة المعيَّنة، ككثـرة الناطقين وطول مدة دورها المهم في الحضارة العالميــة، وانتــشارها فــي الخارج، ودرجة استعدادها لمطاوعة متطلبات المستقبل، على عكس الظروف السلبية من قبيل تراجع اللغة الفصيحة أمام اللهجات الإقليمية، وحسبنا ذلــك إشارة إلى أن العربية تتوفر على أكثر المقتــضيات لتــصدر مرتبتهــا، لأن أبناءها يعدون بمئات الملايين، منتشرين فــي مــشارق الأرض ومغاربهــا، بالإضافة إلى الإقبال عليها في أوفر الأقطار الإسلامية سكانًا، مثل باكــستان وإندونيسيا وإيران وتركيا، ولا ينقص العربية أيضًا بلاء حسن فــي ميــدان الحضارة العالمية طيلة قرون، ولعل أهم الخلل في مؤهلاتها للفوز بقــصب السبق في هذه الحلبة منحصر في بعض التهاون الملاحظ أحيانًا في تخطــيط مستقبلها، وفي الحرص على الوفاء للفصحى في كل مظهــر مــن مظــاهر الحياة، وذلك ناجم عن تكاثر الأقطار العربية مع الاختلاف فــي مناهجهــا التربوية وسياستها اللغوية.

صفوة قولنا هذا، أولاً – إن العربية تحتل منصبًا مرموقًا في مرتبــة اللغات المستعدة لمواجهة تحدي العولمة. وثانيًا – إن هــذا المنــصب قابــل للتحسن على شرط اتخاذ التدابير اللازمة المستعجلة في النقط الضعيفة بنــاء على خطط حسنة التصميم كافية التمويل. ولا نجهل أن الحكومات العربيــة بواسطة أنظمتها المنوط بها هذا الأمر تعمل منذ زمن علــى تحقيــق هــذه الأهداف، مؤمنة بقداستها غير محتاجة إلى تنبيه أو استحثاث، وإنما مرادنــا أن نشير إلى ما قد يمكن إصلاحه سريعًا بهذا الــصدد، كالــذي لاحظنــاه، بوصفي أستاذًا للدراسات العربية والإسلامية في جامعات أوربية، من فتــور

التعاون في هذا الميدان بين البلاد العربية والدول الغربية، لاسيما منها المجموعة الأوربية المجاورة لها، القريبة من فهمها، المجسم مثلاً في عدم الاتفاق على تخطيط مشترك، على الأقل في خطوطه العريضة، لسياساتها اللغوية تجاه العولمة، مع أن المجال واسع لهذا النوع من التعاون وفوائده كثيرة للجميع.

فبالفعل، إن هذا التعاون لقائم على قدمٍ وساقٍ في المجموعة الأوربية بواسطة برامج إيرسموس وسقراط لتبادل الطلب والأساتذة الجامعيين وتدريبهم على استعمال لغات أوربا المختلفة، وتفادي أحادية اللغة وهيمنة الإنجليزية كلغة سائدة على حساب اللغات الرئيسية الأخرى، لكونهما ظاهرتين سلبيتين جدًّا معاكستين للتخطيط الأوربي الحضاري المشترك، وهذه سياسة حديثة العهد نسبيًّا، لن يظهر أثرها الكامل قبل عدة سنين، إلا أن بواكيرها قد بدأت تُجنى، إذ قد أصبح مفهومًا أن المثقف الأوربي سيكون ثلاثي اللغات على الأقل، مجيدًا للغة وطنه، وللغتين أخريين إحداهما الإنجليزية، وإن في هذا الحل توازنًا واقعيًّا مقسطًا بين حقوق الوطن والمجموعة والعالم، وضمانًا لسلامة ما يرى الناس إبقاءه من لغات وآداب وفنون مكونة لتراثهم القومي والحضاري المشترك والعالمي.

وليس هذا الوضع بالطبع جديدًا في أكثر أنحاء العالم، إذ كان تعدد اللغات، ولم يزل ضرورة للكثيرين في كل صوب وحدب، فضلاً عن شرط للارتقاء الاجتماعي، وباب من أبواب الارتزاق والمعيشة في بلاد عديدة، كما اختبره العربي وجربه من الجاهلية إلى اليوم، ولكن الجديد في القصة أن هذه

الظاهرة اتسعت لأول مرة في بلاد أوربية متشبثة بالأحادية اللغوية إلى الآن كفرنسا وألمانيا، وأن تضاف إلى لغات الأصل المشهورة منذ الأزل لغات أخرى كمالية تزيد الإنسان تفاهمًا مع جيرانه واعتزازًا بانتمائه إلى الجنس البشري المتعدد الحضارات، الذي لا يخضع للتيارات الاقتصادية والسياسية والعقائدية خضوعًا طويلاً، ولا بقاء في عقل الإنسان لغير ربه.

إننا نرى أن هذا التغير في موقف الأوربيين العتيق من تعدد اللغات في إطار العولمة قد يفيد العربية في تحسين وضعها الدولي كلغة ثانية يختارها الطلاب في الغرب، كما كانت ولا تزال تختار في الأقطار الإسلامية الآسيوية والإفريقية، وهذا الاختيار جائز قانونيًّا منذ سنين في مدارس فرنسا الثانوية مثلاً، مع أن العربية لا تدرس قبل التعليم العالي في معظم البلاد الأوربية، وبصورة غير فعالة لسوء الحظ في أكثر الأحيان.

وقد أخرجنا ذكر هذا كله في آخر محاضراتنا تحت رعاية مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عندما سئلنا عن رأينا في دور التعليم في نشر العربية في إطار العولمة سنة ٢٠٠٤م، وقلنا حرفيًّا: "إننا مقتنعون بعد طول التفكير في هذا الأمر بأن إعادة نشر العربية في الغرب، وهو أول شرط لنجاحها في معركة العولمة، يجب أن يتم عن طريق التعليمين الثانوي والعالي، إذ إن الغربيين لا يتكلمون بالعربية منذ قرون، ولا يحرصون على مطالعة آدابها العلمية والفنية، ما عدا المستشرقين القليلين وجاليات المهاجرين المتكونة في الحقب الأخيرة، المتحولة إلى عنصر مستمر يلعب دورًا مهمًّا في الاقتصاد الغربي، على خلاف دورهم الثقافي المحدود جدًّا لأسباب اجتماعية شتى".

ومن الجدير بالذكر أن بعض البلدان الغربية متعاونة مع بعض حكومات الأقطار العربية الآتي منها معظم أولئك المهاجرين في سبيل تكميل تربية أولادهم وبناتهم العامة بمواد خاصة بأصولهم اللغوية، وهو أمر جدير بالثناء، عسى أن يساعد على انتشار العربية في الديار الأوربية، على عكس الغالب على معظم جاليات المهاجر في جميع أطراف العالم مع استثناءات مشهورة، لأن الناس مجبولون على الاندماج في أية بيئة جديدة.

فبالتالي لا يتبقى لنا في آخر الأمر سوى التعليم العالي فقط، الذي بدأ أساتذته الأوربيون يعتنون بالعربية وآدابها منذ القرن الثامن عشر الميلادي، بين صادق مستنير معجب بمآثرها، ومرتزق ذنب من أذناب الاستعمار. والحقيقة المثبتة أن تشجيع هذه الدراسات كان مقرونًا بمصالح الدول الغربية الإمبريالية، كما اتضح من إهمالها السريع عند انتهاء العصر الاستعماري في النصف الثاني من القرن المنصرم. وهو أمر جلي ينعكس مثلاً في التقليل الملاحظ أخيرًا من الوظائف التعليمية في الدراسات العربية والإسلامية في جامعات أوربية كثيرة، ولكأن عناية الغربيين بالعالم الإسلامي لم تتولد من التنوير والإنسانية، بل من الطمع والنفاق، وإن ثبت عندنا أن من المستشرقين من خدم العلم ومن خدم الظلم.

ويؤسفنا على كل حال أن نرى مخاوفنا تقارب التحقق في أيامنا هذه، وأخبار الشرق الأوسط الفاجعة لا تغشى أبصار غالبية أهل أوربا ولا تمنعهم عن فرز الظالم من المظلوم، على عكس ما أحبه الظالمون، والمظاهرات في شوارع العواصم الأوربية ضد الحرب والعدوان قد شهدت بفشل قصدهم

وكذبهم وتعميتهم للأكاذيب والجرائم، كما لم ينجح من حاول أن يلحق تهمة العنف والإكراه ببعض الديانات دون غيرها، ولكن الجو لم يعد صافيًا، ومؤامرة الظلاميين ضد التنوير وتحالف الحضارات، وتعايشها السلمي لم تحجم عن تحريض بعض الناس على بعض، وهم الطامعون في الحصول على أغراضهم المشؤومة، اللاجئون إلى أية ذريعة، مريدو عولمة تخدم مصالحهم وتطلعاتهم، تقضي على تكاثر الحضارات والتفكير الحر الذي حظي به أهل الغرب منذ عصر التنوير مع الاعتراف بمشاركة سائر البشر في أسباب التقدم العلمي والأخلاقي.

قد يتعجب المستمعون الكرام من تسمية أولئك الناس بالظلاميين عوضًا عما يصفون به أنفسهم، أو ما جرت العادة بتسميتهم في الصحافة الموالية أو المعادية، إلا أننا لم نجد صفة أوفق بهم منها، لما يميزهم من تعتيم الأضواء، وتمويه اليقين، وإسكات الأصوات المعارضة، نضرب مثلاً لذلك، وهو أقصى ما يتجاسرون عليه، ما وجدناه أخيرًا في مشروع إصلاح الدراسات العليا في إسبانيا، المقدم لنا على أنه خطوة إيجابية جدًّا ضرورية للمطابقة بينها وبين برامج التعليم العالي في المجموعة الأوربية، وهو "إصلاح" – بين علامتي التنصيص – ينص على إلغاء شهادة الدراسات العربية والإسلامية التي كانت تقليدًا من تقاليد الجامعة الإسبانية ومفاخرها. ونحن نتساءل بصراحة أيستطيع أحد أن يعتقد أن إسبانيا بحكم ماضيها التاريخي ووضعها الجغرافي أصبحت في غنى عن هذه الدراسات؟ أو تريد الجبهة الظلامية بهذه المناورة أن تحرم الأجيال الشابة المقبلة من فرصة

الاطلاع المباشر على حقائق العالم العربي الإسلامي المعاصر وغير المعاصر، كما نجحت قبل عدة سنين في إغلاق أبواب المعهد الإسباني العربي للثقافة الممدوح الأثر، بحجة تأسيسه تحت كنف حكم غير ديمقراطي؟ قد نجح أعداء التنوير والعروبة في تلك المرة، وهم على وشك النجاح في هذه أيضًا دون أن ترتفع أصوات محتجة على هذا الشطط في جو من عدم مبالاة وإهمال لما لن تحمد عاقبته.

وليس مقصدي بإذاعة هذا الخبر أن أقلق من قد شبع قلقًا ولا أطالب بشكوى رسمية من طرف أية مؤسسة عربية حكومية أو غير حكومية، وأنا أفهم أن العرف السياسي قد يجعل ذلك غير لائق، ولا قول لأحد في سياسة غيره، ولكنني ذكرته للدلالة الواضحة على أن القوى المضادة للعروبة من ناحية، ولكفاح الشعوب ضد الاستبداد السياسي أو الاقتصادي أو العقائدي من ناحية أخرى، لا تزال تعمل عملها التخريبي بدون انقطاع. تنتهز أية فرصة للحصول على أغراضها، وما كانت العولمة الأخيرة لتستثنى من هذه القاعدة، بل حملت على غير محملها وجعلت خير وسيلة لفرض وجهات نظر الظلامية، منها إنكار التنوع الحضاري كصفة من أهم صفات الإنسانية وأنفعها، ورفض حتمية تتالي الدول في الهيمنة والازدهار وفي الخمول والانحطاط، فتكون أسوة تارة فعبرة تارة أخرى.

نحن – أنصار الإنسانية المنورة – غير مؤمنين بعولمة الظلامية المتألهة القائلة بأن لا دولة بعد دولتها، وإنما نؤمن بعولمة تسوية الحقوق والفرص لجميع الناس والشعوب، وتسهيل المواصلة والتبادل والتفاهم بينها.

وفى ميدان اللغة الذي يهمنا هنا نرى أن لا مفر من السماح باختيار لغة واحدة دولية، مهما كانت هي ومدة صلاحيتها على مبدأ التداول والتناوب، كما نرى وجوب الحفاظ على لغات العالم الكبيرة والصغيرة، إن كان إلى ذلك سبيل، وحمايتها عند الحاجة قوميًّا ودوليًّا، إذ نحسب كسائر اللغويين كل اللغات – وإن صغر شأنها – تراثًا للبشر جميعًا، لا تفقد إحداها دون أن نفتقر عن بكرة أبينا، وأن يفوتنا بعض خيرنا، مع أن المقادير تقضي بانقراض بعض اللغات أحيانًا، كما تقضي بموت الكائنات الحية. وهل لنا سوى الصبر إذا أتانا أمر الله وقضاؤه؟

إلا أن إيماننا بهذه المبادئ عمومًا وبقدرة العربية خصوصًا على مواجهة تحدي العولمة، كيفما كانت مدة وشدة، ونية وطوية، لا يدعنا نغض طرفنا عن طرق تحسين وضعها الحالي في هذا السباق مع فحول الحضارة، من أساليب تستطيع في نظرنا أن تساعد العربية على الانتصار في هذه المرحلة الحاسمة من مراحل تاريخها الألفي، الداعية إلى اتخاذ تدابير داخلية وخارجية للدفاع عن كفاءتها للمنافسة في أسواق العولمة، إما تمكينًا بسيطرتها على حوزتها، وهذه مهمة المنظمات العربية الداخلية، وإما توطيدًا لمكانتها في الخارج، وهذه رسالة في منتهى الحساسية والأهمية تتطلب مزيدًا من الحذق والخبرة والواقعية في المعاملات مع الدول الغربية والشرقية من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي، ومن المحيط الهندي إلى القطب الشمالي؛ للحصول على اتفاقيات المعاملة بالمثل، وتضمين تعليم العربية والحضارة الإسلامية في مقابلة تعليم أهم لغات آسيا وأوربا، كالصينية واليابانية والفرنسية والألمانية... إلخ، في الأقطار العربية، بمقتضى اتفاقيات

تختلف شروطها بالطبع على اختلاف الأحوال، فمنها مثلاً – وليست قاعدة – أحوال تقضي بإعارة أساتذة عرب أو على عكس ذلك يستحسن تدريب الأساتذة الأجانب في الديار العربية، أو إيفاد الطلاب، اتباعًا لما قد عمل به منذ بضعة أجيال في أكثر الأقطار العربية وفي البلدان الغربية، وقد ثبت أنها طريقة قليلة الكلفة كثيرة المنافع للطرفين ساعدت الكثيرين من العرب والغربيين على تدحيض الدعاية المذهبية، كما وثقت الصلات الحضارية والأخلاقية التي تربط البعض بالبعض، وقد أثبتت تجارب الماضي القريب أن كل درهم منفق في هذا الباب راجع بدنانير في المستقبل العاجل، وما أحوجنا في أيامنا هذه إلى فتح أبواب التعارف والتفاهم والتسامح والتعايش بين الضفتين، وإلى إغلاق أبواب التجاهل والتنافر والتناهض، هاربين مما سماه زهير بالمرعى الوخيم.

ثم إن هناك مجالاً آخر مهمًّا جدًّا جديرًا بأن يعتني به العلماء العرب عناية مخصوصة، وهو وجوب لفت أنظار جميع أهل العلوم إلى الاعتراف بأن العربية، فضلاً عن كونها لغة دين الإسلام وإحدى أهم حضارات الإنسانية، كانت ولم تزل لغة علمية من المرتبة الأولى، نعني بهذا وجوب إقناعهم بدولية المجلات العلمية الصادرة بالعربية، كما فعل اليهود بمجلاتهم العبرية، ونحن لا نشك في أن مستوى تلك المجلات مرتفع جدًّا في أكثر الأوقات، وأن جودتها لم تنفك تزداد في الحقب الأخيرة، مع ملاحظة أن مؤلفي المقالات قلما كانوا إلا عربًا، على عكس المعهود في المجلات الغربية من كون مؤلفيها مختلفي الجنسية، سواءً أكتبوا بلغتهم الأصلية أم ترجم كلامهم إلى لغة الضاد، أو ربما احتوت المجلات العلمية العربية على جزء

عربي وجزء عجمي محتوٍ على معظم مشاركات الأجانب، وكأن هناك حاجزًا يفصلهم عن العربية، في حين أن العرب كثيرًا ما يكتبون بلغة عجمية في المجلات العربية والعجمية، الأمر الذي يخيل إلى بعض الناس أن العربية خاصة بأبنائها، على عكس الحقيقة، وظلمًا لحقها في أن تبقى لغة عالمية يستعملها أبناؤها وغيرهم.

هذا ولا شك – في رأينا – أن في وسع الأنظمة المسؤولة عن رعاية العربية ونشرها أن تشجع المستعربين الغربيين على الكتابة بها في المجالات العلمية بجوائز وتشريفات مقابلة لما يُكَرَّم به العلماء العرب الناجحون، كما سبق أن اتفق مرارًا فيما مضى، ومعركة العولمة تقتضي خطوات جديدة طولى الباع في هذا الاتجاه.

نرجو معذرتكم في اقتباس ثانٍ من محاضرتنا السابقة الذكر الملقاة في هذا المجمع، وهو قولنا: "إن العربية لن تحتفظ بمنصبها في الفئة الثانية من اللغات العالمية المذكورة أعلاه، إن نجحت عولمة قلمية ثقافية، بغير استرداد شهرتها وقوتها لدى الدوائر المثقفة الغربية، ولا يكفي لذلك أن يزاد عدد ناطقيها ودارسيها في جميع أنحاء العالم، إن لم يقترن النجاح في ذلك بإعادة إنتاج المؤلفات العلمية المتنوعة الشعب باللغة العربية على أيدي مؤلفين عرب وعجم، كما جرت العادة أيام ازدهار الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، عندما كتب بالعربية العرب والفرس والأتراك والهنود، من مسلمين ونصارى ويهود، مؤلفات علمت العوالم الطب والفلك والرياضيات والفلسفة والعلوم عمومًا، أو ترجموها إلى العربية من اليونانية والفارسية والسريانية والسنسكريتية... إلخ.

سنذكر أخيرًا من ذكريات عمرنا الذي قضينا أكثره في خدمة اللغة والحضارة العربيتين أننا حضرنا ندوة "المعجم التاريخي" المنعقدة بتونس سنة ١٩٨٩م تحت تنظيم "جمعية المعجمية العربية" وبرئاسة الأخ الدكتور رشاد الحمزاوي، دعينا إليها مع عدد من الزملاء المتخصصين في تأليف المعاجم، من عرب وعجم، فأسفرت أعمالنا ومناقشاتنا عن قرار إجماعي بوجوب الشروع في هذه المبادرة، لكي تلحق العربية بنخبة أهم لغات العالم المدروسة إلى تحقيق تلك الغاية القصوى، ونحن أدلينا آنذاك برأينا الناتج عن خبرتنا من أن هذا المعجم لا يكتمل دون أن يكون تاريخيًّا وتأصيليًّا ولهجيًّا في آنٍ واحد، فإن للغة أصلاً وتطورًا وتفرعًا، وقد ضرب كل واحد من الحاضرين بسهمه ونصيبه في المناقشة، واقترح اقتراحات أكثرها مفيد مرحب به، ولكننا لم نسمع بجديد عن ذلك المشروع حتى الآن، فنخشى بالتالي أنه لم يخرج من مرحلة التخطيط إلى التحقيق، مع أهميته وعظيم فائدته لجميع أبناء "الضاد"، ثم للمستشرقين، ثم للمثقفين قاطبة.

فوددنا لو أنهينا كلامنا هذا باقتراح مُجْدٍ بنَّاء مزاول لخدمتنا للعربية، وذلك أن مجمع اللغة العربية القاهري، في نطاق جهوده لتأييد منصبها أمام تحديات العولمة يتبنى هذا المشروع الهام فيتخذ اللازم لتعجيل تحقيقه في مدة زمنية معقولة على أيدي لغويين معجميين عرب وعجم، ونحن واثقون بأن الموارد والمقدرة على إنجاز مثل هذا التأليف متوافرة فيما بين هنا وهناك، وبأن إيجاد مثل هذا المعجم سيدفع بالعربية إلى الأمام دفعة تقطع بها أشواطًا شاسعة في سياق العولمة.

والشكر على صبركم على رطانتي، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تعقيبات ومداخلات

على محاضرة

الأستاذ الدكتور فيديريكو كورينتي

***الأستاذ الدكتور كمال بشر:**

الشكر الجزيل لسيادة الدكتور كورينتي على هذه المحاضرة العميقة الشاملة التي أثارت فينا الشجون والآمال أيضًا، ونشكره على اقتراحه الخاص بالمعجم التاريخي، ولكن هذا الاقتراح قد أُخِذَ به وكوَّنَّا هيئة تسمى هيئة المعجم التاريخي للغة العربية – وأعضاء هذه الهيئة من جميع أنحاء العالم العربي – ووضعنا شيئًا من التخطيط وسنكمله بعد انتهاء المؤتمر، ومن الطبيعي أن نستعين بالإخوة الأوربيين المحبين للغة العربية والعارفين بها والمتعمقين فيها. وشكرًا لك على المحاضرة والآن نبدأ بالتعليقات.

*** الأستاذ فاروق شوشة:**

هو ليس تعليقًا ولكنه تكريم لهذا الرجل العالم الأستاذ الدكتور كورينتي، وهو أستاذ للدراسات المتصلة بالثقافة العربية في الجامعات الإسلامية والأوربية، وهو صاحب أحدث وأهم معجم إسباني – عربي ومحاضرته اليوم وثيقة الصلة بمحاضرة ألقاها في مؤتمر مجمع اللغة العربية في العام الماضي، وكانت حول تعليم اللغة العربية كلغة ثانية في الجامعات الأوربية، ولذلك هو مشغول بأهمية وصول اللغة العربية إلى الدارسين في الأقطار الأوربية أولاً ثم في العالم ثانيًا بالإضافة إلى أنه عضو مستعرب مراسل للمجمع نشيط ومحكم في كل ما يصدر عنه، وشكرًا.

*** الأستاذ الدكتور محمود مكي:**

أشكر الأستاذ الدكتور كورينتي على هذه المحاضرة وعلى غيرته على لغتنا العربية، وما قدمه حول التحديات التي تواجهها من جانب العولمة وهو أمر ليس بغريب عليه؛ فهو الذي عرفته منذ سنوات طويلة باحثًا جادًا

ومحبًّا قبل كل شيء للغتنا ولأدبها. بدا ذلك لا في المعاجم التي ألفها، مثـل: المعجم الإسباني العربي، والعربي الإسباني، وإنما في عشرات من الأبحاث والكتب بمختلف اللغات لأنه لا يجيد العربية فقط وإنما اللغات السامية، ويجيد كثيرًا من اللغات الأوربية الأخرى، وقد كان رئيسًا لقسم اللغة العربيـة فـي جامعة مدريد المركزية، ثم بعد ذلك هو صاحب مدرسة في جامعة سرقسطه، أود أن أعلق على ما ذكره في آخر محاضرته مـن مـسألة إلغـاء شـهادة الدراسات العليا في إسبانيا، وهذا أمر في غاية الغرابة؛ لأنني أذكر أننا حينما درسنا في إسبانيا، منذ سنوات طويلة، لم يكن فيها من الجامعـات المعنيـة بالعربية إلا ثلاث جامعات: في مدريد وغرناطة وبرشـلونة، وبعـد هـذه السنوات اتسعت العربية اتساعًا هائلاً حتى صارت هناك جامعات كثيرة جدًّا في كل أنحاء إسبانيا تهتم باللغة العربية، فكان من المفارقة الغريبة أنه مـع هذا الاتساع وهذا العدد المتكاثر من المشتغلين بالدراسات العربية تُلغى هـذه الشهادة، ونخشى أن يتم ذلك في إطار الاتحاد الأوربي أي أنه يطبق أيـضًا على الجامعات الأوربية المختلفة في مختلف بلـدان الاتحـاد، وقـد أشـار كورينتي في دبلوماسية ولياقة إلى أنه لا يدعو إلى الاحتجـاج أو الـشكوى؛ لأنه قال إن ذلك قد يُعد تدخلاً في أمور دولة أخرى هي إسبانيا حسب قوله، ولكن أقول إن هذا ليس من قبيل الشكوى والاحتجاج، إننا هنا علـى سـبيل المثال في العالم العربي – وأضرب مثلاً بمصر – توسعنا كثيرًا بالنسبة للغة الإسبانية، فهناك بالإضافة إلى الجامعات الـثلاث الموجـودة فـي القـاهرة (القاهرة وعين شمس تضاف إليهما جامعة حلوان) هناك أقسام كاملـة للغـة الإسبانية وآدابها بالإضافة إلى عدد كبير من الأقسام في جامعات إقليمية على

الأقل، نحن من الممكن أن نطالب بإعادة النظر في هذا القرار الذي اتخذ بناءً على المعاملة بالمثل التي أشار إليها الأستاذ كورينتي نفسه، ثم إنني أدعو جمعية المشتغلين بالدراسات العربية، وهي جمعية مؤسسة في إسبانيا منذ زمن طويل، إلى الدفاع عن حقوقهم في هذه الناحية والدفاع عن اللغة العربية باعتبارها مهنتهم وباعتبارها الشغل الشاغل لهم، فهنا ينبغي أن نعمل من الناحيتين. من الغريب أن يحدث هذا في الوقت الذي يكون فيه وزير خارجية إسبانيا من أكثر الناس صلة بالعالم العربي ودفاعًا عن قضاياه، وأنا أذكر صلتي القديمة به حينما كان رئيسًا ومديرًا للمعهد الإسباني العربي الذي ألغي في عهد الحكومة السابقة التي كانت متحالفة مع الولايات المتحدة والتي اشتركت في غزو العراق مع إنجلترا، وكان من أول ما نادى به رئيس حكومة إسبانيا الحالي في الأمم المتحدة أن يكون هناك تحالف بين الغرب والعالم الإسلامي العربي، وأنا أعرف أنه شديد الحماسة لهذا، بل أذكر أنه بالأمس فقط قام بافتتاح معهد جديد للدراسات العربية والإسلامية في مدينة قرطبة عاصمة الخلافة القديمة وهو فرع للبيت الإسباني العربي في مدريد؛ ولهذا فأنا أدعو الحكومات العربية عن طريق سفرائها في إسبانيا إلى النظر في هذا الموضوع والحديث عنه مع وزارة الخارجية ومع الحكومة الإسبانية، وكذلك أدعو المستشرقين الإسبان المشتغلين بالدراسات العربية إلى أن يقوموا بدور في هذا الموضوع. ومن جديد أقدم خالص الشكر للأستاذ كورينتي على هذه المحاضرة الدسمة التي أبرز فيها مدى عنايته وغيرته على لغتنا العربية، فله الشكر على ذلك، ولعله يقوم بالدور الذي هو مؤهل له في المسألة التي طرحها، وشكرًا.

***الدكتور علي القاسمي:**

سيدي المحاضر الكريم نشكركم على هذه المحاضرة القيمة النابعة من حبكم للغة العربية. واسمحو لي أن أعرض ما يلي: أولاً: قبل شهر واحد عُقِدَ مؤتمر عالمي، عقده المجلس العربي للطفولة والتنمية وعنوانه (لغة الطفل العربي في عصر العولمة) وقد حضرته أنا والدكتور أحمد الضبيب في هذه القاعة نفسها، وشارك فيه أكثر من خمسمئة باحثٍ وتوصلوا مع الأسف إلى خلاف ما تفضلتم به في محاضرتكم القيمة، وهو أن اللغة العربية الفصيحة ستندثر خلال هذا القرن، ومما يؤيد ذلك دراسة أعدتها اليونسكو، قالت فيها: إن أكثر من ثلاثة آلاف لغة ستنقرض خلال هذا القرن ومن بينها اللغة العربية الفصيحة، ومما يؤيد ذلك ما تفضلتم به وذكرتم أنه يحدث في إسبانيا، والمعروف أنه ليس فيها فقط وإنما في جميع أوربا، وأنت تعلم ذلك في الولايات المتحدة. ثانيًا: في البلاد العربية السياسات اللغوية المتبعة في الإعلام والتعليم تصب في خانة اللهجات العامية واللغات الأجنبية، فالتعليم مثلاً في المدارس الخاصة كلها بلغات أجنبية أو تقوم بتعليم اللغة الأجنبية وحتى في المدارس الحكومية. وفي الإعلام أُعطيت رُخص لفتح فضائيات باللغة العامية أو بلغات محلية. أما في الحياة العامة فاللافتات كلها في الأسواق في بعض دول الخليج لا تُكتب باللغة العربية وهناك لا تسمع اللغة العربية في الشوارع، وهذا كله يُصب فيما توصل إليه هذا المؤتمر العالمي قبل شهر في هذه القاعة من أن اللغة العربية ستنقرض وتحل محلها العاميات. وتفضلتم في محاضرتكم وذكرتم كلمة (قداسة اللغة). مُفتي الديار المصرية سماحة الدكتور علي جمعة في هذا المؤتمر قبل شهر قال إن اللغة

العربية غير مقدسة ودليله على ذلك أنَّ القرآن لم يشتمل على جميع جــذور اللغة العربية وإنما على قسم قليل منها فالقسم الذي ورد – في سياقه ودلالاته – هو المقدس أما بقية اللغة فهي قابلة للتغيير والتطوير والانــدثار وشـــرح الدكتور أحمد الضبيب قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ بأنَّ الذكر ليس اللغة العربية وإنما القرآن، فقد اندثرت اللغة العربية فـــي إيـــران وغيرها بعد أن كانت لغة رسمية وبَقِيَ القرآن الكريم. وشكرًا.

***الدكتور حسن البشير:**

نشكر الأستاذ كورينتي على هذه المحاضرة القيمـــة، وقــد ســـعدتُ بسماعها. بالنسبة لمسألة العولمة يهمنا في العولمة المدخل اللغوي كما قـــال الأستاذ فإنَّ هيمنة لغة الدولة القائدة لنظام العالم الجديد يفرض هيمنة لُغويـــة على كل اللغات العالمية ومن بينها العربية. المهم عندنا أن ندرك أن العربية لغة غير قابلة للانقراض ولا للاندثار، لو اجتمعت مؤتمرات الدنيا كلها فهي محفوظة بالـــذكر الحكـــيم: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ المـــؤتمر والرواة عنه وكل الأمور لا تساوي هذا المعنى في عقائدنا لكن الحفظ كيـــف يكون؟ الحفظ منوط بنا، لكن كما قال الدكتور بشر نصحح أفكارنا وعقولنـــا وعزائمنا ونتجه بشكل صحيح لهذا الحفظ فهو بُدِئ من تدوين القـــرآن فـــي مراحله المختلفة ودراسات القرآن المتجددة عبر العـــصور حتـــى طباعـــة المصحف، كل هذا من مظاهر الحفظ وما علينا في هذا الجانب كمعجميـــين ولغويين إلا توحيد اللغة وخدمتها وتوحيد اللغة خاصة فـــي ميـــدان البحـــث العلمي. والمصطلحات العلمية أحسن رد على هذه الأقوال التي تقول بالاندثار والانقراض، إننا نُوحِّد اللغة العربية ونقويها ونتكاتف حولها خاصة في ميدان

البحث العلمي، وقد قلت بالأمس في تعليقي على كلام الدكتور كمال بشر إننا نريد لغة مُوَحَّدة ومُوحِّدة لأهلها، إنَّ اللغة المُوَحَّدة والمُوحِّدة تحتاج مؤسسة واحدة تنطلق منها خاصة في ميدان المصطلحات؛ حتى لا نستخدم مصطلحات يُخالف بعضها بعضًا، وقُلت الحل في ذلك المجمع اللغوي القومي تحت مظلة الجامعة العربية بحيث لا ينتمي إلى بلد ولا إلى حكومة حتى لا يتأثر بموقف الناس من هذه الحكومة أو موقف هذه الحكومة من هذه الحكومات الأخرى لتكون مؤسسة عربية تجمعنا في هذا الميدان اللغوي. هذا يسير ولكن من أين نبدأ؟ نبدأ من اتحاد المجامع فهو المجمع اللغوي القومي الواحد أما المجامع القطرية فهي تخدم اللغة العربية في قطرها وتساعد المجمع القومي في تحقيق أهدافه في خريطة العالم العربي. وشكرًا.

***المستشار عبد المنصف إسماعيل:**

قد أخبرني الدكتور علي القاسمي بمعلومة كانت غائبة عن ذهني ولم أكن أنتبه لها وهي أنه يجري الآن في أروقة الأمم المتحدة بصفة عامة ومجلس الأمن بصفة خاصة استصدار قرار بإلغاء عالمية اللغة العربية لثلاثة أسباب تبدو في جوهرها منطقية وليسامحني الدكتور علي القاسمي في ذكرها:

السبب الأول: أنَّ جميع الناطقين باللغة العربية من الدول العربية والإسلامية عندما يكونون في محافل دولية لا يتحدثون إلا بالإنجليزية أو الفرنسية، فلماذا تكون اللغة العربية عالمية من وجهة نظرهم؟

السبب الثاني: أن الدول العربية نفسها في تعليمها للغة العربية في مختلف مراحل التعليم لا يهتمون بالعربية، فمدرسو اللغة العربية يتحدثون مع تلاميذهم باللغة العامية القطرية التي تختلف من الشرق العربي إلى غربه، فلماذا تكون لغتهم لغة عالمية؟

السبب الثالث: أن مجموعة الدول العربية الناطقة بالعربية قد تعهدت حين تَمَّ استصدار قرار باعتبار اللغة العربية لغة عالمية بأن تدفع لهيئة الأمم المتحدة مقابل قيمة الترجمة ولم تدفع. هذه الأسباب لابد أن يتصدى لهـا النـاطقون باللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم والتي أكَّدْنا في مداخلتنا أمس أننـا يجب ألا نتحدث إلا بها باعتبارها لغة عالمية حتى وإن كان المتحدث يُجيـد التحدث بعشرين لغة أخرى.

***الدكتور عبد الهادي التازي:**

أُريد بدايةً أن أشكر الزميل كورينتي الذي عُرف لـدى الأوسـاط الثقافية وخاصة التي تهتم باللغة العربية، فقد عرفوا عنه الشيء الكثير، وإني أهنئه بأنه استطاع أن يَبْسُطَ أمامنا أفكاره واضحة كما عهدناه. تعليقي علـى أستاذي أن حديثه عن العولمة الأولى واللاحقة والتالية حقيقة وتنبيه في محله؛ لأنه ذكرني بمقولة لابن خلدون في القرن الثامن عندما تحدث عن أن الـذين يغلبون يتأثرون بالغالب وأن التأثر بالغالب قد يؤدي إلى هذه العولمات التـي تحدثنا عنها في إطار الفكرة التي استمعنا إليها من زميلنا الدكتور القاسـمي، ومن زميلنا الذي تحدث عن قرار الأمم المتحدة. أغتنم هذه الفرصة لأطلـب من أستاذنا الدكتور بشر أن يتحرك في هذا الموضوع بجدية وبسرعة. أنـا قُدِّر لي أن أكون عضوًا في المؤتمر الدولي للأسماء الجغرافية التابعة للأمم المتحدة، ولي حوالي ربع قرن إلى الآن ونحن نبحث في مسألة أداء الحرف العربي بالحرف اللاتيني، كيف نعبر عن الظاء مثلاً أو الذال بحرف لاتيني؟ ومع الأسف – كما أشار زملائي – لم تتفق الدول العربية إلـى الآن علـى طريقة أداء الحرف العربي بالحرف اللاتيني، منذ عشرين سنة ونحن حاولنا

في الأمم المتحدة أن تكون لغة هذا المؤتمر هي اللغة العربية، ونجحنا بالرغم من أنه تكنولوجي تقني، ونحن نريد من هذا المجمع أن يُصدر توصية إلـى البلاد العربية لكي توحّد طريقة كتابة الأسماء الجغرافية على خرائطها، مثلاً ليبيا ترسم طريقًا، وجهات أخرى ترسم طريقًا آخر، فلذلك تحقيقًا للفكرة التي ندعو إليها أود أن يعمل مجمعنا في شخص أستاذنا الدكتور بـشر لإصـدار توصيات تُلزم كل الدول العربية باتخاذ الوسيلة الفعالة لتحقيق هـذا الأمـر. وشكرًا

***الدكتور كمال بشر:**

تعليقًا على هذه الفكرة الأخيرة فإن المجمع اتخذ قرارًا في محاولـة صنع أسلوب كتابي للغة العربية في الحروف اللاتينية، ويمكن أن يطبق هذا إذا صُنِعَ ونُفِّذ، وإذا انضبط يمكن أن يتحد العرب على أخذ هذا المنهج سبيلاً لهذه الكتابة.

***الدكتور محمد عبد الحليم:**

نشكر السيد المحاضر على هذه المحاضرة القيمة فقد لفت نظرنا إلى ضرورة أن نهتم بما يجري للغة العربية خارج بلادها، فهذه مسألة مهمـة، فنحن الآن في قرن جديد واتجاه جديد ونحب أن ينفتح المجمع على ما يجري للغة العربية خارج بلادها، فهو أشار لما جرى في جامعات إسبانيا. أحب أن أشير إلى أني أعمل في جامعة لندن بأكبر مركز لتدريس اللغة العربية فـي بريطانيا وربما في الغرب عمومًا، فتُعتبر اللغة العربية الرائدة الأولـى فـي كلية الدراسات الشرقية والإفريقية. الآن أصبحت الأسباب أسـبابًا تجاريـة، فمثلاً اللغة العربية تليها الصينية ثم اليابانية، بالإضافة إلى هذا نجـد وزارة

التعليم البريطانية قررت منذ أسبوع أو ثلاثة أسابيع السماح للمدارس الثانوية أن تُدَرِّس لغات أُخرى غير الفرنسية والألمانية والإيطالية، واللغة العربية من اللغات التي تُدَرَّس في المدارس الثانوية الإنجليزية، وأنــا أُحــب أن يكــون للمجمع الوسائل المتابعة لما يجري سواء في تعليم اللغة أو في الكتب العظيمة التي تصدر عن اللغة العربية، مثلاً يصدر الآن من مؤسسة في هولندا معجم من أربعة أجزاء كبيرة عن اللغة العربية، فلابد أن يكون للمجمع معرفة بهذا ورصد دائم لهذه الأعمال، وأن يجري الحديث عنها في مجلة المجمع ويعمل على اقتنائها ولو بالطريقة الإلكترونية، نريد أن ينفتح المجمع على ما يجري للعربية خارج بلادها؛ وهذا برصد مُنظَّم مستمر. وأكرر الشكر.

***الدكتور كمال بشر:**

شكرًا يا دكتور محمد، نرجو أن تكتب لنــا توصــية تنــضم إلــى التوصيات، وأن تكتب لنا بحثًا في هذا الموضوع.

***الدكتور صادق أبو سُليمان:**

شكرًا للأستاذ المحاضر وأُحب أن أُثْني على مصطلح الظلاميين الذي اختاره المحاضر فهؤلاء يعملون على طمس معالم التاريخ كما عملوا على طمــس الدلالات كتسمية المقاومة عنفًا أو إرهابًا، أو الغزو اســتعمارًا أو إعمــارًا، وتسمية المناضل إرهابيًّا، يريدون أن يُطفئوا نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون.

***الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد:**

أنا سعيد بما سمعته من الأستاذ فيديريكو، وهي محاضــرة عاقلــة، موضوعية، متزنة، عادلة؛ لأننا ألفنا كثيرًا من المحاضرات تجــور وتميــل

ذات اليمين أو ذات الشمال، وإذا أذِنَ لي الأستاذ فيديريكو أقول: فرق شاسع بين محض انتشار لغة من اللغات في العالم وبين العولمة؛ فالقديم مختلف كل الاختلاف عن العولمة من حيث هو مصطلح حديث، ولذلك لا يجوز أن نخلط بين الظواهر فهي مجرد ظاهرة انتشار لغة، ولكن حقيقة العولمة مختلفة فعند الإغريق والرومان وعند المسلمين في القديم وعند الاستعمار الحديث لم توجد منظمة التجارة العالمية للضغط على الحكومات العربية، ولم يوجد صندوق النقد الدولي ولا البيت الدّولي ولا التهديد للحكومات بانتهاك حقوق الإنسان ولا بإلزامهم أن يخضعوا لما يُطلب منهم من كذا وكذا، فيما يتصل باللغة وحدها، أنا أتحدث عن اللغة وأنا أعرف وقائع معينة في بلدي، في القديم لم يكن هذا الضغط موجودًا، وفرق شاسع بين العولمة الآن بهذه الوسائل المتعددة من الضغط والإجبار وبين قولة ابن خلدون وبين ما حدث من انتشار اللغة في القديم.

أنتقل إلى الموضوع الثاني وهو محاولة إلغاء الدراسات العربية والإسلامية في إسبانيا، وأظن أن الأستاذ الدكتور محمود مكي قد وَفَّى الموضوع حقه، ولكن مع ذلك أرى أن من الواجب على مجمعنا في توصياته أن يُشير إلى الأمر وأن يتخذ موقفًا معينًا ولو باقتراح معين، هذه النغمة من التشاؤم التي سادت حديثنا عن اللغة العربية وعن زوالها في هذا القرن أنا لست معها، وأرى أن اللغة العربية قد زاد الإقبال على تعلمها في جهات معينة، خصوصًا في الشرق الأقصى وعندنا في الجامعة الأردنية وبعض الجامعات الأردنية أيضًا في داخل الأردن مراكز لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ونشهد إقبالاً هائلاً من طلاب كوريا واليابان وطلاب الشرق الأقصى، وأنا أعلم أن

بريطانيا بدأت في هذا العام تتوسع في مدارسها الثانوية وفي جامعاتها في تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية مع تحالفها البشع مع أمريكا وإسرائيل ثم اليونسكو فيما أذكر أن اليونسكو، في أحد تقاريرها، قالت: إن اللغة العربية واحدة من أربعمئة لغة ستبقى هذا القرن ولا أدري ما هذا التناقض بيني وبينك، فهي باقية إذا كان مصير اللغة العربية مُعَلَّقًا على اليونسكو، فيما يتصل باللغة العربية وبقائها، المهم هو ما يحدث عندنا من خضوع حكوماتنا ولا نقول الأمة العربية، فَرِّقوا بين الحكومات العربية وبين هذه الأمة. الأمة هي أنتم يا إخواني أما خضوع الحكومات العربية ووزارات التربية والتعليم والتعليم العالي لفكرة تفريغ التعليم العربي وتعليم العربية من النماذج التأصيلية والنصوص التأسيسية لمفاهيم اللغة العربية والثقافات الإسلامية، فَمَرَدُّه أولاً وأخيرًا إلى مكانة هذه الأمة وإلى مواقف حكوماتها، وللأسف الأمة مغلوبة من حكامها، وحكامها مغلوبون من خارجهم.

وأخيرًا المعجم التاريخي أنا لي فيه رأي أزداد تمسكًا به مع مرور الوقت، وأنا هذا العام أشد تمسكًا به مما كنت عليه في العام الماضي.

***الأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور:**

بسم الله الرحمن الرحيم، من حسن حظ اللغة العربية أن تجد لها رجالاً من غير أهلها يدافعون عنها ويقدرونها قدرها ويعملون على أن يكون لها من البقاء والاستمرار ما ليس موجودًا أحيانًا عند أهل اللغة العربية أنفسهم، وهذه مفارقة عجيبة ليس من جانب الذين يهتمون باللغة العربية من خارجها ولكنها مفارقة عجيبة من هؤلاء العرب الذين لا يقدرون لغتهم ويعرفون لها مقامها ويبذلون لها جهدهم من أجل نشرها. فنحن نحيي هذا الموقف النبيل من هذا

العالم الجليل، نحيي جهوده من أجل الحرص على اللغة العربية والتمكين لها بين أهلها أولاً وفي العالم كله بعد ذلك، وأرجو أن يكون من بين التوصيات – إذا كان لنا أن نُصدر هذه التوصية – أن ينضم إلى حقل العاملين في المعجم التاريخي بعض المهتمين من المستعربين، أمثال هذا المستعرب الكريم، الذين نعرف عنهم مثل هذه المواقف الكريمة في نصرة اللغة العربية، وقد أشار هو إلى هذا الأمر في آخر المحاضرة، وأرجو أن يكون هذا موضع التقدير.

أما بالنسبة لمسألة اندثار أو بقاء اللغة العربية فهي مسألة ينبغي ألاّ تخضع للتفاؤل أو التشاؤم ولكن ينبغي أن تخضع للواقع الذي تمر به اللغة العربية، ونحن كثيرًا ما نأنس إلى أن اللغة العربية هي لغة القرآن وأن الله حافظها؛ لأنها لغة القرآن؛ وهذا أمر لا شك فيه؛ لأنها لو لم تكن معصومة بهذا الكتاب الكريم لبادت منذ قرون وهي باقية بأثر هذا القرآن في نفوس العرب والمسلمين، وهو قوي عظيم في مساندتها والحفاظ عليها، ولكن يجب أن ننظر إلى الطرف الآخر من القضية؛ لأن اللغة العربية في ذاتها كأي لغة في العالم تخضع لقوانين الانتشار والاندثار، وقد رأينا على مدار التاريخ أنها خرجت من إيران ومن تركيا والأندلس وخرجت من أماكن أخرى من العالم ثم انسحبت من لغات كانت في أصلها عربية أو بها كلمات عربية كاللغة السواحلية وغيرها ثم كُتِبت الآن بالحروف اللاتينية وانفصلت عن اللغة العربية. فعلينا أن ننظر إلى اللغة من حيث الواقع لا من حيث التفاؤل والتشاؤم، ولننظر إلى نسبة انتشار اللغة العربية في العالم العربي نفسه، هذه النسبة تتضاءل باستمرار، ومن الغريب أننا نجد أقسام اللغة العربية في بعض

البلاد العربية تُكْتب محاضر اجتماعاتها بالإنجليزية، ومن الأمـور العجيبـة التي تحدث في بعض المجتمعات، ومنها المجتمع المصري، أننا شهدنا امرأة تذهب للمحكمة لتُطالب بالخُلع من زوجها؛ لأنه حريص على أن يتكلم باللغة العربية في بيته، مع أنه يُحسن الحديث باللغة الإنجليزية. تطورات اجتماعية هائلة لابد أن نلاحظها، وأن نراعيها، ما هي نسبة استخدام اللغة العربية في البحث العلمي في العالم العربي؟ وما هي نسبة استخدامها في التعليم في العالم العربي؟ وما هي نسبة استخدام اللغة العربية في الإعلام في العالم العربـي؟ وما هي نسبة استخدامها في لغة التخاطب في طبقات وفئات اجتماعية تتكاثر في داخل العالم العربي؟ العولمة ستصل بمصطلحاتها وبكلامها إلى كل حارة وزقاق في العالم العربي، إذن لابد أن يكون عندنا هذا الإحساس بـالخطر حتى يدفعنا إلى العمل، والعمل هو الذي يُنَجِّي هذه اللغة مع اسـتنادها إلـى القرآن الكريم، لابد من العمل؛ لأن الله لن يحفظ أمة لا يحفظها أهلها.

***الأستاذ الدكتور أحمد الضبيب:**

بسم الله الرحمن الرحيم، أريد أن أشكر الدكتور كورينتي على هذه المحاضرة الشاملة والقيمة وإن كنت أرى أنه كان حَسنَ الظن بالحكومات العربية بشكل كبير عندما قال: إننا لا نجهل أن الحكومات العربية بواسطة أنظمتها المنوط إليها هذا الأمر تعمل منذ زمن على تحقيق أهداف ترقية اللغة العربية مؤمنة بقداستها غير محتاجة إلى تنبيه أو استحثاث همم. الحقيقـة أن الحكومـات العربية محتاجة إلى تنبيه كبير؛ واستحثاث كثير فلعلها واقعة تحت ضـغوط مختلفة جعلتها تتصرف بطريقة لا مسؤولة تجاه اللغة، فليس هنـاك أنظمـة تحمي اللغة العربية، وليس هناك تخطيط حول سياسة لغوية واضـحة، أمـا

سياسة تغليب اللغة الأجنبية على العربية فهذه هي الواضحة في الواقع، نجدها في التعليم والشارع وأماكن كثيرة، إن من أهم التوصيات التي يجب أن تخرج من هذا الاجتماع أن تُستَحث الحكومات العربية على إعادة النظر في مواقفها التي أظن أنها معادية للغة العربية في هذا الوقت، وأن تُستحث لبقاء هذه اللغة التي هي لغة الأمة ولغة الشعب، ينبغي إعطاؤها مكانتها وما تستحقه من عناية. الأمر الثاني أن موضوع اندثار اللغة العربية كما تفضل الأخ الجليل هو منوط بسنن الله في الأرض، هناك سُنَن لله في الكون تسير عليها اللغات سواء أكانت اللغة العربية أم غيرها، فنحن شهدنا كثيرًا من اللغات التي اندثرت كالآرامية وكانت من أعظم اللغات في منطقة الشرق الأوسط وكُتبت فيها كتب مقدسة ومع ذلك اندثرت وتقهقرت ثم انتهت، وبالنسبة للغة العربية الفصحى، فلولا الخوف عليها لما وضع أبو الأسود الدؤلي النحو عندما سمع ابنته تلحن في الكلام. فكيف لا نخاف على اللغة العربية ونستنيم إلى تفسير بعض المفسرين لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ .

***الدكتور حسنين محمد ربيع:**

بسم الله الرحمن الرحيم، بدايةً أتوجه بالشكر الجزيل للعالم الأستاذ الدكتور فيديريكو كورينتي على هذه المحاضرة القيمة المتميزة، كما أشكره على المقارنة الذكية الواعية بين العولمة في العصرين القديم والوسيط والعولمة في العصر الحديث، والنقطة التي أريد أن أُركِّز عليها كيف نستفيد من هذه المقارنة لمواجهة تحديات العصر؟ فيما يخص لُغتنا العربية ففي القرن الثاني للميلاد – كما نعلم – كانت الإمبراطورية الرومانية في أقصى اتساع لها

عندما كان البحر المتوسط بُحيرة رومانية وكل الدول التي حول هذا البحـر تَدين لروما، ثم حدث ما حدث من انهيار الإمبراطورية الرومانيـة لعوامـل كثيرة كانقطاع صلة الفرد بالمجتمع وعوامل أخرى، فـأدَّى هـذا لانهيـار الإمبراطورية داخليًّا وخارجيًّا، وحدث ما حدث للغة اللاتينية من تردٍّ واضح في أوائل القرن التاسع الميلادي. حاول شارلمان أن يُصلح من حـال اللغـة اللاتينية واهتم بهذا لخدمة رجال الدين وخدمة الكنيسة، ولكن هذه المحاولـة فشلت ومات شارلمان وانتهت محاولته لتتولى البابوية والمؤسسات الكنـسية في أوربا هذه المهمة وتصبح اللغة اللاتينية لخدمة رجـال الـدين ورجـال الكنيسة فقط، وأدَّى هذا إلى ما أدَّت إليه من انحسار اللغة اللاتينية. المهم هنا أن نقف في وجه أي محاولة لهدم اللغة وأن يكون اهتمامنا باللغة العربيـة، فالله كفيل بحفظ اللغة وحفظ القرآن، وعلينا أن نهتم باللغة العربية كما كـان أجدادنا يفعلون في الماضي، وتحديدًا في القرن الرابـع الهجـري (العاشـر الميلادي) من أن تكون اللغة في خدمة العلوم كلها عندما كتبوا فـي الطـب والرياضيات والهندسة والعلوم التطبيقية والعلوم البحتة، كتبوا هذا كله باللغة العربية واستطاعوا الاستفادة من ثقافات الآخرين عن طريق ترجمتها إلـى اللغة العربية، وإذا رجعنا، على سبيل المثال، إلى رسائل إخوان الصفا نجـد ما أبدعه العلماء المسلمون في أن جعلوا اللغة العربية طيِّعة في خدمة العلوم الأخرى الكثيرة التي استطاعت أن تلعب دورًا مهمًّا في الحضارة الإسلامية.

***الدكتور (فيديريكو كورينتي):**

لا أستطيع أن أُعلِّق على جميع المعلومات والتعليقات القيمـة التـي سمعتها وأشكركم عليها وهناك بعض النقاط التي يجب أن أُعالجها، أهمهـا

خبر إلغاء الدراسات العربية والإسلامية في إسبانيا، الخبر الذي انعكس صداه في هذه المحاضرة مكتوب منذ عدة أشهر، فقد وقع التغيير وأنا لست مُتفائلاً بالنسبة إلى ذلك، وذلك أنَّ مشروع الدراسات العربية سَيُلْغَى ولن يوجد. وقد يقوم مقامها ما يسمى بدراسات شرقية قد تغير هذا الوضع بعض التغيير والآن قيل إن في المشروع، ونحن نتكلم عن المشاريع ولا نتكلم عن القرارات النهائية، أَنَّ أي جامعة تُريد أن تُحافظ على أي تخصص بدون ذكر مخصوص للدراسات العربية أو لغيرها فَيُسْمَح لها بذلك ولستُ مُتفائلاً؛ لأن معنى ذلك أن تُحَوَّل القضية إلى الجامعات الخاصة التي ليست من خير المدافعين عن الحضارة العربية والإسلامية. فأخاف لأن هذا التغير إنما هو تغير في الوقت، وليس تغيرًا في النية هذا هو الواقع ولكن هناك عنصر جديد يجب اعتباره قبل أن يُتخذ أي تدبير، فإذا اتخذت السلطات أو الدوائر العربية المهتمة بالثقافة وبالحضارة أي موقف كان لابد على كل حال من استعمال كل السياسة، كما يقال في المثل الإسباني: (إذا أردت أن تَصيد الذُّباب فاستعمل قطرة من العسل خيرًا من ألف لتر من الخل) وأقول ذلك أيضًا لأنه يَثْبُت عندي أنَّ منذ أيامِ تحوُّل إسبانيا من الحكم الاستبدادي إلى الديمقراطية وقعت حوادث تدل على أن هناك ضغوطًا خارجية مضادة للدراسات العربية مثلاً: اختفاء أو إلغاء المعهد الإسباني العربي للثقافة الذي نشر مئات من الكتب، وكان ينظم مؤتمرات ويقدم منحًا للطلاب العرب بالإضافة إلى عشرات من الخدمات الأخرى المفيدة، مَنْ الذي سعى حتى حصل على إلغاء منظمة مفيدة جدًّا لكل من إسبانيا والدول العربية؟ يمكن التخمين على كل حال. ثم قضية أخرى مهمة سمعتُ بعض الأصوات المتفائلة وبعض

الأصوات المتشائمة فيما يتعلق بمستقبل اللغة العربية الفصيحة، أنا لست محايدًا أنا مع العرب منذ طفولتي ولا أدَّعي الحياد الكامل، ولكن لي خبرة طويلة. كنت أستاذًا في البلاد العربية ثم في الولايات المتحدة الأمريكية في جامعة يهودية وكنت أستاذاً في عدة جامعات إسبانية فجمعت خبرات وأخبارًا من هنا وهناك ووجهة نظري أن اللغة العربية ليست عُرضة لمشكلة الانقراض إنما اللغة العربية كمعظم لغات العالم ليست غالبة، ولكنها ليست مغلوبة هي تكافح كما يُكافح كل إنسان وكل كائن حي في هذا العالم في انتظار رحمة الله سبحانه وتعالى. ويجب علينا ألا نتفاءل وألا نتشاءم، إنما نكافح بجميع الوسائل بالإيمان، فالإنسان المؤمن بلغته مهما كان الباعث إلى ذلك الإيمان من دين أو من حب الوطن هو الذي يحافظ عليها، وطبعًا أحزن عندما أسمع أنَّ مئات من اللغات سوف تنقرض قبل نهاية هذا القرن هذا يُحزنني؛ لأن اللغات تراث للعالم، ولكل لغة تراث أدبي مكتوب أو شفوي لكن قصصًا إنسانية كثيرة ستذهب مع كل لغة تنقرض-وأنا مؤمن بالإنسانية- فإذن يُرَحَّب بالإيمان كوسيلة للدفاع عن اللغة العربية وللدفاع عن مصير الأمة العربية كلها، لابد من الجهود العلمية لخدمة اللغة العربية بمؤلفات مفيدة، بمعاجم، وما أحوجنا إلى معاجم، اللغة العربية كانت أول لغة في تاريخ الإنسانية زودت نفسها بمعاجم تستحق اسم المعجم، لكن الافتخار بالماضي غير مفيد، لابد من الكفاح في هذه المعركة.

العولمة وهذا ما كُلِّفْت بالتكلم عنه: أنا غير خائف من العولمة هي ظاهرة من الظواهر التاريخية الكثيرة التي تكررت على مرِّ العصور، طبعًا لها خصائص، كل جديد مجدد لا شك في ذلك له خصائص لم تكن هناك من

قبل، ولكن يجب ألا تخيفنا هذه العولمة على شرط أننا لا نستسلم ونقــول لا، أما بالنسبة للمقارنة بين العربية واللاتينية فلَيْستا سواء؛ لأنَّ انقراض اللاتينية يختلف جدًّا عما قد يكون مصير اللغة العربية. اللاتينية انقرضت في الغرب بسبب ذهاب الإمبراطورية لكن في الشرق لمــا أصــبحت الإمبراطوريــة الشرقية- وقد كانت اللاتينية منقرضة قبل سقوط روما اليونانية-غلبتها مــن أول يوم فظروفها غير ظروف العربية. أما عما قيل من أن الكنيسة كانــت الوحيدة التي استفادت من إحياء اللاتينية في أواخر القرون الوسطى فأنــا لا أوافق على ذلك، فقد استفادت أيضًا الدولة كمؤسسة محتاجة إلى جامعــات. أريد أن أقول إن المقارنة لابد منها لتفهيم بعض الأوضاع، ولكنهــا ليــست مطلقة، لا ينبغي النظر إليها على أنها تكرار نفس الظــاهرة. ولا أُريــد أن أُطيل فأختم كلمتي هذه بأن أشكركم على صبركم وعلى الملاحظات القيمــة التي سمعتها منكم وإلى لقاء.

اليوم الثاني

(الجلسة الثانية)

١ – بحث

للأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

عضو المجمع من الأردن

بعنوان:

"دور اللغة العربية في بناء حضارة إنسانية جديدة"

٢ – كلمة

للأستاذ الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي

عضو المجمع من الجزائر

بعنوان:

"المجمع في عيده الماسي"

٣ – بحث

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن العوضي

بعنوان:

"دور مركز تعريب العلوم الصحية في تعريب العلوم الطبية"

٤ – بحث

للأستاذ أحمد شفيق الخطيب

عضو المجمع من فلسطين

بعنوان:

" الترجمة – بعضٌ من مفاهيمها وكثيرٌ من مزالقها"

٥ – بحث

للأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم

بعنوان:

**"في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية:
مشكلات ومحاذير"**

دور اللغة العربية في بناء حضارة إنسانية جديدة(*)

للأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة
عضو المجمع من الأردن

الأستاذ الجليل رئيس مجمع اللغة العربية:

السادة العلماء:

أيتها السيدات والسادة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإنه لشرف كبير أن أشارك في هذا الحفل التاريخي، لأقدم تحية العروبة والإسلام، مع أعمق مشاعر الإجلال، إلى مجمعنا العتيد بالقاهرة، حصن العربية الفصحى، لغة الأمة الجامعة عبر القرون وعلى الامتداد الجغرافي في قارات العالم القديم، ومن خلال انتشارها المظفر في المؤسسات العلمية والأوساط الأدبية والثقافية في قارتي العالم الجديد... وكان لمجمعنا القاهري في أرض الكنانة الشقيقة بعد مرور خمسة وسبعين عامًا على نشأته، تاريخ مشرِّف في خدمة العربية وترقيتها، وجعلها قادرة على الوفاء بمتطلبات العصر في جميع مجالات العلوم والفنون والتقنيات، بما أصدره من آلاف المصطلحات، وبما وضعه من المعاجم اللغوية المتعددة الأغراض والمستويات، وبما أصّله من قوانين وقواعد لغوية كان لها آثار بعيدة في إغناء العربية الحديثة وقدرتها على استيعاب علوم العصر وتقنياته... وإلى جانب أعماله الرائدة في هذا المجال، لا بد أن نذكر إنجازاته المهمة في

(*) لم يُلْق هذا البحث لاعتذار الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة من عدم الحضور.

مجال تحقيق التراث العربي الإسلامي، وإرسائه القواعد العلمية في دراسة التراث وتحقيقه، وتأكيد قيمته في فهم الحاضر واستشراف المستقبل.

وإن هذا الحصن المنيع للعربية، يحتل مركز القيادة في اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، ويخوض مع شقيقاته اللغوية العربية والمؤسسات العلمية واللغوية العربية الأصيلة، معركة العروبة أمام الغزو اللغوي والاستلاب الفكري والتشويه الذي تتعرض له الأمة العربية في الوقت الحاضر، من أقصى المغرب العربي إلى أقصى مشرقه في بغداد، وأطراف الخليج العربي. وتتعرض اللغة العربية الفصيحة في أبعادها العربية والإسلامية والعالمية لهذا الغزو الاستعماري الشرس... والذي ازداد قوة وشراسة، بتسلله إلى مراكز اتخاذ القرار في مؤسسات التعليم العام والعالي ورسم السياسات اللغوية ووضع المناهج، وتأليف الكتب المدرسية...!!

إن اللغة العربية الفصيحة هي اللغة الجامعة والموحدة لأمتنا العربية في مختلف أقطارها، وهي وحدها التي تعطي لأمتنا العربية هويتها، وتنقل رسالة الإسلام الخالدة إلى العالم، وتجسِّد عطاء الأمة الحضاري والفكري في إغناء الثقافات العالمية والانفتاح عليها، والتفاعل النِّدِّي معها، رافضةً للنظرة المتعالية أو الشعور بالدونية!!! التي تشيع مع الأسف في الوقت الحاضر في كثيرٍ من أوساطنا العلمية والثقافية والاجتماعية!!!

فإذا كانت اللغات هي مستقر الثقافة وتراث الأمة، فإن للغة العربية بين اللغات جميعها وضعًا متميزًا، لا تشاركها فيه أية لغة أخرى، منذ أصبحت لغة الوحي الإلهي، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فهي لغة قومٍ ولغة عقيدة، وهي تخصُّ كل عربي ومسلم في هذا الكون...

ونحن إذا تتبعنا العربية في تاريخها السحيق قبـــل الإســـلام، نجـــد أن جذورها تمتد بعيدًا عبر القرون، وفي لغات أمم وأقوام في حضارات تاريخية ازدهرت في بلاد ما بين الرافدين من بابليين وآشوريين وفي بلاد الشام مـــن فنيقيين وكنعانيين وآراميين وسريان وأنباط وغيرهم وفي الجزيرة العربيـــة حيث منابت العربية الأولى من سبئيين وحميريين ولحيانيين وأقوام بائدة من عاد وثمود، وعربية العدنانيين والقحطانيين، فيما وصل إلينا من أشعار، ومن نقوشٍ مهمة، ونزول القرآن الكريم بلسانٍ عربـــي مبـــين، وعلـــى ســـبعة أحرف... وكان لسان قريش هو الحكم الموحِّد عند جمعه ونشره في جميـــع الأمصار... ونحن عندما نتحدث عن العربية الفصيحة، فإنما نتحدث عن هذه العربية في حدودها الزمانية قبل الإسلام... وهي إذا لم تكن اللغة الأم لتلـــك اللغات التي حملتها الهجرات المتعاقبة من الجزيرة العربية إلى بلاد ما بـــين الرافدين وبلاد الشام ووادي النيل وشمال أفريقيا وسواحل أفريقيا الـــشرقية، فإنها على كل حال وريثة اللغة الأم.

وإن الدارس للعربية، لغةً وأدبًا، لاسيما ما وصلنا من الشعر الذي وسم بالشعر الجاهلي، يخلص بأن هذه العربية قد عبَّرت عن حياة الإنسان العربي وأفكاره ومشاعره، ونظرته إلى الكون والحياة، تعبيرًا دقيقًا من خلال جمـــل وتعابير ومفردات، استطاعت أن تحمل تموجات المعـــاني الدقيقـــة وظـــلال معانيها النفسية، في الفخر والغزل والمديح والرثاء والوصـــف والهجـــاء... وهي في ذلك كله تتجه إلى وصف إنسانية الإنسان... والمعـــاني المجـــردة والصفات النفسية بما فيها من أفكار وعواطف وأحاسيس وصـــور وأخيلـــة ومجاز وكناية، وما توحي به السماء الصافية بأفلاكها ومجراتها ونجومهـــا

وكواكبها... فــي حــين أن أدب الحــواس مــن مطعومــات ومــشمومات ومسموعات وملموسات ومرئيات، تحدُّه إمكانات البيئة العربيــة المحــدودة بالجزيرة العربية في مصادرها الطبيعية، بصحاريها المقفرة وجبالها ووديانها وسهولها المجدبة في كثيرٍ من الأحيان، فهي البيئة الطبيعية للقبائل العربيــة، التي ينتجع كثيرٌ منها الكلأ في مواسمه السنوية. وإن ذلك كله يجد صــورته في مفردات اللغة وجملها وتعابيرها وفي أدبها، شعرًا ونثــرًا... وهــو أدب وصل إلينا جله بالرواية مشافهةً، وربما كان من المفيد أن نتوقف عند كلمــة "إنسان" في العربية. وما توحيه من قيم، فهي تعني "آدم" أبا البــشر... روي عن ابن عبَّاس، رضي الله عنهما، أنه قال: إنَّما سمّي الإنسان إنسانًا لأنه عُهد إليه فَنَسِيَ... الجَمْعُ الناسُ، مذكَّر، وقد يؤنَّث على معنى القبيلة أو الطائفة... والإنْس: جماعة الناس، والجمعُ أُناس، وهم الأَنَسُ... والأَنَسُ أيضًا لغة فــي الإنْس... والأَنَسُ: خلافُ الوَحْشة، وهو مصدر قولك أَنِسْتُ به، بالكسر، أَنَسًا وأَنَسَة. وفيه لغة أخرى: أَنِسْتُ به أُنْسًا... وقيل: أَناسيُّ جمع إنْسان... كمــا قال عزَّ منْ قائل:"وأناسيَّ كثيرًا... (الفرقان ٤٩)، والإنْسُ: البَشَر... ويقــال للمرأة: إنسان ولا يُقال إنسانة، والعامَّة تقوله... والأُنْس ضد الوحشة... وقد جاء فيه الكَسْر قليلاً... وإن مصدر أَنِسْتُ به على آنَــسُ أَنَــسًا وأَنَــسةً... والإنْسانُ أيضًا: إنسان العين، وجمعه أَناسيُّ... واستأْنَسْتَ وآنَــسْتَ بمعنــى أبصرْتَ... وفي بعض الكلام: إذا جاء الليل استأنس كل وحشي واســتوحش كل إنسيّ... ومكان مأنوس، إنما هــو النــسب... وجاريــة آنِــسَة: طيبــة الحديث... وكذلك آنوسٌ... الأَنيسة والمأْنوسَةُ: النارُ، ويقال لها: السَّكَن، لأَنَّ الإنسان إذا آنَسها ليلاً أَنِسَ بها وسكن إليها وزالت عنه الوحشة...



ومن الواضح في استعراض مادة "أَنَس" في اللغة ومنها "الإنــسان" أن معانيها تدور في مجملها ضد الوحْشَة... وإن دلالة كلمة "إنسان" على معانٍ أُخر تحمل في ثناياها ظلالاً من المعاني الدقيقة، مثــال إطلاقهــم الأنيــسة والمأنوسة على النار، والنار مصدر الطاقة، ورؤيتها في الليل سكن نفــسي وتزيل الوحشة...

واحتلت كلمة "إنسان" مكانة مهمــة فــي مفــردات القــرآن الكــريم ومفاهيمه... وهي في الكتاب العزيز، تنتقل من هذه المــدلولات والمعــاني اللغوية المحدَّدة، إلى دعوة إنسانية سامية، موجهةً إلى طبيعة النفس الإنسانية مثال ذلك قوله عز من قائل: ﴿ونفــسٍ ومــا ســوَّاها، فألهمهــا فجورهــا وتقواها...﴾ (الشمس:٧).

وكان نزول القرآن الكريم باللغة العربية، حدثًا تاريخيًّا فاصلاً ومعجزًا، ماز اللغة العربية من كونها لغة أمة من الأمم، لها خصائصها الذاتية إلى لغة إنسانية تحمل رسالة الإسلام الخالدة إلى بني البشر على اخــتلاف أجناســهم ولغاتهم وألوانهم... فانتقلت العربية إلى آفاق الثقافة الإسلامية الإنسانية فــي العالم كله، من حيث طبيعتها ووظيفتها ومن حيث مؤسساتها وعلاقاتها التي تقوم على الحق والعدل والمساواة... واستطاعت العربية لغةً أن تــستوعب حصيلة ما وصل إليه الفكر الإنساني في جميع مجالات المعرفة في العلــوم والفنون، وبعد أن أصبحت لغة الدولة في جميع المجالات السياسية والإدارية والاقتصادية، وأرست علاقاتها بلغات الأمم والشعوب الأخرى التي اعتنقــت الإسلام، من حيث كونها لغاتٍ لشعوب متآخية نامية ومزدهــرة فــي ظــل الإسلام ومبادئه السامية. والعربية لغة القرآن الكريم، فهي لغة تخــص كــل

مسلم، تعيش على لسانه وفي ضميره إلى جانب التعددية واحتـرام اللغـات الأخرى وإرساء مبادئ المساواة بين الأجناس والألـوان، وهـذه التعدديـة العقائدية والمذهبية واللغوية، يعتبرها الإسلام أصلاً مـن أصـول مبادئـه الإنسانية الخالدة. ولم يمر وقت طويل على حمل العربية رسـالة الـسماء، رسالة الإسلام، حتى أصبحت، بما تحمله من خصائص ذاتية تجعلها قـادرة على استيعاب كل جديد، وما تحتضنه من غنى في المعاني النفـسية والقـيم الإنسانية الرفيعة في بيئاتها الأولى مثل الشجاعة والكرم والتضحية ومكـارم الأخلاق والاعتزاز بالحرية، أقول، حتى أصبحت العربية، تجد طريقها إلـى مختلف الشعوب، لغةً عالمية إنسانية، تمازج مشاعر الإنـسان المـسلم فـي أسمى قيمه وكذلك استطاعت استيعاب حصيلة المعارف فـي الحـضارات القديمة، وما لبثت أن قدَّمت فيما بعد حضارة عربية إسلامية أصيلة، وفكـرًا علميًّا مبدعًا؛ ونجد أنفسنا منذ القرن الثالث الهجري أمام مـسيرة تاريخيـة للعربية التي حملت لواء الهداية للناس كافة، وقد أصبحت تقدم أيـضًا فكـرًا فلسفيًّا إنسانيًّا، لحضارة عالمية إنسانية، تصون حقوق الإنسان وتعلـي مـن إنسانيته. وربما كان من المفيد أن أتوقف عند بعض الصور علـى طريـق المسار التاريخي للعربية، لغة العلم ولغة الفكر ولغة فلسفة إسلامية إنـسانية. وسأتوقف عند مشكلة شغلت الفكر العربي الإسلامي في أزهـى عـصوره الثقافية، وهي مشكلة أهل النقل وأهل العقل والنظر، المشكلة بـين الـشريعة والفلسفة... بعد أن استطاعت العربية أن تستوعب علوم الأوائل، ولاسـيما فكر فلاسفة اليونان من أفلاطون وأرسطو... وأطبـائهم وعلمـائهم... فقـد طرحت قضية توافق العقل مع النقل، والفلسفة مع الـشرع، والنظـر مـع

الوحي... لتحمل اللغة العربية بمصطلحاتها ومفرداتها وأساليبها وتعابيرهـا، حصيلة الحضارة العالمية القديمة، وتبدع نظرية معرفية عربية إسلامية أصيلة، تصون حقوق الإنسان، وتُعْلي من إنسانيته. وقد دخلت اللغة العربية في مسارات أسلوبية ولغوية متفاوتة في مرحلة تماسها مع حضارات الأمم القديمة، في مرحلة الترجمة والنقل من الفلسفة اليونانية إلى العربية التي بدأت منذ القرن الثاني الهجري، وازدهرت في عصر الخليفة العباسي المأمون... وعلى الرغم من هذا التاريخ المبكر للترجمة، بقيت النصوص العربية في مجال الفلسفة اليونانية تكتنفها صعوبة الفهم، إلى وقت متأخر من القرن السادس الهجري. وتحدثنا الروايات أنَّ ابن رشد الفيلسوف، ارتحل من قرطبة، مسقط رأسه، إلى مدينة مراكش عام ٥٤٨هـ، وذلك بطلب من أبي بكر محمد بن طفيل، أحد فلاسفة المسلمين، وطبيب الخليفة الموحِّدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن... وقام ابن طفيل بتقديم ابن رشد إلى الخليفة. يقول الفقيه الأستاذ أبو بكر بُنْدُود بن يحيى القرطبي، تلميذ ابن رشد:"سمعتُ الحكيم أبا الوليد يقول غير مَرَّة: لما دخلت على أمير المؤمنين، أبي يعقوب، وجدته هو وأبا بكر بن طُفيل ليس معهما غيرهما، فأخذ أبو بكر يُثني عليَّ ويذكر بيتي وسَلَفي، ويضمُّ بفضله إلى ذلك أشياء لا يبلغها قَدْري. فكان أول ما فاتحني به أمير المؤمنين، بعد أن سألني عن اسمي واسم أبي ونسبي، أن قال لي: ما رأيهم في السماء – يعني الفلاسفة– أقديمة هي أم حادثة؟ فأدركني الحياء والخوف، فأخذت أتعلل وأنكر اشتغالي بعلم الفلسفة، ولم أكن أدري ما قرَّر معه ابن طفيل، ففهم أمير المؤمنين مني الرَّوع والحياءَ، فالتفت إلى ابن طفيل وجعل يتكلم على المسألة التي سألني عنها، ويذكر ما قاله

أرسطوطاليس وأفلاطون وجميعُ الفلاسفة، ويوردُ مع ذلك احتجاج أهل الإسلام عليهم؛ فرأيت منه غزارة حفظ لم أظنها في أحدٍ من المشتغلين بهذا الشأن المتفرِّغين له، ولم يزل يبسُطُني حتى تكلمت، فعرف ما عندي من ذلك..."[1] ومن الواضح أنه تبادر إلى ذهن ابن رشد، لأول وهلة، ملاحقة الفلاسفة واضطهادهم بحجة مخالفة الشرع، وهي قضية معروفة في ذلك الحين.

وتحتلُّ اللغة العربية وأساليبها في تسهيل العلم والإفهام مكانة أساسية. يحدثنا تلميذ ابن رشد نفسه، أنه قال: "استدعاني أبو بكر بن طفيل يومًا، فقال لي: سمعتُ اليوم أمير المؤمنين يتشكّى من قلق عبارة أرسطوطاليس- أو عبارة المترجمين عنه- ويذكر غموض أغراضه، ويقول: لو وقع لهذه الكتب من يلخِّصها ويقرِّب أغراضها، بعد أن يفهمها فهمًا جيدًا لقَرُب مأخذُها على الناس: فإن كان فيك فضلُ قوةٍ لذلك فافعل، إني لأرجو أن تفي به، لما أعلمه من جودة ذهنك وصفاء قريحتك وقوة نزوعك إلى الصناعة، وما يمنعني من ذلك إلا ما تعلمه من كِبْرة سنّي واشتغالي بالخدمة، وصرْف عنايتي إلى ما هو أهمُّ عندي منه. قال أبو الوليد: فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخَّصته من كتب أرسطوطاليس..."[2].

لا شك أن صعوبة لغة الفلاسفة الإغريق، قد صاحبها سوء الترجمات إلى العربية، وإن قلق العبارة باللغة العربية وغموض المعاني، يرجعان من

---

(١) عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٣٨٣ هـ- ١٩٦٣/ ص٣١٤ - ٣١٥

(٢) المصدر السابق، ص ٣١٥.

حيث الأساس إلى ثقافة المترجمين الأولى مثل: حنين بن إسحاق وإسحاق بن حُنين، وبُعدهما من حيث التكوين الثقافي والديني عن التمرس باللغة العربية الفصيحة، وعن التأثر بالنص القرآني.

وكان للعربية الفصيحة الدور التاريخي في تعميم الثقافة الفلسفية، وتقريبها إلى إفهام عامة المثقفين... ونجد هذا الاتجاه شائعًا في المشرق كما هو في المغرب والأندلس، فقد ظهرت في المشرق "رسائل إخوان الصفا"، وكان هدفها المعلن التقريب بين الفلسفة والشريعة، وإنها — أي الفلسفة — "الأختُ الرضيعة"... وتقريب علوم الأوائل من أفهام جمهور المثقفين بلغة عربية فصيحة، سهلة وسائغة،... وقد تصل في بيانها ووضوحها إلى أفهام عامة الناس، كما نلاحظه في لغة الباب المُعَنون:"شكاية الحيوان على سيده الإنسان"...

وتدخل العربية الفصيحة ببيانها الجميل وأسلوبها المؤثر، في إشاعة الفكر الفلسفي، كما نجد ذلك في لغة "أبي حيان التوحيدي" في القرن الرابع الهجري، فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، في كتابه "الإمتاع والمؤانسة" وترجح كثير من الروايات أن أبا حيان التوحيدي نفسه كان أحد الجماعة السرِّية التي وضعت "رسائل إخوان الصفا".

ونحن إذا تتبعنا لغة هؤلاء الفلاسفة، فيما ألَّفوه وفيما ترجموه، نجد تباينًا واضحًا بين مقتضيات الترجمة اللغوية، وبين التأليف... وهذا ما نجده في مؤلفات الكندي والفارابي والرازي وابن سينا وابن طفيل وابن رشد وغيرهم من فلاسفة المسلمين... ونخص بالذكر "المدينة الفاضلة" للفارابي، والنفس والروح عند ابن سينا، والتوفيق بين الشريعة والفلسفة، وبين العقل

والوحي في "حي بن يقظان" لابن طفيل، والرؤية المتكاملة لفلسفة عربية إسلامية إنسانية عند ابن رشد، تقوم على وحدة الشريعة والفلسفة، ووحدة العقل والوحي... وقد أصبحت اللغة العربية لغة الفكر الإسلامي في جميع فرقه ومذاهبه واجتهاداته من فلاسفة ومتكلمين وصوفيين... وليس عبثًا أن البيئة التي أنتجت ابن رشد مثلاً هي نفسها التي أنتجت ابن عربي الشيخ الأكبر وصاحب كتاب "الفتوحات المكية"... وتحدثنا الروايات عن لقائهما في مراكش... لقد أصبحت اللغة العربية لغة جميع هذه التيارات الثقافية والعلمية والفلسفية، وأصبحت تجد طريقها لغة إنسانية عالمية على المستوى الدولي حضاريًّا وعلميًّا. وإن جذور النهضة الأوربية الحديثة ـ كما هو معروف ـ تمتد بمنابعها إلى الحضارة الإسلامية وارتباطها الوثيق باللغة العربية... فإنَّ الوثائق التي بين أيدينا تشير مثلاً إلى أن أساتذة جامعة ليدن في عام ١٦٠٩م يحثون طلابهم الذين يودون أن يتخصصوا بالطب والفلك والقانون والعلوم... إلخ أن يتعلموا اللغة العربية لأنها لغة المصادر العلمية والفكرية، وتجعل من مهام هؤلاء الطلبة أن يحصلوا على المخطوطات العربية في جميع مجالات المعرفة، وبأية طريقة كانت...

وربما كان من المفيد أن نتوقف عند قصة "حي بن يقظان" لابن طفيل لقيمتها الفلسفية من حيث التوفيق بين الوحي والعقل، ومن حيث قيمتها الأدبية التي تجعل من ابن طفيل مبتكر هذا الأسلوب القصصي البديع. وقد وجدت قصة "حي بن يقظان" طريقها إلى كثيرٍ من اللغات على مستوى العالم، فترجمت إلى اللغة اللاتينية عام ١٦٧١م، وإلى الإنجليزية عام ١٧٠٨م،

وترجمت أيضًا إلى الهولندية عن الترجمة اللاتينية عام ١٦٧٢م، وترجمت إلى الألمانية عدة ترجمات منها: عام ١٧٢٦م، وفي برلين عام ١٧٨٣م، وترجمت إلى الفرنسية عام ١٩٠٠م، وكذلك إلى الإسبانية في سرقسطه عام ١٩٠٠م، وترجمت أيضًا إلى الفارسية وغيرها من اللغات الإسلامية الكثيرة.

فقصة "حي بن يقظان"، قصة فلسفية رمزية، تهدف إلى تحديد فلسفة للمعرفة، وسلوك نهج معين للوصول إلى الحقيقة، حيث تعددت إليها السبل، واختلفت المناهج، على الرغم من كون الحقيقة واحدة. إنَّ "حي بن يقظان" يعني رمزًا "الإنسان ابن العقل"، وأن العقل أداة صالحة لإدراك تلك الحقيقة. وهذه الحقيقة هي القوة الفطرية التي خص بها الله – سبحانه وتعالى– بني البشر، وبها يميزهم عن سائر خلقه، وبها يُدرك الخالق، وبها يُعرف كُنْه العالم... وأن ابن طفيل الفيلسوف قد طرح مشكلة عصره وهي: قضية أهل النقل وأهل العقل، قضية أهل الشريعة وأهل الفلسفة... وتجمع الدراسات الجادة أن ابن طفيل كان في قصته هذه يحاول الإجابة عن ماهية سر "الحكمة الإشراقية" التي ترددت عند كثيرين ممن سبقوه كابن سينا والفارابي وابن باجه والغزالي... وقد امتاز ابن طفيل بلغته الجميلة السهلة وأسلوبه الأدبي السلس، بأنه هو الفيلسوف العربي الذي أخرج الفلسفة بأحسن ثوب، وقرَّبها من فهم عامة القراء، وحبَّبها إلى نفوسهم...

وإن أهم ما يميز هذه الفترة، وازدهارها، ما نلمسه من انسجام وتوافق وتكامل وشمولية بين الفكر والواقع، وبين ما هو نظري، وما هو مشاهد بالعيان، وقد بلغ هذا الانسجام والتوافق الذروة في الفكر العربي الإسلامي

عند ابن رشد الفيلسوف، تلميذ ابن طفيـل. فقـد اسـتطاع الفكـر العربـي الإسلامي، لغةً وعقيدة واجتهادًا، أن يقود الفكر البشري حقبـة مهمـة مـن الزمن، ولا يمكن أن ننظر قصة "حي بن يقظان"، إلى هذه القصة الفلـسفية، بعيدًا عن مراميها التربوية، باعتبار التربية الأداة الوحيدة القادرة على تحقيق الانسجام والتوافق للإنسان... ونحن إذا تساءلنا في ميدان الإبداع الفني عـن علاقة "طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي في القـرن الخـامس الهجـري بـ "اعترافات" روسو (Les Confessions)، وبعد ذلك، يحق لنا أن نتـساءل عن العلاقة بين "حي" عند ابن طفيل و"إميل" عند روسـو و"الأميـر" عنـد مكيافلي!! كما نتساءل عن علاقة "رسالة الغفران" لأبي العلاء برحلته إلـى الجنة والجحيم، ورسالة "التوابع والزوابع" لابن شهيد الأندلسي برحلته إلـى وادي الجن، و"جحيم" دانتي أليجري الإيطالي بعد ذلك بعدة قرون. وقبل ذلك كله، نذكر قصة المعراج.

وقد تعددت الاجتهادات في فهم قصة "حي بن يقظان" ودلالتها على فكر ابن طفيل وفلسفته، وتصنيفها بأنها عقلية أو إشـراقية صـوفية أو فلـسفة طبيعية. والسؤال الكبير قد يكمن في ماهية النموذج الإنساني الذي تـصوره ابن طفيل ووضعه هدفًا للتعبير عن نهجه الفلسفي من خلال تربيـة "حـي"، وتنشئته على وفق مبادئ معينة. فالتربية هي الأداة الوحيدة القـادرة علـى الربط بين العقل (الرأي) والواقع (العَيان)، ولعلها تكون الحلقة المفقودة فيما افتقدته البشرية في ذلك الانسجام والتوافق. فالتربية هي القادرة على التوفيق بين أهل الشريعة وأهل الفلسفة، بين أهل النقل وأهل العقل والنظر، وهذا ما نستشفُّه من المراحل التي مرّ بها "حي" في تطوره الحياتي، إذ يحـدد ابـن

طفيل المرحلة الرابعة من عمر "حي"، من العام الحادي والعشرين حتى الثامن والعشرين، وفيها يتسع لـ "حي" مجال تفكيره بالمواضيع التي عالجها لتشمل الكائنات العلوية، ومجالات الكون بأسره، فتجده يعالج الأجرام السماوية والفلك، وقِدَم العالم وحدوثه، وحاجة المادة إلى الصورة، والبحث عن السعادة والعلاقات (مبدأ الكليَّة) وغيرها من المواضيع التي تثار حوله. وقد استطاع الفيلسوف ابن رشد أن يطوِّر الفكر الفلسفي العربي الإسلامي عبر مساره التاريخي، ليقدم نظرية معرفية إسلامية أصيلة، نامية ومتطورة كانت أساسًا للنهضة الأوربية الحديثة حيث أصبحت اللغة العربية لغةً عالمية. وغاصت الأمة العربية في مهاوي الفقر والجهل والقهر، وأصبحت غرضًا للغزاة، من صليبيين وتتار وحروب استعمارية واستيطانية، وحروب داخلية مدمرة. وتستيقظ أمتنا العربية على أخطار وتحديات كبيرة، لتجد نفسها في نهاية القرن العشرين والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين، والعالم حولنا يخطو خطواته الأولى في عصر ثورة الاتصالات الكبرى، ونشوء مجتمع المعلومات العالمي، وأصبحت شبكة المعلومات (الإنترنت) رمزًا دالاً عليها، وكل ذلك يحث الخطى إلى بناء مجتمع المعرفة والتحوّل إلى ما يسمونه "اقتصاد المعرفة"... وتحتل اللغة مركزًا محوريًّا في هذا جميعه.

إنَّ أولويات أمتنا العربية تكمن في تحديد مشكلة العصر في القرن الحادي والعشرين، إذ يتعرض المجتمع العربي والثقافة العربية واللغة العربية، لغة العروبة والإسلام إلى أشرس الهجمات الإعلامية والثقافية، إلى جانب شن حروب غير عادلة ولا قانونية على أقطار العروبة والإسلام،

تؤذن بعودة الاستعمار بأشكاله المباشرة والقبيحة. وفي الوقت نفسه، يكثَّف الهجوم الإعلامي على المنطقة العربية، ويزداد الضغط السياسي على الدول العربية لتغيير برامجها التعليمية وفق معايير الغزاة من أمريكيين وأوربيين وصهاينة. وقد يكون أخطر ما في ذلك كله، إسقاطات الغزاة في ميادين الثقافة والعلم، وإقصاء العربية عن مجالاتها الحيوية في التعليم العام والجامعي، وتهميش دورها وتشويه هوية الأمة العربية. وإن أهدافهم الحقيقية تكمن في تنمية الشعور بالدونية للغة العربية السليمة، لغة الأمة الجامعة وتوليد الشك وعدم الاحترام لقيم الأمة وعقيدتها، وبالتالي تمزيق النسيج الاجتماعي للأمة العربية وذلك بتأجيج الخلافات الدينية والمذهبية والطائفية والعرقية.... وجملة القول: إن أهداف هؤلاء الغزاة والمستعمرين ليست إعادة بناء العمران الاجتماعي والثقافي لمجتمعاتنا العربية المغلوبة، وإنما اختراق حصونها وتجفيف ينابيع مقاومتها. ويبقى السؤال الكبير الآتي: كيف لهويتنا العربية الإسلامية ولغتنا العربية السليمة، وهي محورها وجوهر وجودها، أن تتماسك في وجه هذا الهجوم الاستعماري الشرس؟ إنه يطبق على أمتنا العربية تحت ستار العولمة!! ومكافحة الإرهاب، ونشر الديمقراطية!!!

إن علماء الأمة ومفكريها ومثقفيها مدعوون لتحديد معالم ثقافتنا العربية الإسلامية للمستقبل، بأبعادها المختلفة، في مجال الأخلاق وفي مجال العلوم المختلفة والتقنيات، وقيمها الإنسانية الرفيعة. إننا مدعوون لبناء ثقافة عربية إسلامية مبدعة ومتطورة، جديرة بأن تكون مثالاً يحتذى... وبذلك تكون حلقة

حضارية كبيرة في طريق تصحيح مسار الثقافة الغربية، الأوربية الأمريكية التي تقوم على الاستيلاء والقهر واستغلال الشعوب. وإن للعربية السليمة - بما تحمله من تراث وقيم ومبادئ إنسانية إسلامية، على امتداد سبعة عشر قرنًا، محتفظة بمنظومتها الصوتية والصرفية والنحوية - دورًا أساسيًّا في بناء نظرية معرفية عربية إسلامية إنسانية حديثة، تحمل قيم التعددية اللغوية والفكرية والعقائدية، وتحترم القيم الإنسانية التي تدين بها الثقافات الكبرى في شتى أنحاء المعمورة. وأختم قولي بأن أكرر التحية والإجلال لمجمعنا بالقاهرة في عيده الماسي الزاهر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المصادر والمراجع

١- أبو الوليد محمد بن رشد الحفيد، تلخيص الكون والفساد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت.

٢- ابن رشد، فلسفة ابن رشد :

- فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال.

- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملّة، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣- حسن القرواشي، المنطوق به والمسكوت عنه في فقه ابن رشد الحفيد تونس، سنة ١٩٩٣م.

٤- عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن طفيل، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

٦- محمد عابد الجابري، ابن رشد، سيرة وفكر - دراسة النصوص - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، سنة ١٩٨٨م.

٧- ندوة: ابن رشد ومدرسته في الغرب الإسلامي، جامعة محمد الخامس - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٨- ندوة: من قضايا اللغة العربية المعاصرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس سنة ١٩٩٠م .

٩- ندوة فكرية نظمتها وحدة الدراسات بدار الخليج ، الهوية العربيـــة فـــي عصر العولمة، الشارقة، ٢٠٠٦م.

١٠- ندوتا: الهوية اللغوية والعولمة / ٢٦ – ٥٧ / ٥ / ٢٠٠٣م

اللغة العربية والهوية القومية ٢١ / ٣ / ٢٠٠٥م

جامعة البترا الخاصة – الأردن.



المجمع في عيده الماسي
كلمة الأستاذ الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي
عضو المجمع من الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على سيدنا محمد ذي الخلق العظيم.

أيها الإخوة الأجلاء:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

يغمرني فيض من المشاعر وأنا أقف أمامكم للحديث عن هذا الصرح العلمي الباذخ الذرى، والوثيق العرى، الذي شرفتنا الأقدار بعضويته، وذلك بمناسبة مرور خمس وسبعين حِجَّةً على تأسيسه لتحقيق هدف نبيل وإنجاز مهمة شريفة، ألا وهي خدمة هذه اللغة العربية المجيدة، ذات الأصل الثابت والفروع الباسقات، فاستوعبت كتاب الهداية الأقومَ قِيلاً والأهدى سبيلاً لفظًا وغاية، ولم تضق عن آيه وعظاته، ولن تضيق بفضل هذه الثلة من الآخرين كما لم تضق بفضل تلك الثلة من الأولين عن وصف آلات، وتنسيق أسماء لمخترعات، في شتى الفنون ومختلِف المجالات.

عندما أُسِّس هذا المجمع كانت الجزائر التي أتشرف بتمثيلها فيه في سَمُومٍ وحميمٍ من الاستعمار الاستيطاني الذي لم يكتف باغتصاب الحقول؛ بل كان هدفه هو احتلال العقول لبتر الجزائر عن مجالها العربي، وذلك بالقضاء على أهم وشيجة تَشِجُها بهذا المجال، والإتيان على أوثق آصِرَة تَأْصِرُهَا به وهي اللغة العربية، حيث سن ذلك المستعمر قوانين تنص على أن اللغة

العربية في الجزائر هي لغة أجنبية يُحظَر تعلُّمها وتعليمها، ولولا طائفة من أبناء الجزائر تمردت على تلك القوانين وعلَّمت ما استطاعت، ولولا طائفة أخرى شرَّقت وغرَّبت لتتعلم هذه اللغة ثم عادت إلى الجزائر لنشرها لأصبحت فيها اللغة العربية أثرًا بعد عَين.

لقد شاءت إرادة الله الغلابة التي لا تَحُدُّها حدود، ولا تُمْسِكها قيود، أن يكون للجزائر في هذا المجمع وجود يوم ظهر على قَدَرٍ إلى الوجود، حيث اختير أحد أبنائها ليكون من بين أعضائه العاملين، وكأن الإرادة الإلهية تدخلت لِتَدْحَضَ الباطل وتُزهِقه وتُحِقَّ الحقَّ وتقيمه وتؤكدَ لمن طغى وبغى أن اللغة العربية في الجزائر عقيلة حرة ليس لها ضُرة.

إن هذا الابن الذي أعنيه هو العلامة المرحوم محمد الخضر حسين الذي اضطر والده إلى الهجرة إلى تونس بعد احتلال الجزائر، وهناك في تونس ولد وترعرع، وتعلم وعَلَّم إلى أن هاجر هو أيضًا إلى سورية، ثم استقر في مصر حتى أتاه اليقين، وقد أسهم إسهامًا متميزًا في أعمال هذا المجمع، وأمده بكثير من المقالات والبحوث دلت على مكانة رفيعة في اللغة والأدب ومُكْنَة في الرأي، وقدرة على الاجتهاد.

وقد خطت الأقدار في صحيفتي أن ألج وأنا في شرخ الشباب هذا الصرح – في عام ١٩٦٢م– صحبة والدي محمد البشير الإبراهيمي، عليه وعلى أسلافنا شآبيب الرحمة والرضوان، عندما اختير – في العام الذي قبله – لعضوية هذا المجمع ممثلاً للجزائر.

إن الظروف التي انتخب فيها الوالد لعضوية هذا المجمع كانت ظروفًا بالغة القسوة بالنسبة إلى الجزائر، حيث كانت تواجه الاستعمار وهو

في أَوْجِ سُعَاره، وقد تطلبت تلك المجابهة الفاصلة استنفارَ أبنـاء الجزائـر، فكان ذلك الاستنفار يستغرق نشاط الوالد البدني وجهـده الفكـري، وكانـت القضية الوطنية شغلَه الشاغلَ وهمَّه الدائم، وكان لأجلها كثير الأسفار إلـى مختلف الأمصار، حاشدًا الأنصار، جامعًا التبرعات، خطيبًا في التجمعـات، محاضرًا في الجامعات والمنتديات، متحدثًا في الإذاعات، كاتبًا في الجرائـد والمجلات. ولولا تلك الظروف الحرجة وتلك الجهود المضنية التـي أكلـت وقته لكان له- بالرغم من وهن الشيخوخة وأدوائها - إسهام طيب في إمداد هذا المجمع بآراء وأفكار في ميدان اللغة، فقد عُرِف بالإلمام الواسـع بلغـة العرب، وبحاسة متميزة في تذوق بيانهـا، وبمعرفـة دقيقـة فـي نظامهـا وموازينها، يتبين ذلك كلُّه لمن ألقى نظرة عَجْلَى على ما تركه من مقـالات في شتى الموضوعات، ولعل ذلك ما جعل إخوانه الذين انتخبوا معـه تلـك السنة لعضوية هذا المجمع، وما منهم إلا له مقام معلوم، يؤثرونه على أنفسهم ويقدمونه للتحدث باسمهم، فكان مما قاله: "لقد كانت العربية قبل اليـوم وإنَّ رِبَاعها لمجْفُوَّة، وإنَّ قِصَاعَها لَمَكْفُوَّة، وإن رِقَاعَها لَغيرُ ملتامة ولا مَرْفُـوَّة، لقد كانت تلقى الأذى من الغريب المُتَنَمِّر، ومن القريـب المتنكـر، فيخـف لنصرتها أفذاذٌ من أبنائها الأوفياء وجنودها المجهولين، ولكن لا يُسمع لهـم صوت لتفرقهم في أقطار العروبة المتباعدة، حتى ظهر هذا المجمع فسعى في إعادة شبابها، وتجديد معالمها، وجَمْع أنصارها على تعثـر خطواتـه فـي السنوات الأولى لإنشائه كشأن كل ناشئ، ثم ما زال يقوى ويـشتد، وكلمـا انضمت إليه طائفة من رجال العربية وفرسان بيانها انتعش، وشـاعت فيـه

الحياة، ووخزته الخضرة من جوانبه، ثم ما زال المدد يتلاحق والعدد يتكامل حتى وصل إلى الحالة التي هو عليها اليوم، وإنا لنرجو فوق ذلك مظهـرًا، وإن هذا المجمع إذا اطَّرَد سيرُه وتم إتمامه ليكونَنَّ أداة فعالـة فـي وحـدة العرب، ولا عجب فأقوى جامع لكلمة العرب كلامُ العرب، ولئن تـم ذلـك لتكونَنَّ هذه الأسرة أعزَّ رهط في العرب".

بعدما انتقل الوالد من الفانية إلى الباقية اقتعد مقعده في هذا المجمـع الأستاذ أحمد توفيق المدني الذي أبلى البلاء الحسن في الدفاع عـن القـضية الوطنية، وجادل الجدال الصادق عن اللغة العربية، وقد سد ثغرة مهمة مـن ثغور النضال الوطني؛ حيث انصبت جهوده إلى آخر أيامـه علـى إحيـاء التاريخ الوطني لمواجهة المدرسة التاريخية الفرنسية التي شوهت تاريخنـا وأنكرت أمجادنا.

ثم كان ما لم يخطر لي على بال، ولم يسرح لي في خيال، إذ زكاني إخوة كرام لأكون معكم في هذا المجمع.

إنني لا أعد نفسي من فرسان هذا الميدان، ولا من أهل الذكر فيـه، وما أرى الإخوة الذين شرفوني بثقتهم إلا أنهم نظروا إلى ما بذلته من الجهود العملية، التي لا أمُنُّ بها ولا أستكثر، في إرساء أسس المدرسة الجزائريـة، وإعادة الاعتبار للغة القرآن فيها، وتعريب جريدتين وطنيتين همـا "جريـدة النصر" و"جريدة الجمهورية"، ولا أرتاب في أنهم في اختيارهم ذاك قد راعوا – أيضًا – سعيي الدؤوب لإدراج اللغة العربية ضمن اللغات الرسـمية فـي المنظمات الدولية ومنها "منظمة اليونسكو".

لقد انسلخ خمس وسبعون سنة على تأسيس هذا المجمع، نهض فيها وكبا، وأومض وخبا، وتلك سُنة من سنن الله في الكائنات، وها هو الآن قد بلغ أشده،، واستوى على سوقه، وأخرج شطأه، وأعجب الغيارى نتاجه، ولكن ما ينتظر منه في القابل من الأعوام أكثر مما أعطاه في سالف الأيام، لأن الأمر لم يبق كما قال شوقي:

إن الذي ملأ اللغاتِ محاسنًا جعل الجمال وسره في الضاد

ولكن الأمر صار أمر فعالية، فماذا يفيد الجمالُ صاحبَه إذا كان هذا الصاحبُ كَلاًّ على غيره، ولا يقوم بأمر نفسه، ونربأ بلغتنا أن يكون شكلها جميلاً وغَنَاؤها ضئيلاً.

إن العالم في هذا الزمان الذي نحياه يعيش ما سماه أحد الكتاب الفرنسيين "حرب اللغات"، وفي الحرب – كما تعلمون– منتصر ومنهزم، وغالب ومغلوب، فماذا سيكون مصير لغتنا في هذه الحرب الضروس التي زادتها تأججًا والتهابات ثورة الاتصالات الحديثة؟

إن دراسة صدرت من قريب في أمريكا اللاتينية تنبأت أنه في المدى المنظور لن يبقى إلا أربع لغات هي:

- اللغة الصينية، وسبب بقائها هو العامل البيولوجي.
- اللغة الإسبانية، وسبب بقائها هو العامل الديموغرافي.
- اللغة الإنجليزية، وسبب بقائها هو العامل التكنولوجي.
- اللغة العربية، وسبب بقائها هو العامل الأيديولوجي (الديني)، لأنها هي اللغة الدينية لأكثر من مليار من البشر.

لكن بالرغم من هذا التنبؤ الذي يبعث شيئًا من التفاؤل فما ينبغي لنا أن ننكر أن هذه اللغة تواجه تحديًا كبيرًا لا سبيل إلى التغلب عليه إلا باستجابة أكبر، وذلك بتجنيد طاقات أكثر، وبذل مجهودات أغزر، وحشد إمكانات أوفر.

إن تجنيد الطاقات، وبذل المجهودات يتطلب إيجاد مصادر مالية جديدة، ولعل من المصادر المالية المطلوب إيجادها ما يمكن تسميته "الوقف اللغوي"، وذلك بسعي القائمين على هذا المجمع وأعضائه لدى من وسع الله عليهم في الرزق من الأفراد والمؤسسات لِيَقِفُوا أوقافًا تُدِر مداخِل قارّة تمكّن المجمع من تحقيق المرجو منه المأمول فيه.

إن كثيرًا من جهود هذا المجمع واجتهاداته لم تصل إلى الناس، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ضعف الصلة بين المجمع وبين وزارت التربية في العالم العربيّ، فكانت النتيجة أن تلك الاجتهادات لم تدخل في الحياة اليومية، واللغة إنما تحيا بالاستعمال، وتموت بالإهمال، وإن أكبر وسيلة تساعد على نشر هذه الاجتهادات والمصطلحات – إضافة إلى المدرسة – هي الإعلام، خاصة المرئيّ منه، الذي غزا كل شبر في هذه البسيطة. ولنا في سريان الألفاظ والمصطلحات الرياضية على ألسنة الناس أحسن مثل واقعي على ذلك، فإن بقيت المصطلحات التي يقرها المجمع بعيدة عن الناس ولم توصل إليهم بشتى الوسائل فأخشى أن يقال عنّا ما قد قيل عن أعضاء المجمع الفرنسي: "صُنَّاعُ أَلْفَاظٍ، وَزَّانُو مَقَاطِعَ".

إن أهمية اللغة لا تقتصر على المجال العلمي، ولكنها. كما يقول أحد الفلاسفة: "إن الوحدة اللغوية تقود إلى وحدة الإرادات".

فإذا كان تعاوننا اليوم في القضايا السياسية والشؤون الاقتصادية لا يسر الناظرين، حيث تقطعت بنا الأسباب، وصار بأسنا بيننا، ووالينا أعداءنا، وأشمتنا بنا خصومنا؛ فإن الأمل معقود على هذه اللغة في الإبقاء على ما بين العرب من وحدة المشاعر، ووحدة الآلام، ووحدة الآمال، وعسى الله أن يعيد هذه الأمة سيرتها الأولى بفضل هذه اللغة.

وها نحن نرى تجربة الاتحاد الأوربي الذي استطاع أن ينجز كثيرًا من الأمور كتوحيد جواز السفر، وبطاقة الهوية، والعملة، وكثير من القوانين، ولكن العقبة الكؤود – وما أظنه يستطيع تجاوزها – هي تعدد لغات الدول المنضوية تحته. من أجل ذلك فإنني أرى أن مزيدًا من التعاون الفعلي ومزيدًا من التنسيق العملي بين المجامع العربية لتوحيد المصطلحات ونشرها بين أبناء العرب هو من أوكد الواجبات.

وأَغْتَنِمُ هذه المُناسبة الهامَّة لأُسَجِّل كَلِمة شُكْرٍ وَعِرفانٍ وَتَقْدِيرٍ وإجلالٍ للمَغفورِ لَهُ الأُستاذِ الجليلِ الدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمع اللُّغة العَربيّةِ الأَسبقِ الذي طالما سَعِدْتُ بلِقائِهِ في مَكْتَبِهِ بالمَجْمَعِ كُلّما سَنَحتْ لي الفُرصَةُ لِزيارَةِ مصرَ الشَّقيقَة، كما سَعِدْنا باسْتِقبالِه في الجزائر حينما انْعَقَد فيها مُؤْتَمَرُ اتّحادِ مَجامعِ اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ عامَ ستَّةٍ وَسَبْعينَ وتِسعمئَةٍ وأَلف بِمشارَكَةِ رُؤساءِ مَجامعِ القاهرة ودمشقَ وَبغدادَ، وَقَد كان رَحمه الله رَئيسًا لِهذا الاتّحاد، ولِلْمَغفورِ لَهُ الأستاذ الجليلِ الدكتور شوقي ضيف الرئيس السّابق للمجمعِ، الذي سَعِدْت بِلقائِه كَذلك في زياراتي العَديدَةِ للقاهرة – مُنَوِّهًا بِخِصالِهِما العالِيَةِ وتَفانيهِما في خِدْمَةِ العِلْمِ والمَعْرِفَةِ ولُغَةِ الضّاد.

أمطر الله شآبيب رحمته على الثلة من الأولين من أعضاء هذا المجمع الذين أسسوا الأسس، ورفعوا القواعد، وأعلوا البنيان، وبارك الله في هذه الثلة من الآخرين الذين حفظوا الأمانة، وصانوا الوديعة، هم يَلْغُبُونَ وَيَنْصَبُونَ في ذلك، ولا يألون جهدًا في المزيد من العطاء في خدمة هذه اللغة شعارهم هو:

لسنا وإن "أسلافنا" كرمت ... يومًا على "الأسلاف" نتَّكِلُ[1]

نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعلُ فوق ما فعلوا

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،

(١) هناك رواية ثانية للبيت فيها "أحسابنا" بدلاً من "أسلافنا". (المحرر)

دور مركز تعريب العلوم الصحية في تعريب العلوم الطبية

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن العوضي

الأمين العام لمركز تعريب العلوم الصحية بدولة الكويت

ألقاه نيابة عنه الأستاذ الدكتور يعقوب أحمد الشراح(*)

الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع:

والآن سننتقل إلى تجربة علمية عصرية آن الأوان أن تهتم بها مجامعنا اللُّغوية، فمعنا الآن أناس يعملون بعيدًا عنا وإن كانوا قريبين من القلب والعقل والوجدان، هؤلاء هم القائمون على أعمال مركز تعريب العلوم الصحية بالكويت، وهذا المركز تجربة وميراث في المصطلحات المتصلة بهذا المجال، وعندما تساءلت - وأنا لا أدري لماذا اختير تعبير العلوم الصحية بدلاً من الطبية، فالشائع في مجال العمل "مصطلحات الطب" - أفهموني وهم مُحقُّون أن العلوم الصحية أوسع مجالاً من العلوم الطبية؛ فالعلوم الطبية مقصورة على دراسات ومجالات معينة.

ضيفنا الذي سيحدثنا عن خلاصة هذه التجربة هو الدكتور يعقوب أحمد الشراح الأمين العام المساعد للمركز نيابة عن الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العوضي فليتفضل:

(*) هذا البحث قُدِّم في صورة برنامج على قرص مُدمج (C.D) لا يمكن طبعُه، وهو ليس مكتوبًا.

الأستاذ الدكتور يعقوب أحمد الشراح:

أنا لن أعرض بحثًا وإنما أريد أن أعرض تجربة يقوم بها مركز تعريب العلوم الصحية بالكويت لنرى دور المؤسسات التطبيقي في تحويل النظرية إلى عمل، فنحن في أمس الحاجة إلى تفعيل دور المؤسسات في مجال تعريب العلوم الصحية والطبية أو في مجال التعريب عامة.

هذا المركز منبثق من مجلس وزراء الصحة العرب ومنذ أنشئ في بداية الثمانينيات ومقره دولة الكويت.

***أهداف المركز:**

- توفير الوسائل العلمية والعملية لتعليم الطب في الوطن العربي.
- تجميع الإنتاج الفكري، كل ما حصل من إنتاجات فكرية في العالم العربي من خلال التأليف والترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية.
- التنسيق مع الهيئات.
- التنسيق والتعاون مع كليات الطب.
- إصدار الدوريات والمطبوعات وبناء المناهج الطبية العربية.

* للمركز مجلس أمناء من ست دول بما فيها الكويت، ووزير الصحة بدولة الكويت هو رئيس هذا المجلس.

ويقوم هذا المجلس على مراقبة تنفيذ البرامج ووضع السياسات والخطط وإعداد تقرير سنوي عن كل أنشطة المركز وعرضها على مجلس وزراء الصحة العرب في اجتماعاته السنوية.

***إصدارات المركز:**

(عن طب القلب – الأمراض الجلدية – عن علم الأدوية – أساسيات الأعصاب – الوراثة – الجنين – علم المناعة) هذه الإصدارات كلها باللغة العربية وقد تم ترجمتها أو تأليف بعضها.

وللمركز موقع على شبكة الإنترنت يمكن لأي إنسان الدخول عليه ليجد جميع الجهود المبذولة في المركز، وكل الأعمال الموجودة، ويستطيع الاستفادة منها.

وعلى صعيد القواميس والأطالس والمعاجم الطبية تم إنجاز أعداد كبيرة من القواميس، والأهم في كل هذه المعاجم ما يسمى بالمعجم الطبي المُفسر، لابد أن أشير إلى الجهد المبذول في هذا العمل بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية – المكتب الإقليمي، وهذا المعجم يتضمن حوالي خمسين ومئة ألف مصطلح طبي، ونحن أنجزنا حاليًّا الحرف الأول (أ، A) بما يعادل ثلاثة عشر ألف مصطلح ويشترك في هذا العمل الكبير أكثر من ثلاثمئة طبيب عربي.

والمركز يواجه بعض المعوقات، ويكفي أن أشير إلى أنه من أبرز المعوقات عدم تعاون كليات الطب مع هذا المركز بتبني مناهجه وبرامجه أو بالتعليم باللغة بالعربية، فمنهم من يرفضون التعليم بالعربية.

من هنا لابد من تضافر الجهود من الهيئات والمؤسسات المعنية باللغة العربية لمساندة المركز في هذا الدور الذي يقوم به، فهو وحده لا يستطيع أن يقوم به على أكمل وجه.

تعقيبان على بحث
الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العوضي
الذي ألقاه الأستاذ الدكتور يعقوب الشراح

الأستاذ فاروق شوشة:

شكرًا للدكتور يعقوب الشراح على حديثه الذي اعتمد فيه على الأرقام والمعلومات، ووضع خلاصة التجربة بين أيدينا لكي نفيد منها، وأعتقد أن أولى الإفادات ستكون مطالبة هذا المركز بنسخة من هذه الإصدارات حول الحرفين الأولين اللذين شملهما التعريب؛ فنحن أيضًا لدينا عمل دؤوب في لجنة مصطلحات الطب، ومن الممكن أن تتضافر الجهود جميعها في النهاية، وأنا على يقين من أن هذه المحاضرة ستستدعي مداخلات.

الأستاذ الدكتور محمود المناوي:

في الحقيقة لابد أن نعلم أن كل مرحلة من مراحل تعريب الطب كان روّادها فرسانًا، واشتملت المرحلة الأولى على ثلاثة فرسان بارزين، هم كلوت بك الفرنسي، وعثمان بك نور الدين، ومحمد علي، فعندما فكروا في إنشاء مدرسة طبية في مصر كتب كلوت بك إلى عثمان نور الدين ليبلغ محمد علي أن التعليم بلغة أجنبية لا تحصل منه الفائدة المنشودة.

ثم أتوا بمترجمين من سورية وكانوا طلابًا في الوقت نفسه وبهذه الطريقة أُلف وتُرجم ستة وثمانون كتابًا في الطب تعد من أكبر الأعمال التي تُرْجِمَت في العالم من لغة إلى لغة في ذلك الوقت. أما المرحلة الثانية فجاءت بعد طور من الكمون عندما قرر اللورد كرومر منع التدريس باللغة العربية، وحاول لمدة عشرين سنة، وفي سنة ١٩٠٣ نجح في إلغاء تعليم الطب بالعربية فاستقال جميع الأساتذة المصريين في ذلك الوقت. وهذه المرحلة (المرحلة الثانية) بدأت بثلاثة أيضًا، هم: علي باشا إبراهيم، والدكتور محمد

شرف، وأحد الأساتذة المهمين – ولكن في الوقت نفسه لم يكن أحد يسمع عنه كثيرًا – هو: محمد علوي باشا، هذا الرجل الذي نكن له الاعتراف بالجميل؛ لأنه هو الذي تسبب في إنشاء الجامعة الأهلية أو جامعة القاهرة عندما أقنع الأميرة فاطمة إسماعيل أن التبرع في سبيل العلم من أحسن أنواع الزكاة، ثم دخلنا في طور الكمون وبدأت الدراسات الجامعية العربية، وبدأت المرحلة الثالثة، وهي التي نعيشها في هذه الأيام، وهناك ثلاثة رجال سيذكر لهم التاريخ أنهم هم الذين يقودون حركة تعريب الطب في هذا الوقت، هم: الدكتور حسين الجزائري، والدكتور هيثم الخياط، والدكتور عبد الرحمن العوضي. وأذكر أن أول من علمني أن أمسك المشرط هو الدكتور حسين الجزائري عندما كنت في مرحلة الامتياز وهو نائب في قسم الدكتور حليم في قصر العيني القديم الذي هو قلعة الطب. لم يكن قصر العيني من البداية مصريًّا كاملاً بل كان عربيًّا، كان يضم بين صفوفه طلابًا من العرب، وخاصة من سورية ولبنان ومن المغرب العربي، منهم في عهد محمد علي: يوسف أصطفان، غالب الخوري، الجراح النجار، وفي عصر إسماعيل: فارس نجم، والشيخ شيبان الخان، وميلاد صغير، وقد أصبح هؤلاء الأعلام المرجع الطبي لأبناء سورية ولبنان في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وشكرًا.

الترجمة ــ بعض من مفاهيمها
وكثير من مزالقها

للأستاذ أحمد شفيق الخطيب
عضو المجمع من فلسطين

الترجمة ــ مقدّمة ومفاهيم

كانت الترجمةُ عبر العُصور وما زالتْ عاملاً مُهمًّا في تطوُّر الثقافات وتبادُلها، ولعلها الأهم بين هذه العوامل كقناة اتصال وتفاعل ثقافي وحضاري بين الأمم المختلفة.

عندما دخلَ العربُ التاريخَ، تحت راية الإسلام، حوّلوا العربيَّةَ من لُغة قبليّة إلى لُغة عالمية بالترجمات من اللغات الحَضارية السالِفة ــ سريانية وفارسية ويونانية ولاتينيّة وهندية.

وسُرعان ما غدت العربيةُ لُغةَ العلوم والآداب، لُغةَ الطِّب والهندسَة وعلم الفلك ــ فكانت هي "اللغةَ العالمية" ــ كما تقولُ الكاتبة الألمانيّة زيغْريد هونْكه في كتابها "شمسُ العَرب تَسْطعُ على الغرب".

ثُمَّ في عَصر النهضة الأوربية "Renaissance" انقلَبت الآيةُ، فأقبل الأوربيون على تَرجمة الفِكر الإسلامي والتُّراث العلمي العربي في الطب والفلك والكيمياء والرياضيات وسواها ــ تشْهَدُ بذلك مئاتُ الألفاظ في تلك العلوم التي أخَذَتْها اللغاتُ العلميّةُ الغربيّةُ عنها، وكذلك المؤلَّفاتُ العربيةُ المُلَتْنَةُ في الفلك، والطبّ بخاصة، التي ظلَّت تُدَرَّسُ في جامعات أوربا العريقة في مونبلْيِيه ولُوفان وتوبنْجن طَوالَ عِدّة قرون ــ فيما عانَتْ بلادُ

العَرب عَهدًا من الظُّلْمة والتجهيل السُّلْجوقي العُثماني بخاصّة؛ فَـرانَ علـى المِنطقةِ سُباتٌ عميقٌ أخذَتْ تُفيقُ منه مع بَوادر حَركة النهضة أواسطَ القرنِ التاسعَ عشَرَ بحركات الترجمة التي رادَها محمَّد علي في مصر والإرساليات الأمريكيةُ والفرنسيّةُ في بلادِ الشام. ثمَّ تابعَها ويُتابِعها حاليًّا أهلُ العلِم والثقافة ـ مُعجميُّون وَمَجمعيُّون ومترجمون ناشطون في شتَّى أرجاء الوطن العربي ناقلين لنا مُختاراتهم من نتاج الفكر العالمي وإبداعاته وثقافاته.

في تعريف الترجمة

المَعاجم اللغوية العربية تقول: ترجم الكلامَ: بيَّنه ووضَّحه

وترجم الكلام: نقَله من لُغةٍ إلى أُخرى، أو فسَّره بلسانٍ آخـــر. أمّـــا المعاجم الأجنبيَّة فتقول إضافةً إلى ذلك: الترجمة Translation عمليـــة نقـــل ــ بحيث لا تتغيَّر محاورُ ولا جوهَرُ المنقول ــ لا اتجاهًا ولا قدْرًا ولا شكْلا ولا فَحْوى.

وبضَمِّ هذين المفهومين للترجمة يتَبدَّى لنا أن عملية الترجمة تَنْطوي على نقْلٍ يشمَلُ الطبيعةَ الاجتماعية، والخَلْفيَّةَ الثقافية والتِّقانيّةَ والبيئيةَ وحتى المُناخية ــ إضافة إلى المفهوم أو المَفاهيم اللغوية ــ دونَ تَحريفٍ أو تشويه.

وبَديهيٌّ أنّ هذا النوعَ من الترجمة لا يُمكـــنُ أداؤُه أداءً سَـــليمًا دون الرَّوِيَّة والدرس والتفهُّم السليم.

اللغاتُ بطبيعَتِها لا تعمَلُ في عُزْلَة، بل كَجُزْء من ثَقافة؛ والثقافـــاتُ تختلِفُ واحدَتُها عن الأُخرى. حتى ضِمْنَ لُغات الجماعاتِ المُتقاربةِ الثقافـــة، يتَعَذَّرُ أحيانًا إيجادُ المُقابِل الطبيق. بل إنَّهُ أحيانًا يتعَذَّرُ استبْدالُ كلمةٍ بمُرادفها ضِمْنَ اللغة نفْسها. والمعروفُ أن بعض اللغويِّينَ اللِّسانيِّين لا يَعترفون أصلاً بوجودِ المُرادفِ المُكافئ المُطابقِ في اللغةِ نفسِها، فكيف في لُغةٍ أُخرى؟

نَعم هنالك كلماتٌ لها في مُختلِف اللغات مَدلولٌ واحد لا تكادُ دَلالتـــهُ تختلِفُ.

وهذه الكلماتُ هي من النّوع المُتعلّق بحاجاتِ الإنسان المَعيشيّة، كالماء والملح والبيت، أو بِمَداركه الفِطْرية كالحُبِّ والكُرْهِ والعَداوة، أو بظَواهر الكَونِ العامّة كالرِّيح والمَطَر والحرِّ والبَرْد والبرقِ والرَّعد وسواها.

لكنْ هناك ألفاظٌ لا حَصْر لها، يَخْتَلفُ مَدلولُها باختلاف السِّياق، أو باختلاف طبيعة اللغة، أو باختلاف المفهومِ الخاصِّ بقُطْرٍ أو أُمّةٍ وَفْقَ ما اختصَّت به طبيعةُ ذلك القُطْر أو عاداتُ تلكَ الأُمةِ وتقاليدُها.

فالصفةُ في العربية تُطابقُ الموصوفَ جِنْسًا وعَدًّا؛ وتَتْبَعُه مَوقِعًا وإعرابًا – بينما الصِّفةُ في الإنجليزية جامدةٌ شَكلاً وصيغةً – وهي تسبقُ الموصوفَ ولا تُطابقُه؛ وقد يَخْتَصُّ بعضُها اصطلاحيًّا باستِخدامِ لفظٍ معَيَّن قد يختلفُ باختلاف الموصوف فمقابل "جميل" مثلاً تقول: "pretty" أو "beautiful" للأُنثى أو الإناث. أما جِنْسُ المُذَكَّر فتقول فيه "handsome" .

والناطقُ بالإنجليزية لا يَصفُ البناءَ القديمَ بأنه "elderly" ولا المُتَقَدِّمَ في السِّنِّ بأنه "antique" فالعكسُ هو الصحيح!

وإنْ صحَّ وصفُك للطريق أو الشجرةِ بأنها طويلة، فإن الوصفَ بالإنجليزية يختلف، فتقول "long" للطريقِ وكلِّ ما هو طويلٌ أُفقيًّا – long road وَ long rope. أما لِما هو طويلٌ رأسيًّا، فتقول "tall" – tall person و tall tree .

أحيانًا حتى المفهومُ التقليديُّ يختلفُ. فنحن في العربية نَصِفُ الشجاع المِقدامَ بأنه "جَرِيء" . مَعاجِمُنا تقول: جَرُؤَ جَرْأَة وجَراءَة على الشيء – فهو جَرِيء؛ وتَجرَّأ: تَشَجَّع.

فيما المُقابِلُ الإنجليزي "bold" يحمل إلى جانب معنى الجُرأة مَفهومَ "الوقاحة".

وأنتَ إذا سمعْتَ خَبَرًا مُفْرِحًا، تقولُ فيه بالعربية "أثلجَ صَدري". أما الإنجليزيّ فيقول في الأخبار السَّارة:.heart - warming news

يعني هنا حتّى المُناخُ البيئي يَلْعبُ دَورَه فــي نوعيّــة الأداء القَــويم للمفهوم.

وما يُقالُ عن الصِّفات يُقالُ مِثْلُه أو بَعضُهُ عن الأفعــال والأســماء، ولا بُدَّ لِضَبْطه في اللغة المُقابلة من مُراعاة طبيعة اللغة والمفهوم والسِّياق.

وقد يَخْتلفُ أداءُ المفهوم نفسه في اللغة نفسها باللفظ المُناسب.

فقولك في مَفهوم "الطَّلب" في الإنجليزية مثلاً يَخْتَلف في قولك:

The demand for Computers and leiptops is increasing. أو Catalogues of our books will be sent on request. أو The librarian sent on order to Beirut For Some books.

ولكنك لو استَبْدَلتَ مفهومَ "الطَّلب" في إحدى هــذه الجمــل بــاللفظ المختلِف المُعبِّر عن مفهوم الطلب في إحدى الجملتَــين الأُخــريين لاختَــلَّ الوَضع.

كذلك فإنَّ السِّياق بالغُ الأهميّة في الترجمة ــ إن كــانَ النَّقْــلُ مــن الإنجليزية إلى العربية ــ أو كان من العربية إلى الإنجليزية.

فلو أخذتَ اللفظ live "حَيّ" ــ على قَيْد الحياة، أو اللفــظ hard فــي سِياقات مُختلِفة لتَبايَنتِ الترجماتُ المؤدية جذْريًّا. فالمفروض أن يُقال ــ

في ترجمة live wire سلكٌ مُكَهرب، وفي ترجمة live bait طُعْمٌ حَيّ،
وفي ترجمة live coal فحمٌ مُتَوهج، وفي ترجمة live shell قُنْبُلة غير مُنْفَجِرة،
وفي ترجمة live colour لونٌ زاهٍ، وفي ترجمة live transmission إرسال أو بثٌ مُباشر،
وفي ترجمة live axle مِحورٌ دوّار، وفي ترجمة live oil زيتٌ خامٌ. إلخ.

وأنت قد تقول في ترجمة hard "صُلب أو صَلْد" لمفهوم القَساوة، لكنْ يُفترض فيك أن تقول في ترجمة hard rays أشعة نَفّاذة

وفي ترجمة hard valve صِمامٌ شديد وفي hard labour أعمالٌ شاقّة التفريغ،
وفي hard drink شَرابٌ عالي الكحوليّة، وفي hard copy نُسخة مَطبوعة (من الحاسوب)
وفي hard water ماءٌ عَسِر، وفي hard ware عَتادُ الحاسوب
وفي hard currency عُملة صعبة، وفي hard lighting إضاءَة شديدةُ التباين ... إلخ.

والعكس أيضًا صحيحٌ في النَّقل من العَربية إلى الانجليزية ــ ففي ترجمة مَفهوم الفِعل "ضَرَبَ" تقول:

في ضربَ البابَ knock، وفي ضرب عُنُقَه behead،
وفي ضربَ حِسابيًّا multiply، وفي ضرب العُملة mint،
وفي ضرب الرقمَ القِياسي break، وفي ضربَ القَلْبُ throb،

وفي ضربَ العود play،
وفي ضربَ مثلاً give،
وفي ضربَ موعدًا fix،
وفي ضربَ بالقنابل shell أو bombard،
وفي ضرب جِزْيَةً impose،
وفي ضربَ في الأرض roam،
وفي ضربوا خِيامَهم pitch
(مع ملاحظة أن strike camp بالإنجليزية تعني "قَوَّضوا خِيامَهُم" استِعدادًا للرحيل).

ولو شِئتَ التعبيرَ عن مَفهوم الصِّفة "سَليم" لَتبايَنَتْ لدَيك المُقابِلاتُ الإنجليزية حسَب السِّياق ـــ فتقول في مفهوم "سليم" للجسم healthy، وللسُّلوك proper، وللجواب correct، وللعقل sane، وللذَّوق good، وللبيان أو الأداء flawless، وللخُلُق unblemished، وللقرار أو الرأي sound، وللعاقِبة أو النتيجة safe.

وتَزدادُ مُتَطلَّباتُ الترجمةِ السَّليمةِ وتتعقَّد عندما يختلفُ مَنْحَى المادة بين مَجالات الأدب والعلم. فما يَصِحُّ ترجمتُه في لُغَة الأدب بمُقابل، قد لا تَصِحُّ ترجمتُه بذلك المُقابِل في لُغة العلم. فإن صَحَّ قَولُنا في وَصف شيءٍ أنه صُلب مقابل solid في سِياقٍ أدَبيّ، فإن هذا الوَصف غَيْرُ دَقيق، بل غيرُ صحيح في سياقٍ علميٍّ فيزيائي. فالرِّيشُ والقُطْن والحريرُ هي موادُّ من الجَوامد solids، بالمقابلة مع حالَتي المواد الأُخرى ـــ السوائل liquids والغازات gases.

كذلك إن عَبَّرت في سِياقٍ أدبيٍّ عن مَفهوم "عَدم القُدرة" بقولك : ليسَ لي قُدْرةٌ على، فلا اعتراضَ على تَعبيرك عن المفهوم نفسه بقولك

ليسَ في وُسْعي أن، أو لا قُدرةَ لي على،
أو ليسَ في طاقتي أن، أو لا إطاقةَ لي في أن،
أو ليس لي طاقةٌ على، أو لا قُوّةٌ لي كَي ... إلخ
لكنَّ ذلك لا يصِحُّ في سِياقٍ علمي.
فمُقابِلُ قُدرة، المُقابلُ العلمي هو power، أما طاقة فمقابلها energy،
ومُقابلُ وُسْع capacity، ومُقابل قُوّة force.
وكلٌّ من هذه الألفاظِ لهُ علميًّا مَفهومُه الخاصّ، ووَحَداتُ قِياسه الخاصة.

والواقع أن هذا التحديدَ المتعارفَ في المَجالات العلميّة والتِّقنيَّة المُقررةِ المُرادف للمَفهوم الواحد، يَجْعَل الدّقــةَ فــي الترجمــات العلميــة الطــابَع والاستبْيانات المُحدَّدة المَوضوعِ والنسَق، أعسَرَ، لا أيسر، لمــن يــستعينون بالإمكانات التكنولوجية حيث يبقى العقل البشري المرجعَ الأساسي في دقــة الترجمة. فالآلة لا تزال غير قادرة على تجاوز المُلْتَبِسات التي يَبْقَى تفهُّمهــا ذهنيًّا مُرتبطًا بالمعنى والسياق.

هذا وليس يُنكَرُ أنه في تَرجمةِ أيِّ نَصٍّ أدَبيّ، مَهما توخَّى المُتَــرجِمُ الدّقةَ، فلا مَناصَ من فقدانِ شَيْءٍ من قَصْدِ المؤلــف ــ بحيــثُ إن المَقولَــة الإيطاليّة Traduttore traditore "المُترجمُ خائن" لها ما يُبرِّرُها. فأحيانًا يكون تَصرُّفُ المُتَرجم القديرِ مَطلوبًا في مَجال اختصاصه. فقَــد يكــون المفهــومُ المُتَرْجَمُ غامضًا في ذهنِ مؤلِّفه، أو قد أُسيء عَرْضه ــ فيتَحتّم على المترجم الخَبير أن يبحث عن تفسيرٍ مُصَحَّحٍ مُقنعٍ لما يَقْرَؤُهُ ــ ولــذا قيــل "الوفــاء مَحمودٌ في كل شيء عدا الترجمة" ــ حيث الخيانةُ التضبيطيةُ مطلوبةٌ أحياناً.

الترجمة والمُصطَلَحُ العلمي

المصطلحاتُ اليومَ جُزءٌ مُهِمٌ من اللغة ــ من أي لُغة ــ باعتبارِهــا مفاتيحَ للمعرفةِ في شتَّى فروعها. وتُقدِّر بعضُ الدراسات أن ما يتجاوزُ ٥٠٪ من مُفردات لُغاتِ البُلدان المتقدِّمة عِلميًّا وتِقانيًّا هي مُــصطلحاتٌ مُــستجِدَّة؛ والكثيرُ من هذه المُصطلحاتِ غدا عالميَّ النِّطاقِ ويَوميَّ الاستخدام.

نحنُ اليومَ، وغدًا، مُطالَبون بتَحقيق أبسَط مُتطلَّبات اللغــة القوميَّــة وتنميتِها لتكونَ لسانَ حال العَصر وتواكِبَ مُستَجِدّاته. وذلكَ بتــوفير أســماء لحاجاتِ الناس اليَوميَّةِ المُعاصِرة ــ مُصطلحاتٍ في مختلِف مجالاتِ الغَمْــرِ الحضاري الذي يَجْتاحُهُم ــ ليسَ فقَطْ تِقانيًّا وإلكترونيًّا وهَندسيًّا وحَــضاريًّا، بَلْ أيضًا مَعيشيًّا وبيئيًّا واجتِماعيًّا. والترجَمةُ المُصطلَحيّةُ هي الــسَّبيلُ إلــى ذلك.

طبعًا المُصطلحُ بِحَدِّ ذاته ليسَ غايَة. الغايةُ هي امتلاكُنــا المعــارفَ العِلمية والتِّقانيَّة الفعليّةَ اللاسَطحيةَ للركْبِ الحضاري المُنطلِقِ حَوالَينا بِــزَخْمٍ مُتَزايِد ــ والمُصطلحُ هو بَعضُ وسائلنا لامتلاك تلك المعارفِ والتِّقانات.

البعضُ يلُومونَ العربيَّةَ كلُغَةٍ غير قادرة على اســتيعاب المــسمَّيات العلمية والحضارية على اختلافها بصورة مؤدِّية. ويتناسون أن اللغــة إنمــا تعكس أوضاع الأمة وحيويتَها وإنجازاتها وسلطانَها ــ هكــذا كــان شــأن اليونانية أيام الإغريق، واللاتينيةِ في عهد قَيصر، والعربيةِ في زمــن بَنــي العبّاس، والإنجليزية الأمريكية اليومَ.

ويُنظِّرُ البعض أن المشكلة في وضع المصطلحات هي في غياب المنهجية العلمية، والواقع يخالف ذلك. فالمنهجية تحققت بشكل شبه متكامل في توالي الربع الأخير من القرن الماضي. وتوضَّحت معالِمُها في أعمال ومحاضر مجامع اللغة العربية والعديد من الندوات والمؤتمرات، أذكر أنِّي شاركت في ما يزيد على عَشَرةٍ منها.

العلة، في الواقع، شخَّصها الأمير مصطفى الشهابي في منشوره الجريء منذ ما يزيد على نِصف قرن، حيث يقول:

"الذين يتَحلَّون بمعرفة دقائق العلوم الحديثة وأسرار اللغة التي يترجمون عنها والتي ينقلون إليها، هم قليلون جدًّا في بلادنا العربية".

وللأسف، فإن مقولة الأمير، حتى تاريخه، لم تتغير كثيرًا!.

المُصطلحية والمُصطلَحيُّون

إن مهنة المصطلحي، كما تعلمون، لما تتحدَّد معالمها بَعدُ في العالم العربي. فليس هناك برامج متعارفة، ولا طرق تأهيل محددة ومرسومة لإعداد المتخصصين في المصطلح والشؤون المصطلحية. ومعظم، بل ربما، كل المتخصصين الذين أعرفهم تأهَّلوا مصطلحيًّا بجهودهم وإمكاناتهم الشخصية – ولم يدرسوها كعلم. إنما توافرت لهم خلفيات دراسية علمية وتثقيفية ولغوية وخِبْرَويّة ساعدت في هذا التأهيل.

لكن مهما يختلف المنظِّرون في تقنيات المصطلحية ومساقاتها ومناهجها ومنهجيَّتها، فهنالك أساسيات، لا خلاف فيها، لما يمكن اعتبارُه بعضَ مؤهلات المصطلحي. وهي في جَوهَرها لا تختلف كثيرًا عن المُتطلَّبات الأساسية لأعمال الترجمة الناجحة التي حصرها الجاحظ منذ اثني عشر قرنًا في مَناحٍ ثلاثة ينبغي أن تتوافر في المترجم – وهي بمفهوم وتعبير أبي عثمان:

أولاً: أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن عِلمه بنفس المعرفة – أي إلمام كافٍ بمادة الموضوع الذي يقوم بوضع مصطلحات مادته.

ثانيًا وثالثًا: كون المصطلحيةِ ترجمةً من مستوى معين، أن يكون المترجم أعلم الناس باللغة المنقول عنها (لغة الأصل) واللغة المنقول إليها (لغة الهدف) حتى يكون فيهما سواءً وغاية.

ويزيد خبراء المصطلحية على هذا الثالوث – خبرة عملية بالمنهجية المصطلحية – مدعَّمة بالتراث المصطلحي القديم والحديث – إضافة إلى

موهبةٍ عِمادها ذكاءٌ مدرب وخيال واسع يُمَكِّنُ من تصور العُدةِ أو الشيءِ أو العملية موضع البحث — مع درايةٍ وبصيرة توجِّهان المصطلح لانتقاء المرادف الأنسب من التراث أو المعاجم ذات العلاقة، أو الترجمة من الكتابات المنشورة حول الموضوع.

يعنى في الواقع، العِلّةُ ليست في المنهجية، بل في المصطلحيين اللامنهجيين غير المؤهلين بالثقافات أو المعارف التقانية الأجنبية — فيلجؤون إلى النقل الحرفي أو التقديري أو الاقتباسي، ويُسجّلون هذا النقل بلغة مُضطربةٍ — إمّا لاضطرابٍ في فهم المنقول واستيعابه، أو لوَهْنٍ في المتطلّب الجاحظي، أو لوجود العاملين معًا!

في ما يلي عينات مصطلحية زَلَلِيَّة من أعمال معجمية أو ترجماتية صدرت عن مؤسَّسات نُجِلُّها، أو من معاجمَ أو مشاريع معاجمَ عُرضت علينا، في دائرة المعاجم بمكتبة لبنان، من قِبَل مؤلفين سيرهم الذاتية تزيد على ثلاث صفحات، أو عبر مكتب تنسيق التعريب أو سواه بقصد مراجعتها أو نشرها.

وسأورد هذه العينات كفئات حسب نوعيتها أو نوعية مُسبِّباتها — في ما يمكن عنونته "مزالق الترجمة" — أبدؤها بمزلق الترجمة الحرفية:

الترجمة الحرفية

(بدءًا بالمصطلح ثم ترجمة واضعه ثم تصويبه)

المصطلح الإنجليزي	الترجمة الحرفية	التصويب
setting of cement	وضع الإسمنت	شَكُّ الإسمنت (وهو تصلب الإسمنت)
mud port	مرفأ طين الحفر	كُوَّة طين الحفر (فتحة خروج طين الحفر المُبَرِّد للولب الحفر)
geological conditions	شروط جيولوجية	ظروف جيولوجية (أحوال جيولوجية)
watch glass	زجاجة الساعة	زجاجة مراقبة
water hardness	قساوة الماء	عسر الماء (الماء العسر لا يرغو فيه الصابون)
smoothig (of current)	صقْل	تسليس (وهو تقليل الترجُّح في شِدة التيار كما يبدو في رسمٍ بياني لذلك)
pipe wrench	لَيُّ الأنبوب	مفتاح ـ ربط أو (فك) الأنابيب

obstructed testis	خصية مسدودة	خصية محتبسة (لم تنزل إلى الصفن)
tensile strength	قوة الشد	مقاومة الشد
antenule	لاحقة مُتقدمة	قرين استشعار

ثم الترجمة بمرادف خاطئ أو خاطئ سياقيًا

(وهي إلى حد ما شبيهة بالترجمة الحرفية)

المصطلح الإنجليزي	المرادف الخاطئ سياقيًا	التصويب
action & reaction	الفعل والتفاعل	الفعل ورد الفعل (قانون نيوتن الثالث)
hyporeactive (في سياق فيزيائي)	ضعيف التفاعلية	ضعيف رد الفعل أو ضعيف الاستجابة (weak response to stimuli)
controlled fusion (في سياق نووي)	انصهار مضبوط	اندماج مضبوط (متحكم به)
nuclear fusion	انصهار نووي	اندماج نووي (الانصهار فيزيائيًا التحول من جامد إلى سائل)
investment casting	صب استثماري	صب إحداقي (يحدق فيه بالنموذج الشمعي

Cire per due		قالب طيني يُصب فيه لاحقًا النموذج المعدني)
isobaric	متساوي الضغط (صحيح لمواقع على خط في الخريطة) (ولا يصِحُ في سياق النظائر والمحاليل)	متساوي العدد الكتلي (للنظائر)، أو متساوي الوزن النوعي (للمحاليل)
Beccari process	ناتئ بيكاري	عملية أو طريقة بيكاري (للتخلص من النفايات بالتخمير البكتيري في أوعية مغلقة)
alveolar process	عملية سِنْخِيّة	ناتئة سِنخية (فيها مغارز الأسنان في الفم)

ثالثًا ـ الترجمة المقلوبة
(خلطُ الصفة بالموصوف)

المصطلح الإنجليزي	الترجمة المقلوبة		التصويب
pillow lava	وسائد اللابة	بَدَل	لابا وساديَّة
colour balance	لون متوازن	بدل	توازن الألوان
analytical balance	توازن تحليلي	بدل	ميزان تحاليل
air - dried	هواء جاف	بدل	مجفف بهواء
trachyphonia	صوت أجشّ	بدل	جُشة (أو خشونة) الصوت hoarseness of the voice
waste products	نواتج النفايات	بدل	النفايات الناتجة (المهملة أو المُطَّرحة)

رابعاً – ترجمة الاسم صفةً

koinotropy	اجتماعي الطبع	الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية (وبالمصلحة العامة)
barylaia	مختلّ التلفظ	اختلال التلفظ

خامسًا – ترجمة الصفة اسمًا

koilorrhachic	تقعُّر السيساء	بدل .	مُقعر السيساء
kyrtorrhachic	تحدب القطن الأمامي		مُحدب القطن الأمامي
adrenergic	نهايات الأعصاب التي تفرز الأدرينالين	لما هو	مُحرِّض الأدرينالين (وصف للأعصاب التي تطلق نهاياتها مادة تشبه الأدرينالين)

سادسًا ــ الترجمة بشبيه سماعيّ

المصطلح الإنجليزي	الترجمة بالشبيه السماعي	التصويب
annular thickening	تَثَخُّنٌ سنوي annual	تثَخُّنٌ حلَقي
ferromagnesian	حديدي مِغنطيسي	حديدي مغْنسيُومي
acid dyes	صِبغيَّاتٌ حامضية chromosomes	أصباغ (أو خُضُب) حامضية
phosphor	الفُسفور phosphorus	فُسْفُر: مادة مُتَفسفرة مثل الزّنك المُعالج بأكسيد الزنك
appendicular skeleton	هيكَلٌ زائدي	هيكَلُ الأطراف(الصفة من appendage وليس من appendix
tongue	ملْقَط (tong ملْقط أو يلتقط بالملقط)	لِسان
tympanites (tes)	التهاب الطبلة (هذه tympanitis (tis)	انتفاخ البطن ــ تطبُّل
stationary	مستقر + قرطاسية (ne)- (na) صاحب المُعجم يعطيها المعنيين ويُجادلني في صحَّة ذلك	مستقر، ثابت، ساكن

سابعاً _ الترجمة بمعدود خاطئ

المصطلح الإنجليزي	الترجمة بمعدود مخالف	التصويب
Mendel's laws of inheritance	قوانين مندل في الوراثة	قانونا مندل في الوراثة
Faraday's laws of electrolysis	قوانين فرادي في التحليل الكهربائي	قانونا فرادي في التحليل الكهربائي
interventricular	**بين البطينات**	بين البطينين (في القلب – وإلا ينتقل المفهوم إلى الدماغ)
intermammary	**بين الأثداء**	بين الثديين (في بيولوجيا البشر)
interspinous	**بين النواتئ الشوكية (للفقرة)**	بين الناتئين الشوكيين (الفقرة لها ناتئان شوكيان)
hysterosalpingectomy	**استئصال الرحم والبوق**	استئصال الرحم والبوقين
maxillae	**الفكوك العلوية**	عظما الفك العلوي
arthropod	**مجموعة مفصلية الأرجل**	حيوان من مفصليات الأرجل
annelid	**الديدان الحلقية**	دودة حلقية



ثامنًا ــ الترجمة بشيءٍ آخر
أو بمفهوم مختلف

المصطلح الإنجليزي	الترجمة بشيء مختلف	التصويب
absorption spectrum	مدى الامتصاص	طيف الامتصاص
Scalenohedron	الشكل المثلث المختلف الأضلاع (هو scalene triangle)	المجسم المتعدد الوجوه المثلثية المختلفة الأضلاع
sublimation	تبخر سريع	التسامي أو التصعد (تحوّل من الصلابة إلى الغازية دون المرور بحالة السيولة)
milligal	سم في الثانية (وحدة سرعة)	سم في الثانية في الثانية (وحدة تسارع)
thalassin	ثالاسين ــ جوهر من نبات الشكبة (شقائق النعمان) anemone, windflower	ثالاسين ــ مادة سمية تستخرج من حيوان شقيق البحر sea anemone
afferent neurone	ليف عصبي	عصبون مورد (ة)
h (a) ematopsia	رؤية دموية	نزف إلى العين haemorrhage into the eye (ممَّا قد يُسَبِّب الرؤية المُحْمَرَّة)

urethreurynter	توسع الإحليل	موسِّعة الإحليل
Sympathetic uveitis	التهاب العنبية الوُدِّي (لا علاقة لِلْوُدي هنا)	التهاب العنبية التأثري (يعني التهاب في عين تأثرًا بإصابة العين الأخرى)
allantois	نمو غِشائي	السِّقاء أو اللقانقي (من الأغشية الجنينية)
gizzard	حَوصلة (الحوصَلة هي crop أو craw)	قانِصة
botryoidal	كُلوي	عنقودي

تاسعًا ــ الترجمة بالنقيض

المصطلح الإنجليزي	الترجمة المناقضة	التصويب
allochthonous deposits	ترسبات موضعية	ترسبات دخيلة (غريبة)
plug	مَقبس (المَقبس هو receptacle)	قابس
gatism	احتباس (مستقيمي أو مثاني)	سَلَس
haustrum	قُبَيْبَة (ليس dome)	جُبَيْب (بل recess)
corrosive	قابل للتأكُل	أكّال
corrosivity	ائتكال (اشتقاقًا من اللازم)	أكّاليّة
cytotropic	موجّه للخلايا	مُتَوجّه إلى الخلايا (خَلويُّ الانتِحاء)
tetranop (s) ia	رؤية رُبْعيَّة	عَمًى رُبْعيّ loss of a quadrant of the field of vision

عاشرًا ـ الترجمة المُضَلِّلة بالجذور المشتركة أو شبه المشتركة

الكثير جدًّا من المصطلحات العلمية ـ الطبية بخاصة، يتألف من جذور (أو مكونات) يونانية أو لاتينية. فيترجم المصطلح بترجمة الجذور ـ مثلاً في neuralgia ـ (.neur (Gr عصَب و (.algia (Gr ألم – فنقول " ألم الأعصاب" .

أو في megalomania ـ (.megalo (Gr عظَمة، و (.mania (Gr هوَس أو جُنون – فنقول "هوسُ العظمة".

أو في chondrolysis (.Gr) ـ chondro غضروف و (.lysis (Gr انحلال – فنقول "انحلال غُضروفي".

لكن أحيانًا تتشابه هذه الجذور شكلاً وتختلف معنًى

ـ فالجذر (os (L في المصطلح os externum uteri يعني فُوهَة أو فُتحة (وجمعُه ora) فنقول فيه :"فوهة الرَّحم الخارجية ostium uteri؛ والصفة منها ostial " فوهي" ـ **.ti**

لكن الجذر (os (L في المصطلح os frontale يعني عظم (جمعُه ossa)، فنقول فيه "عظم الجَبهة" . والصفة منه osteal "عظمي" ـ **te**

(الفرق فقط في ti و te) كتابةً

كذلك هناك مجال للخلط بين الجذرين اللاتينيين:

ileo ـ (**le**) بمعنى "لفائفي ـ اسم معًى" كما في ileocolic لفائفي قولوني" و ileocecal "لفائفي أعوري" حيث كلاهما مَنسوب إلى ileum (**le**) ـ "المِعى اللفائفي". وبين الجذر ilio ـ (**li**) بمعنى "حَرقفي ـ اسم عظم" كما في

iliofemoral "حَرقفي فخذي" و iliocostal "حرقفي ضِلعي". والنسبة هنا هي إلى ilium ـــ (li) ـــ "العظم الحَرقفي".

واللافتُ أن الصفات ileal وَ ileac "le" كما، ilial و iliac "li" تتماثل لفظًا وصوتًا؛ وسماعًا ـــ لا يميّزها إلا السياق والتهجئة.

أما مجال اللَّبس الأدهى فهو عندما يعني الجَذر نفسه شيئًا مختلفًا في موقعين مثلاً الجذر (Gr.) ـــ trachelo يعني "العنُق"

وهو في المصطلح trachelocystitis يعني "التهاب في عُنق المثانة"،

وفي المصطلح trachelorrhaphy يعني "رَفو عُنق الرحم".

لكنه في المصطلح tracheloschisis لا يعني "انشقاق خلقي في عنق الرحم" كما يقول أحد أشهر معاجمنا الطبية. بل يعني "الانشقاق الخلْقي في العُنق (الرقبة) ـــ كما هي الحال أيضًا في trachelocyllosis "انفتال الرقبة، انفتال العنق، أو الصَّعَر".

وفي هذا السياق أذكر الجذر ـــ salping أو salpinx الذي يعني في اليونانية tube وهو يدخل في تسمية أُنبوبين مهِمَّين في جسم الإنسان:

أولهما– الأنبوب الرحمي tuba uterina أو أنبوب فالوب Fallopian tube ـــ وقد اتفقنا على تسميته "البوق" كما في salpingocyesis حَمْلٌ بوقي.

وثانيهما– الأنبوب السمعي tuba auditiva أو قناة أستاكيوس. وقد اتفقنا مجمعيًّا على تسميته "النفير" كما في salpingopharyngeal نَفيري بُلعومي. ثم يأتيك من يُتَرجم gastrosalpingotomy خَزْع النفير بشَقٍّ البطن ـــ بدل "خزع البُوق بشق البطن".

كذلك نجد للجذر tars (o) معنيين – يرجع أولهما إلى الرُصـــغ – المُسمّى الأشهر – لـ "رُسغ القدم" أو مشط القدم – كمـــا فـــي tarsotibial "رُصغي ظُنبوبي".

والمُسمَّى الآخر "غُضروف الجَفْن" كما في tarsomalacia "ارتخـــاء غُضروف الجَفن". وكلا الجَذرين يدخل في عِدَّةِ تسميات ذاتِ علاقةٍ برُســغ القدم (الرُصغ) أو بغُضروف الجفن. ولا بُد من شيءٍ من الفِطـــرة الـــسَّليمة common sense لتحديد المعنى المقصود من سياق النص.

ومن مشاكل الترجمة اعتمادًا على الجذور توهُّمُ ما ليس هو بجـــذر جذراً – في حين يكون ذلك الجزءُ جُزءًا من الكلمة أو جُزءًا من جذرٍ آخر.

مثلاً الجذر – di اليوناني في الألفاظ dipole وdimorphy وdiphase وdioxide وسواها يعني "ثُنائي" أو "مزدوج".

لكنه في divulge و divulsion و divulsor هو شكل من dis بمعنى "apart". فالمصطلح divulsor المُشتَقّ من الجذر اللاتيني di (dis) "apart" والجـــذر vellere "to pluck" يعني "مُوَسِّع (أو موسعة) تجويف أو قنـــاة (كالإحليـــل مثلاً)"، ولا علاقة له بمفهوم الازدواجية.

كذلك في المصطلح diurea، الاشتقاق هو من الجذر اللاتينـــي dies بمعنـــى "day" والجذر اللاتيني urinah بمعنى "urine" ويعني "كثرة التبول النهاري".

أيضًا في اللفظ melalgia المشتق من الجذرين melos (limb)،و algia (pain) فنترجمه "ألم الأطراف"؛ بينما في اللفظ melicera الاشتقاق هو من الجـــذرين (Gr.) mel (أو meli) بمعنـــى "honey" و(L) cera (أو Gr kyros) بمعنـــى wax. وترجمه مجمعُ القاهرة بـــ "كيسة عسلية".

أما في melancholia، فالاشتقاق هو من الجــذرين .melano – Gr (بمعنـــى black) و chole (بمعنى bile). ومقابله المجمعي هو "سوداوية" أو المُعـــرَّب "مالنخوليا".

أحيانًا حتى صحة ترجمة الجذرين (أو المُكوِّنين) لا تكفي، بل لا بُدَّ من عناصر البصيرة والدِّراية والخِبرة لضبط الترجمة.

فالمدخل uniaural (المرادف للمصطلح monaural) تُرجِم في معجـــم طبـــي مَرموق بـــ "وحيد الأذن" أو أُحادي الأُذن". وقد لفتني في هذه الترجمة غرابة المفهوم وغرابة ذلك الكائن الأحادي الأُذن. وبالتحَرِّي وجدت أحد المُـــرادفين مُحالاً على الآخر حيث نَص الشرح pertaining to one ear أي "خـــاص أو متعلِّق بأُذُنٍ واحدة".

وفي المعجم نفسه لفتني ترجمة المصطلح uterocolic بـــــ "مغـــص رحمي" باعتبار أن المُكوِّن – utero (من uterus) يعني رحم، والمُكوِّن colic يحمل معنى "مَغص" في مجال الاسمية. لكن السياق فى uterocolic يفتـــرض أن المُصطلح هو صِفةٌ لما يأتي بعدَه. وبأنَّ الصواب حين عُدْتُ إلى مَراجعي لأجد معنى colic في سياق الصفة بالنص التالي:

Pertaining to the uterus and the adjacent colon. يعني المقابل الــصحيح للمصطلح uterocolic هو "رَحمي قولوني" وليس "مغص رَحِمي".

حادي عشر ـ الترجمة المُضَلَّلة بالألفاظ المشتركة

هذه الترجمة لها عندي قِصص تعتبر من النوادر ـ لعلها تعكسُ عدم إلمام المُترجم بقَدْر من المعلومات يَحميه من سُلطان الجهل، بل تحميه من مواقف تُذكِّر بحرج السيدة ثاتْشر أثناء زيارة لليابان، مُستعينةً بجهاز ترجمة من الإنجليزية إلى اليابانية وبالعكس ـ حيث قالت، تريد مُجاملة داعيها إلى وليمة، بامتداح الطعام الياباني بما يقابل جملة

The meat is tender!

اللحم طَريّ ـ أي سَهل الهضم!

لكن جهاز الترجمة لديها سجل The flesh is tender!
بما معناه: الجسد واهن ـ بدلالة عجز الإنسان بخاصة جنسيًّا، ممّا أثار ضحك المرافقين وحرج رئيسة الوزراء.

وعبر خبرتي في مراجعة بعض الترجمات، بحُكْم عملي في دائرة المعاجم بمكتبة لبنان، وقعت على ترجَمات لعلَّها أطرف من ترجمان السيدة ثاتشر.

أحَدُهم أوردَ في بطاقة ترجمة، إعدادًا لمُعجم قَيْدَ التأليف، طُلِبَ منِّي مراجعتُة لفظة "يُمَحِّص" مقابل المدخل become إضافةً إلى معانيها الأخرى.

وحين استفسرتهُ مستغربًا ورافضًا هذا المعنى أسرعَ إلى قاموس عباراتي من وضع الدكتور إسماعيل مظهر وأراني أنَّ من جملة معاني become عبارة

to look well on!،

وتابع عرضَه قائلاً: أرأيت؟ هل هنالك تعبيرٌ أفضل من "يُمَحِّص" لأداء هذا المعنى لعبارة !to look well on

وبصعوبة أقنعت حضرتَه أن ما قصده الدكتور مَظهر، وهو صواب لهذه الترجمة، مخالفٌ لما فهمه هو من !to look well on

فالدكتور مظهر قصد "يليق": to be fit، أو يناسب: to suit ــ مثلاً: "ربطة العنق هذه تليق أو تناسب طقمك"! وليس ما فرضه هــو، توَهُّمًــا، أن السِّياق هو: To look well into the matter ــ بمعنى يُمَحِّص!

آخر أو بالأحرى أُخرى، ممن يواجهونك بسيرةِ حياةٍ تمــلأُ ثــلاث صفحات أدرجَتْ لفظ "استيعاب" كمرُادف لمدخل adaptation،

وبعد نقاشٍ عادَتْ إلى معجم إنجليزي – إنجليزي، كان في شنطتها، وأرَتْني أن adaptation هي من المعــاني التــي يــذكرها قاموســها مقابــل accommodation ــ ومُستشهدة بجُملة تَرِد في القاموس بنَصٍّ يقول:

This dormitory can accommodate ten people!

يعني "تستوعِب". وبالتالي adaptation التي تعنــي accommodation يُفْتَرض أن تعني "استيعاب"!

وبصُعوبةٍ أقنعتُها أن المَنطق الجَبْري:

إذا س = ص، و ص = ع، فإن س = ع

لا يصِحُ في الترادفات اللغوية ــ أو على الأقل لا يَصِحُ في كــل الترادفــات اللغوية!

ثاني عشر ـ ترجمة الإفاضة

(تحميل المصطلح أكثر مما ينبغي)

المصطلح الإنجليزي	الترجمة المستفيضة	التصويب
tipping	ميَلان السِّن	ميَلان
heading	اتجاه الطيران	اتجاه
tools	عُدة النجّار	عُدة، أدوات
hepatoperitonitis	التهاب الكبد والصفاق	التهاب صفاق الكبد
bood corpuscle	كُرية دموية في البلازما	كرية دموية
concentrator	مكثف اتصالات	مكثف أو مُزيد التركيز
district	منطقة صحِّيَّة	منطقة

ثالث عشر ـ الانتقاص

(الانتقاص من مفهوم المصطلح)

المصطلح الإنجليزي	الترجمة المنتقصة	التصويب
claustrophobia	رُهاب الأماكِن	رُهاب الأماكن المُغلقة
homotopic transplantation	زرع مِثلي	زرع مِثلي الموضع (في الموضع نفسه)
birth trauma	رَضح الولادة	رضح الولادة ـ في الولَيد
anion	سالِبُ الشحنة	شاردة سالبة الشحنة
ultra - microscopic examination	فحص مجهاري	فحص مجهاري فوقي أو فحص فوقي أو مجهري
katathermometer	مقياس حرارة السوائل	مقياس ذو بصلتين رطبة وجافة لقياس القوة التبريدية للبيئة
pituitarism	الحالة النُخامية	اضطراب الحالة النخامية (فرطًا أو قصورًا)
microaerophile, microbion	أليف الهواء القليل	أليف الهواء القليل الأكسجين

رابع عشر ــ الترجمة بتحريف الاسم الأجنبي

المُسَمّى	التحريف	التصويب
atrium of Highmore	جيب هيغمور	جيب هايمور
Krebs cycle	دورة كرِب	دورة كــربْس (باســم العالم هانْز كربس)
Knight's cypress	سرو كنايت	سَرو نايت
Cnidaria	كِنداريا	نِدرايا (شعبة الحشويات والمرجــان وقناديــل البحر وهي النــداريات "من اللافقاريات"
cnemis	كنيمس	نيمِس (الظُنبوب)

خامس عشر ــ تَرجمة ما ينبغي ألاّ يُتَرجم

التسمية	الترجمة	التصويب
Shell sort	فرزٌ أو تصنيفٌ قِشري	فَرز أو تصنيفُ شل (باسم العالم دونالد شِل)
Rust syndrome	المتلازمة الصَّدِئية	متلازمة رَسْت (باســم العالم جوهان رَسْت)
Quick tourniquet	عاصِبة سريعة	عاصبة كويــك (باســم العالم أرمان كويك)

سادس عشر ـــ عدم تَرجمة ما ينبغي ترجمته

التصويب	الترجمة	المُسَمّى
الطريقة الهولندية (لصُنع الإسفيداج)	طريقة دَتْش	Dutch process

سابع عشر ـــ الترجمة بجُملة

(مما يعكس نقص الحَصيلة اللغويَّة)

التصويب	الترجمة الجُملية	المصطلح الإنجليزي
التكيُّف (في عدَسة العين)	عملية تغيير بُعد النظر في الفَقاريات	accommodation
حُماض	حالة تَقِلُّ فيها خَلَّوية الدَّم والأنسجة	acidosis
انتِحاءٌ هوائي	حركة الكائن الحي باتجاه الهواء	aerotaxis
اللافكّيات	جنسٌ من الفقاريات المائية	Agnatha
الإنفحَة (أو المِنفحة)	الجزءُ الهاضم في مَعدة الفقاريات	abomasum
مُعاملُ الذُبول	عاملُ فِقدان الرطوبة وتسَبُّب الهشاشة في النبات	Wilting coefficient

amniocentesis	تقنية لتشخيص التشوُّهات الخِلقية قبل الولادة	بَزْلُ السَّلى
sublimation	تحوُّل المادة من حالة الصلابة إلى الحالة الغازية مباشرةً	التَّسامي

ثامن عشر – ترجمة بخطأ النقل

حيث ينقلُ المؤلِّف عن مَرجعٍ – فتقع عينه خطأً على مُقابلِ لمدخل أو فرعِ مدخلٍ آخر كما في:

decomposition sickness	مقابل داء الغَوَّاص	بخطأ النقل عن مقابل decompression sickness

أخيرًا وليس آخرًا

الترجمة المُجَسَّرة

أذكر مَرَّةً أن مُؤلفًا حمل إليَّ مشروع معجم ثُنائي: تُركي – عربي مُبَرِّرًا المشروعَ بأن آلاف الطلاب العرب الذين يدرسون في تركيا يتلهَّفون إلى مثل ذاك المعجم. فطلبت إليه أن يتركَ لي نُسَخًا ضوئية عن المخطوطة لأعرضها على خبير في اللغة التركية. وحددت له مَوعدًا يعود فيه لمُراجعتي، ولمّا اقترب مَوعدي مع المؤلف ولمّا أُوفَّقْ بالخبير التركي استَعَنتُ الله وأخذتُ أُقارن مقابلات مواد المعجم العربية على معجم تركي –

إنجليزي. وسجّلت بعضَ الملاحظات على عيّنة ترجمـات لمـداخل تركيـة وجدتُها تباين المفهوم الذي يعطيه المرادف الإنجليزي.

وحين حضَر المؤلِّف أخذتُ أُناقشه في دِقة الترجمة العربية مقابـل موادِّها التركية معنى ولفظًا. من مثل الخَلْط بين "ناعم وصَقيل وأملَس وطريّ وليّن ولَـدْن مُقابـل مَفـاهيم soft و tender و plastic و pliable و glossy و "supple أو خطأ اللفظ في "ucus وَ cochrosh" مُقابل "flight"

وقبل أن أنتهي من مُناقشتي فاجـأني حـضرتُه بـالقول: "لمـاذا لا تُشارِكُني في هذا المعجم ــ تُراجِعُه ونَنشُره شَراكةً " ــ

وإذا بِحَضرته لا يَعرف اللغة التركية، ومرادفاتُه كلُّها ترجمةٌ مُجَسَّرة عن الفرنسية من معجم تركي – فرنسي.

والذي حَداني إلى ذكر هذا الحدث هو تذكري رسـالةً إلـى رئـيس تحرير مجلة اللسان العربي يَعْتَبُ فيهـا المرسـل علـى نـشر ترجمـات لِمُصطلحات مؤنجلزة مُتَرجمَةٍ من العربية إلى الإنجليزية ــ واضِـحٌ أنهـا صيغت مجسرة عبر الفرنسية، وأنها قد تؤخَذُ على مأخذ الجِد لدى الـبعض فتُضَلِّلهم.

فمثلاً صاحب المقال المنشور يُدرِج:

مُعاق" باللفظ المؤنجلز	handicapated	يقصد	handicapped
و "مُطابقة" بـ	adequation (وهي ترجمة غير دقيقة)	يقصد	adequacy
ومُحبِط بـ	frusting	يقصد	frustrating

وفرضية لاغِية(*) بِــ	no – hypothesis	يقصد	null - hypothesis
وفئة فَرْعيّة بــ	undergroup	يقصد	subgroup
ومُخْطِر، غير آمن بــ	no securized	يقصد	insecure
وأسئلة مُتعَدّدة الاختِيارات بــ	questions at multiple	يقصد	multiple – choice questions

ولا أدري ماذا كان رَدّ رئيس التحرير المسكين!

عدم المؤاخذة إن كُنت قد أطَلْت، لكنّ الحديث ذو شجون!

شكرًا لكم

(*) ليس في اللغة (لاغية) إلا من (لغا لغوًا)، أما المعنى المقصود هنا فيعبَّر عنه بـ (ملغاة) من (ألغى إلغاءً). المحرر

تعقيبان على بحث

الأستاذ أحمد شفيق الخطيب

الأستاذ فاروق شوشة:

شكرًا لخبير الترجمة وأستاذها أحمد شفيق الخطيب عضو المجمع من فلسطين.

الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب:

البحث جميل والأمثلة التي وردت فيه صحيحة، فيما يخص ترجمة المصطلحات كان بودي لو أشار إلى أنَّ في تراثنا العربي كثيرًا من المصطلحات الصالحة لأن تستخدم بدلاً من الترجمة الحرفية. مثال ذلك ما لاحظته في مصطلحات النفط التي صدرت عن هذا المجمع فهناك مصطلح هو: (cash and carry) وترجم إلى: (ادفع وتسلم) مع أن هذا البيع معروف عند العلماء المسلمين في الفقه الإسلامي خاصة فكر المالكية، ويُسمَّى بيع (المناجزة) أو البيع يدًا بيد، فمثل هذا يمكن أن يوضع بدلاً من أن يقال: إنه (بيع ادفع وتسلم).



في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية: مشكلات ومحاذير

للأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم

الأستاذ بجامعة لندن

تكاثرت ترجمات معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية في الـسنوات الأخيرة في تسارع غير مسبوق حتى قارب عددها مئة ترجمة. ولهذا أسباب كثيرة لعل من أهمها حماس الناشرين في الاستفادة من الطلب المتزايد علـى معرفة الإسلام في الغرب وبين الناطقين بالإنجليزية لدواع غيـر محمـودة كلها، ولله في خلقه شؤون.

والمتابع لنشاط الترجمة يعجب حين ينظر في الترجمات ويتـساءل: لأي سبب اتجه هذا المترجم أو ذاك لعمل ترجمة جديدة، وبماذا أسهم، ومـا جدوى إسهامه في تحسين الصورة العامة للقرآن كما يظهر في ترجماته في الغرب؟ فمنذ القرن الثاني عشر عندما ترجمت معاني القرآن لأول مرة إلى اللاتينية تتردد انتقادات الغربيين للقرآن في تعاليمه وفي نظمه وأسلوبه على النحو الذي بدا لهم في ترجمات معانيه المتعاقبة. والحق أن معظم المترجمين يقدمون على الترجمة دون اعتبار لما أثاره الناقدون وما واجهه القراء فـي الترجمات من صعوبات وإشكالات..

ومن قراءاتي لكثير من الترجمات، ومن خبرتـي الشخـصية فـي الترجمة أدرك بقوة أن أمام المترجم مشكلاتٍ عديـدةً وأن عملـه محفـوف بمحاذير كثيرة، وواجبه الأول هو محاولة إيجاد الحلـول لتلـك المـشكلات واتقاء تلك المحاذير. وسأعرض في هذا البحث بعضًا من ذلك. وقـد يبـدو

التركيز على المشكلات والمحاذير انسياقًا وراء التشاؤم، لكن درء المفاسد مقدّم عند الأصوليين على جلب المصالح، وفي استمرار الصورة السلبية تشويه لصورة الإسلام وصدّ عن سبيله.

ولا يتسع المجال في بحث كهذا إلا لتناول مسائل قليلة، وتقديم أمثلة والتعليق عليها:

- فمن المشكلات ما يتعلق بدلالة الألفاظ، وعلى الأخص في مجال "وجوه القرآن"، وفي تعدد المعنى الوظيفي لكثير من الكلمات، واختلاف المعنى في عصر التنزيل عما طرأ بعد ذلك.
- ومن المشكلات ما يتعلق بمسائل النحو مثل مرجع الضمير، والالتفات، والتذكير والتأنيث، والنيابة في الصيغ، والحذف.
- كذلك فإن من المشكلات ما يتعلق ببنية النص القرآني، وحدود الجملة والآية، والجمل الأساسية والتعليقات، وأين يتوقف كلام آخر. وكل ذلك يستدعي في الإنجليزية نظامًا مركبًا ودقيقًا من علامات الترقيم وتقسيم المادة حين عرضها سعيًا إلى توضيح النص وبيانه "بلسان قومهم".

أما في جانب المحاذير فيتناول البحث ما يلي:

١- خطر الغفلة عن سياق الكلام.

٢- اتباع "ما وجدنا عليه آباءنا" من المترجمين في مصطلحاتهم وعباراتهم.

٣- الانسياق إلى الاتجاه الحرفي في الترجمة ومتابعة نسق الجملة العربية ظنًا بأن في هذا التزامًا بصحة المعنى وضمانًا لعدم البعد عن الأصل ولو أدى هذا إلى مناقضة بيان الإنجليز "بلسان قومهم".

٤- الانسياق وراء الأولين بالكتابة بلغة قديمة لا يقرؤهــا المتعلمــون فـــي مدارسهم وجامعاتهم ولا يكتب بها الكتاب والأدباء من حولهم، لغة تضيف إلى ما يحس به الناس من غرابة في ترجمات القرآن.

٥- ظن المترجم أن النص بعد نقله إلى الإنجليزية ســيكون – دون إضـــافة إضاءات ضرورية – في نفس المستوى من الوضوح كما هو لدى القارئ العربي في بيئته الإسلامية. أو التطرف بين تعرية النص عن أي شروح أو هوامش وبين الإطالة في الوعظ والجدال بغير التي هي أحــسن، دون تناول للمشكلات الحقيقية لبيان ترابط النص أو شرح السياق والإشارات الثقافية والتاريخية والجغرافية.

وبحسن التأنِّي في حل مثل تلك المشكلات والتوقي لمثل تلك المحاذير بحيث يصبح المترجم أقرب إلى الرشد وأحرى بأن يسهم في تصحيح الفهــم وتوضيح المعنى وتحقيق السلاسة في الأسلوب وإزالة الغرابة التي شعر بها الغربيون تجاه القرآن منذ أن عرفوه مترجمًا إلى لغاتهم.

تعقيبات ومداخلات

على بحث

الأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم

الأستاذ الدكتور كمال بشر:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا موضوع في غاية الأهمية وأنا قلت منذ سنوات إن القرآن لم يُدرس دراسة لغوية دقيقة حتى الآن، وهناك بعض المشكلات الكبيرة في الترجمة وأهمها القراءات أو الفواصل، الفصل والوصل، هذه قضية خطيرة جدًّا في القرآن الكريم. الزمخشرى يقول إن: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ فيها تسعة أوجه من الإعراب، وكلها أوجه صحيحة، منها: ذلك الكتاب لا ريب فيه (سكتة) هدى للمتقين. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، ذلك الكتاب لا ريب (سكتة) فيه هدى للمتقين، الترجمة إذا أخذت بهذه الأوجه ستختلف اختلافًا جذريًّا في المعنى. ولذا أقول لابد من دراسة لغوية أولاً للفاهمين للغة والفصل والوصل، ولا أقصد بالفصل والوصل الوقف وعدم الوقف، فأحيانًا يفصل بين المضاف والمضاف إليه وهو صحيح ومهم، وأحيانًا ينصب ما يجب فيه الرفع وهو له أهمية، وكذلك التعبير بالمفرد عن الجمع أو العكس فله أهميته.

الأستاذ فاروق شوشة:

شكرًا للأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم على هذا الموضوع الخطير والجليل الذي ينبغي أن تحشد له جهود كثيرة، وأعتقد أن حديثه وهو يوجهه إلى المجمع كان موجهًا في الصميم إلى اللجان المعنية باللغة العربية وبالتفسير القرآني وبكل ما يتصل بالمجال الإسلامي.

الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي:

عندي سؤال لأستاذنا الدكتور عبد الحليم فيما يتصل باقتصاره على اللغة الإنجليزية، أرجو في المرة القادمة أن يطلعنا على تجربته فيما يتصل

باللغة الفرنسية، أنت تعلم أن مستعربًا اسمه (أندريه) ترجم معاني القرآن من العربية إلى الفرنسية وهو كاتب يهودي تجرأ على حذف آية بكاملها تعتبر قمة من قمم ما يوجد بالقرآن وهي: ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ﴾ هذه الآية احتجت بها الأمم المتحدة على أن الإسلام بلغ القمة فيما يتصل بالعلاقات الدولية، وقد حذفها أندريه نهائيًا.

الأستاذ فاروق شوشة:

الدكتور عبد الحليم تخصصه الإنجليزية، وهو قام بالترجمة إليها ولا علاقة له بالفرنسية.

الأستاذ الدكتور محمد بنشريفة:

أريد أن أذكِّر بنقطة واحدة: أشار الدكتور عبد الحليم إلى ترتيب سور القرآن، وأود أن أقول إن أسلافنا بذلوا جهودًا كبيرة في هذا الموضوع فألفوا فيه في المشرق، وفي المغرب ألَّف الإمام ابن الزبير الغرناطي كتاب "البرهان في ترتيب آي القرآن" وهو كتاب طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المغرب، فهذا الموضوع بذل فيه أسلافنا جهودًا كبيرة، وأما أسباب نزول القرآن فأنا أتفق معه على أن يقوم المجمع بهذا العمل كما قام بغريب القرآن وغيره.

الأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور:

بسم الله الرحمن الرحيم، أعلم أننا نتحدث عن موضوع مهم وصعب لأنه يتعرض للترجمة من لغة إلى لغة مما يتعلق بترجمة معاني القرآن من لغة عالية بليغة إلى لغة أخرى، فالمسألة صعبة على من يتصدى لها ونشترط

أن يقوم بها من هو أهل لها كفاءةً وعلمًا باللغة التي يُترجمُ منها والتي يُتَرْجمُ إليها، ونحن نعلم أن اللغة العربية فيها خصوبة وغنى تجعل من الصعب على المترجم أن ينقل المعنى – إذا أراد – نقلاً وافيًا للمقصود، فعندما أقول مثلاً: (أتى – جاء – أقبل – أهلّ) فما الفرق بين كل كلمة والأخرى؟

ومن هنا فإنه ينبغي لمن يتصدى لهذا الأمر أن يكون على دراية وافية باللغة العربية فالمسألة ليست تجارة، أي عندما تصدر مئة ترجمة لمعاني القرآن الكريم بلُغة واحدة فلابد أن نتوقف لنسأل عن الأسباب الباعثة على مثل هذا الأمر وأقول ينبغي أن تتضافر الجهود فإنه لا يستطيع مفسر باللغة العربية أن يترجم لي معاني القرآن، لذلك فلابد أن تتضافر جهود المفسرين للقرآن باللغة العربية، ثم تتضافر جهود المترجمين لمعاني القرآن إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية وغيرهما، ينبغي ألا يكون الأمر هكذا مباحًا. موضوع التناسب في القرآن ليس فقط في الترتيب لكن التناسب بين الآيات، وكتابة المقدمات والتعليقات.

الأستاذ فاروق شوشة:

كل هذا يدفعنا إلى ضرورة تخصيص دورة مجمعية عن الترجمة على أن يختص جزء كبير منها بترجمة معاني القرآن كما حدثت في سياقها التاريخي، ويصبح هذا مطروحًا بصورة أوسع وأكبر من إطار الاحتفالية بالعيد الماسي، الأمور ضيقة كثيرًا ونحن نلمس دون أن ندخل إلى العمق في كثير من الأشياء، لكن دورة مجمعية كاملة لقضية الترجمة – وهي قضية شديدة الأهمية ولا حياة للغة بدونها – من شأنها أن تفسح مجالاً للقرآن الكريم.



اليوم الثاني

(الجلسة الثالثة)

محاضرة

للأستاذ الدكتور نيقولا دوبريشان

عضو المجمع المراسل من رومانيا

بعنوان

"اللغة العربية والثقافة الإنسانية المعاصرة"



السلام عليكم ورحمة الله

كانت اللغة العربية لغة إحدى كبريات ثقافات العالم بأجمعه في عصور الحضارة الإنسانية كافة. وقد ظلت اللغة العربية بمثابة عماد ووعاء لهذه الثقافة على امتداد ثمانية قرون تقريبًا، وكانت لغة عالمية نتيجة لانتشارها في منطقة جغرافية مترامية الأطراف، ولكونها لغة آخر دين توحيدي انفتحت جهات العالم كافة عليه على مر العصور، وذلك في زمن لم تشهد الدنيا فيه مثيلة لها. وقد ألف مؤلفاتهم في هذه اللغة كبار المفكرين والفلاسفة المسلمين وخلدها بإبداعاتهم مشاهير الشعراء والأدباء العرب ابتداءً من العصر الجاهلي حتى نهايات العصر العباسي وما بعدها، ابتداءً بامرئ القيس وسائر أصحاب المعلقات، ومرورًا بعمر بن أبي ربيعة، وجميل بثينة، ومجنون ليلى، وثالوث الهجائين الأمويين، ثم أبي نواس، وأبي العتاهية، وأبي العلاء المعري، وابن زيدون، وابن خفاجة، والفارابي، وابن سينا، وابن طفيل، والجاحظ، وصولاً إلى ابن بطوطة، وابن خلدون وغيرهم، الذين خلدوا كذلك الفكر العربي والوجدان العربي لأبد الآبدين، وذلك في عصر كانت أوربا تدب فيه في الظلام ولم يكن أحد من أبناء أوربا سمع عن وجود أمريكا والأمريكان.

ومعروف أن اللغة العربية هي الوحيدة التي صمدت واستمرت سبعة عشر قرنًا أو يزيد، وما زالت قادرة على الصمود والبقاء لتحفظ استمرارية وجود الهوية العربية، والأمة العربية، بينما لا يزيد عمر أية لغة حية أخرى عن أكثر من خمسة قرون.

وتمثل اللغة العربية أهم أسس الهوية وأبــرز مقومــات الشخــصية العربية، والعمود الفقري للقومية العربية؛ إذ إنها تحفظ كيان أصحابها، إضافة إلى كونها مرآة ووعاء للأفكار والمشاعر والوجدان، وأداة للتفكير العربــي الأصيل، والثقافة العربية عامة، بل هي أبــرز ملامــح الثقافــة العربيــة. وأصبحت اللغة العربية تختلف عن سواها من لغات الدنيا باعتبارها لغة دين سماوي واسع الانتشار نزل بها القرآن الكريم، وعلى ذلك بات مصير اللغــة العربية مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بمصير الدين الإسلامي، وبفضل ذلك حافظــت على ذاتها.

وقد أضفى القرآن الكريم على اللغة العربية صفة لغة دولية إذ غدت خلال فترة وجيزة جدًّا من الزمن لغة جميع الشعوب التي اعتنقــت الإســلام لكن المقولة الخاصة بكون الإسلام أبقى اللغة العربية غير متغيــرة ليــست صحيحة بل هي مرفوضة. صحيح أن قواعد اللغــة العربيــة – بأصــواتها وصرفها ونحوها – لا تختلف إلا قليلاً عما كانت عليه في أوائــل الإســلام عندما تم تنظيمها وتقعيدها، لكن متن اللغة من المفردات والألفــاظ تطــور واغتنى باستمرار على امتداد العصور، وأصبحت اللغة العربية وسيلة حاملة للثقافة العربية القديمة ثم الحديثة باعتبارها إحدى أكبر ثقافات العالم قاطبــة. ولا شك أن سمعتها ازدادت نتيجة لاقترانها بالدين، بل كانت العلاقة القائمــة بين اللغة العربية والإسلام في صالح هذه اللغة التي أصبحت تتمتع بالتكريس الكتابي والتقعيد مبكرًا، لكنها تنامت دون انقطاع على امتداد ما يقارب ألفًــا وخمسمئة عام خلت منذ تنزيل القرآن الكريم إلى الآن.

وقد أضفى الدين الإسلامي على اللغة العربية صفة العالمية بعــد أن كانت قبل ذلك محصورة في الجزيرة العربية. وكان لتوســع العــرب بــرًّا

وبحرًا أثر هائل في انتشار اللغة العربية، ومثل هذا التوسع نقطة تحول خطيرة عظيمة في تاريخ الإنسانية جمعاء.

إن جميع المناطق التي فتحها العرب تبنت باستثناءات قليلة الدين الجديد واللغة العربية أو على الأقل خطها وألفاظًا ومفردات عربية لا تحصى. وكان انتشار الإسلام على هذا الأساس عاملاً من أهم عوامل تطور اللغة العربية من خلال الاحتكاك باللغات المحلية وانتشارها في المناطق الجديدة وظهور الثقافة العربية الإسلامية.

ولم تكن العربية لغة أحد الأديان السماوية الكبرى فحسب، بل باتت كذلك لغة ثقافة مزدهرة، مما أدى إلى ارتفاع مكانتها بين لغات العالم حينئذٍ وإلى زيادة تأثيرها على لغات أخرى. وفي عهد الخليفة المأمون تقاطر المترجمون على بيت الحكمة في بغداد، ونقلوا إلى اللغة العربية الذخائر العلمية والثقافية للعصور السابقة.

وقد نقل التراث في ميادين الطب والفلسفة والمنطق والأخلاق والسياسة والفلك والرياضيات والتشريح والنبات والحيوان وما إلى ذلك من العلوم، واستمرت الحركة العلمية في النمو والازدهار، وشملت الحواضر العربية كلها من بغداد إلى الأندلس. ولم يكتفِ العرب بما أخذوه من شعوب أخرى بل أضافوا إلى ذلك المزيد من الميادين في العلوم التقليدية والعلوم النظرية والتطبيقية، وأهمها: الطب والكيمياء والفلك والرياضيات. ووجد العلماء والباحثون العرب في لغتهم في ذلك العصر المصطلحات المناسبة لتسمية وتعيين الاختراعات، وعندما لم يجدوها فيها استعانوا بتعريب الألفاظ الإغريقية والفارسية والهندية والسريانية.

وقد أنشأ العرب لغة خاصة بعلمهم، وقامت هذه اللغة على أساس متين من العربية، وما أخذته من اللغات الأخرى، وتبنته وأصبح جزءًا منها، وكانت هذه اللغة في ذلك العصر لغة العلم الوحيدة في العالم بأسره.

ولا يستطيع أحد أن ينكر أو يتجاهل دور الثقافة العربية الإسلامية في تطوير حياة الشعوب بل وأثرها الحاسم في النهضة الأوربية وإغناء العلوم والمعارف الإنسانية عامة.

على ذلك يمكن القول إن اللغة العربية شهدت مرحلة من الازدهار والتوسع تزامنت مع ازدهار الحضارة والثقافة العربيتين الإسلاميتين حيث انعكست التطورات التي طرأت على الحياة المادية والاقتصادية والثقافية في اللغة وعلى الأخص في معجمها. وعندما خرج العرب إلى ما وراء حدود الجزيرة العربية إنما حملوا معهم لغتهم والدين الجديد باعتبارهما عنصرين أساسيين من عناصر الثقافة الإسلامية. وباتت اللغة العربية قادرة على التعبير عن جميع إنجازات العصر المادية والمعنوية، وشارك النحويون واللغويون والفقهاء والفلاسفة – جنبًا إلى جنب مع سائر فئات العلماء – في تطوير اللغة العربية طوال القرون الوسطى، وقد اعتمد العلماء في تطوير المعجم في تلك المرحلة على الاشتقاق والنقل والتعريب، وظلت هذه الطرق طرقًا أساسية لتوسيع المعجم العربي حتى أيامنا هذه.

وقد اهتم الغرب الأوربي بالعلوم العربية والحضارة الإسلامية منذ مرحلة مبكرة من تاريخه، وترجمت في البداية إلى اللغة اللاتينية كتب عربية من مختلف الميادين العلمية. كما قدمت لها الأمة العربية زاد نهضتها العلمية عن طريق الأندلس التي ازدهرت وسطعت فيها الحضارة الإسلامية على

امتداد قرون، ثم عن طريق الإمبراطورية العثمانية التي كانت في اتصال وثيق مع منطقة البلقان وأوربا الشرقية والوسطى، ومع مناطق شاسعة من القارة الآسيوية.

وما من برهان أكثر وضوحًا على هذا التأثير من وجود العديد من المصطلحات والألفاظ العربية في اللغات الأوربية كافة تقريبًا في ميادين الكيمياء والطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم بعد أن استعارتها من اللاتينية أو الإسبانية أو التركية.

وبالإضافة إلى الثقافة الراقية التي أخذها الإسبان من العرب ونقلوها إلى لغات أوربية مختلفة، وبالأخص إلى اللغات اللاتينية استعارت إسبانيا من العرب العديد من عناصر الحضارة المادية ونقلوها إلى أوربا مع مئات الألفاظ العربية التي نجدها حتى اليوم في اللغات الأوربية عامة.

وأذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر عددًا من الألفاظ العربية التي دخلت اللغة الإسبانية ثم اللغات الأوربية عامة بواسطتها أو بواسطة اللغة التركية، ومنها: القلعة والحناء والحمال والقبة والجبة والمخزن والوزير والبناء والقفص والقطيفة والقطن والمنارة والخليفة والخلافة والمملوك والإمبيق والكحول والقلي والجبر والصفر والشراب والسمت والنظير والمناخ والتعرفة والمسك والعنبر والغزال والصحراء ودار الصناعة، وأمير البحر، والأمير، والسلطان، علاوة على العديد من الألفاظ المتعلقة بالدين الإسلامي وبالوقائع التاريخية والحضارية العربية، وقد أصبح العديد من هذه المصطلحات والألفاظ جزءًا لا يتجزأ من القاموس الدولي، ولا تزال تستخدم حتى في أيامنا هذه.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى ظلت الكتب العربية فـي الطـب أو الفلك وعلوم أخرى مرجع الغرب في مختلف جامعاته حتى أواخر القـرون الوسطى وطلائع النهضة الأوربية.

لا ريب أن الموقع الجغرافي للعالم العربي عند ملتقى ثلاث قارات – آسيا وأفريقيا وأوربا – ساعد على التداخل بين حضارات هذه المناطق وبين ثقافاتها، وقد أعطت الحضارة العربية الكثير للحضارات الأخرى وفي نفـس الوقت أخذت منها ما احتاجت إليه وبرهنت دائمًا على قـدرة مميـزة علـى التداخل مع سائر الحضارات محتفظة بهويتها وخصوصيتها. وأشار زميلنـا الفلسطيني المرحوم أحمد صدقي الدجاني في بحث ألقاه أثناء مـؤتمر عـام ١٩٩٧ لمجمع اللغة العربية في القاهرة إلى أن للعرب خبرة في الاحتكـاك الحضاري، وقد استقرت هذه الخبرة في فكر الأمة وضميرها عبـر تـاريخ طويل حافل بتواصل الحضارات.

واللافت للنظر كذلك أن اللغة العربية صـمدت بفـضل موروثاتهـا الدينية والثقافية والعلمية والأدبية، واستقرت محافظة على بنيتها ومقوماتهـا الأساسية، لكنها وجدت في نفس الوقت الوسائل اللازمـة الكفيلـة بـضمان استمراريتها وتقدمها وتطورها.

وقد سعى العرب منذ أوائل القرن التاسع عشر لتهيئة العربية حتـى تتماشى مع المستجدات التي ظهرت في الحضارة العالمية، وشارك في ذلـك الكتاب والصحفيون والعلميون. وتمثلت أهم طرق تحديث اللغة العربية فـي العصر الحديث في الاشتقاق والنحت ونقل المعاني بالتوسيع أو التضييق في الدلالات، والمجاز بكل ضروبه، وتعريب الألفـاظ الأجنبيـة أو اسـتعارة معانيها.

وكان العلماء اللغويون العرب دائمًا على وعي بضرورة متابعة هذا التطور. وقد أشار أستاذنا الجليل كمال بشر نائب رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة في أحد بحوثه إلى أن التطور والتغيير سمة لازمة للغة وأكد على ذلك في جميع بحوثه ومؤلفاته بل عمل من أجل ذلك دون كلل أو ملل.

كما أشار أستاذنا الجليل الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع اللغوي الأردني إلى أن "العربية الخالدة ثابتة من حيث نحوها وصرفها ولكنها لغة نامية متطورة من حيث أساليبها ومفرداتها. فلها من خصائصها الذاتية وأدوات التعريب ما يجعلها قادرة على استيعاب كل ما يجد من معارف".

ولقد أكدت بدوري ولا أزال أؤكد ضرورة تدخل المخططين من أجل ضمان التطور السليم للغة العربية الفصحى الخالدة.

وقد أدت المجامع اللغوية العربية وبخاصة مجمع القاهرة دور المخططين الرسميين. وقد ركزت جهود المخططين اللغويين العرب – من مجامع لغوية ومراكز أخرى للبحث اللغوي، والعمل في مجال اللغة في العصر الحديث – على وضع المصطلحات اللازمة لجميع الميادين العلمية والفنية، ثم على توحيدها وترويجها، وعلى وضع المعاجم والقواميس العامة والمتخصصة، وعلى تنظيم تعريب الألفاظ الأجنبية، ومحاولات تحقيق التقارب بين الفصحى والعاميات وصولاً إلى تذويب هذه الفوارق في نهاية المطاف، وعلى فرض استخدام اللغة الفصحى بصفتها لغة محكية أو منطوقة أيضًا، وعلى تعريب التعليم بوصفه دعامة رئيسية للغة، وعلى إيجاد طرق

ووسائل للتعبير عن معاني مدلولات اللواحق والسوابق الموجودة في اللغات الأوربية، وحقق المخططون اللغويون خطوات مرموقة جديرة بالتقدير في هذه الميادين كافة.

إن الإمكانيات الاشتقاقية للغة العربية غير محدودة، وكان الاشتقاق الطريقة الرئيسية لإيجاد مصطلحات في ميادين الطب والفيزياء وعلم الفلك والرياضيات والفلسفة في القرون الوسطى، وتطورت وتوسعت الإمكانيات الاشتقاقية في العصر الحديث، وبرهنت العربية من جديد على قدرتها على مواكبة التطورات العلمية بما فيها الإلكترونيات والحاسوب وسائر الفروع العلمية المعاصرة، ويمكن اعتبار اللغة العربية لغة اشتقاقية من الطراز الأول مما يجعلها من أدق اللغات وأصحها للتعبير عن المفاهيم المختلفة.

ويكتسب الاشتقاق أبعادًا جديدة على سبيل المثال نتيجة لتحويل الجذور الثلاثية إلى جذور رباعية عن طريق إضافة حرف رابع أو تكرار حرف من حروف الجذر الثلاثي. وقد انتشرت خلال الحقب الأخيرة في قوائم المصطلحات الصادرة عن مجمع القاهرة وفي وسائل الإعلام العربية مصادر مثل: العولمة والخصخصة والعقلنة والحوسبة والتلفزة والأنسنة والتأقلم والعصرنة وغيرها، بل والأفعال وغيرها من المشتقات المقابلة لها.

كما عني مجمع القاهرة بتعريب الألفاظ الغربية، وأصدر العديد من القرارات بصدد الألفاظ المعربة، وتطور باستمرار موقفه من الألفاظ المستعارة سواء أكان اللفظ على أوزان الألفاظ العربية أم على غير أوزانها.

ووجدت اللغة العربية الوسائل المناسبة للتعبير عن مدلولات ومعاني السوابق واللواحق المختلفة سواء على مستوى لغة الصحف أو على مستوى

المعاجم الاختصاصية العلمية مثل: الطب والفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرها من الفروع العلمية.

ووفر النحت والاختصار إمكانيات جديدة وغير مستغلة بصورة كافية بعد لتطوير القاموس العربي في العصر الحديث والله وحده يعلم الغيب ويعلم الطاقات الكامنة في اللغة العربية.

ومن أجل تطوير اللغة العربية بحيث تظل لغة متقدمة أصيلة تتجاوب مع متطلبات الثقافة الإنسانية المعاصرة أصدر مجمع اللغة العربية في القاهرة العديد من التوصيات والقرارات طيلة تاريخه الذي وصل إلى عامه الخامس والسبعين وعمل جاهدًا على تحديث المعجم العربي. ويمكن القول إن الطرق الداخلية الخاصة باللغة العربية – وبالدرجة الأولى الاشتقاق – لا تزال الوسيلة الرئيسية لتنمية متن اللغة العربية، لكن تعريب الألفاظ والتراكيب الأجنبية واقتراض المعاني الجديدة تلعب أيضًا دورًا مهمًّا في تحديث المعجم العربي وتقدم هذه الطرق جميعًا أسطع دليل على إمكانيات اللغة العربية غير المحدودة للتنمية والتحديث، بحيث تتماشى اللغة العربية محافظة على هويتها وأصالتها مع أحدث المستجدات العلمية والفنية.

وقد أتاحت لنا المشاركة في مؤتمرات مجمع اللغة العربية بالقاهرة فرصة الاطلاع على الجهود التي يبذلها جميع الباحثين واللغويين المصريين بل والعرب عامة، لتنمية معجم اللغة العربية وسائر فروعها. وتجدر الإشارة إلى أن القرارات التي أصدرها مجمع القاهرة تجاوبت مع التطورات الطبيعية الدائرة في اللغة وكانت النتيجة أن استوعبها الاختصاصيون وعامة الناس.

إن الادعاء بأن اللغة العربية قد تكون عاجزة عن استيعاب المصطلحات التكنولوجية الحديثة فرية خالية من أي أساس علمي ومنطقي وذلك أن التراث العربي والتاريخ العربي يدللان على أنها استوعبت كل ما كان جديدًا على مر العصور. لقد كان للغة العربية دائمًا القدرة على مسايرة التقدم الحضاري والتعبير عنه بما لها من مرونة وخصائص ومقومات. وتتميز العربية بمرونة وغزارة في المفردات، وقاعدية دقيقة، وقد جعلتها هذه المرونة التي لا تكاد تحد قادرة على استيعاب منجزات العلوم والثقافة وعلى استيعاب روح العصر. وقد مكَّنت المرونةُ التامةُ والقدرةُ على الاشتقاق والمجاز والنحت العربية من التطوير الدائم، ومجاراةِ الحضارة والعلم على امتداد العصور.

وقد وصف أستاذنا الجليل الدكتور كمال بشر نائب رئيس المجمع بصور قريبة من صور الشعر إمكانيات اللغة، وكأنها مخلوقة حية في كتابه الموسوم بعنوان شاعري أيضًا (اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم) قائلاً: "الفصحى ظلت تسير في طريقها مطوعة نفسها لمقتضيات ظروف هذا الطريق وزمانه وأخذت بحكم طبيعتها العبقرية تكيف خطواتها، وتعدل من مساراتها فتلبس لكل مسار لبوسه الملائم، وتغير من ملامحها الشكلية وفقًا لظروف الزمن وما ينظمه من تغيرات في مجالاته الحياتية المختلفة" (ص٢٣).

ومن أجل مواجهة تحديات عصر العولمة وضمان استمرار كون اللغة العربية لغة ثقافة راقية من الدرجة الأولى على المستوى الدولي ينبغي على المخططين اللغويين العرب تحقيق خطى جديدة في جميع الميادين

اللغوية. وخلال السنوات الأخيرة أطلقت في الأوساط العلمية العربية إشارات بخصوص ضرورة حماية الهوية الثقافية العربية واللغة العربية من أخطار الغزو الثقافي الجامح، وأصبح الاهتمام باللغة العربية بمختلف فروعها أمرًا أساسيًا لمواجهة ظاهرة العولمة التي تسعى لتذويب الثقافات القومية والانتماءات القومية واحتوائها.

غير أنني مقتنع بأن موجة العولمة الراهنة لن تستطيع عرقلة اللغات القومية المتداولة حاليًا والتي ستستمر إذا استمرت الأمم والأمم ستكون خالدة، ولن تنجح العولمة إلا بقدر احترامها للتنوع اللغوي والديني والثقافي. لن تزول لغات صغيرة، ناهيك عن لغة يتكلم بها ما يقارب ثلاثمئة مليون نسمة، وهي لغة إحدى الديانات الإنسانية الكبرى. هناك تحديات كبيرة تواجه اللغة العربية التي تحتاج إلى مواكبة التطور العلمي والمصطلحي الهائل الذي يشهده العالم اليوم. فإن في العناية بالمصطلح وقضاياه عناية باللغة العربية بوصفها لغة علمية وحضارية؛ إذ إن التقدم في جميع ميادين المعرفة الإنسانية – مثل العلوم الفنية والإنسانية – يتصل اتصالاً وثيقًا بوضع المصطلحات وتوحيدها، بغية مواكبة المتغيرات العالمية التي تفرضها تحديات العولمة والثورة المعلوماتية، وفي ذات الوقت لا تمثل المصطلحات غاية بذاتها بل يتوجب وضعها موضع التطبيق اليومي العلمي في المدارس بين الدارسين والمدرسين، وفي الجامعات والمختبرات ومعاهد الأبحاث. ولن يتم ذلك إلا يدًا بيد مع تعريب التعليم بكل اختصاصاته ومراحله ومستوياته. وفي آخر الأمر يعد تعريب التعليم قضية تتعلق بكرامة اللغة وكرامة الأمة، علمًا بأن

جميع الأمم تدرس العلوم في جامعاتها بلغاتها الوطنية حفاظًا على شخصيتها وهويتها وتاريخها وحضارتها وبخاصة أن الأمة العربية قادت العالم علميًّا طوال خمسة قرون أو يزيد.

وفي الوقت نفسه مع العناية بتعريب التعليم وتوحيد المصطلحات أصبح من الضروري أكثر منه في أي وقت مضى حماية اللغة الفصحى وإيقاف اجتياح العاميات.

سجلت النشاطات الثقافية التي تستخدم اللغة وسيلة لها ولا تزال تسجل يومًا بعد يوم تقدمًا ملحوظًا بكل نواحيها. وقد تعددت الاتجاهات الحديثة مثل الموجة الجديدة وما بعد الحداثة في آداب جميع البلدان العربية وأدرك معظم المبدعين ضرورة التخلي عن استخدام اللهجة في الروايات والقصص، غير أن قلة من القصاصين يتمسكون – قصدًا أو بغير قصد، واعين أو غير واعين – باستخدام اللهجات في مؤلفاتهم، وهم يحكمون بذلك على أنفسهم بالعزلة الإقليمية وعدم معرفتهم عن طريق الترجمة في دول أخرى. وعلى هذه القلة أن تدرك أن الأدباء العرب الأكثر شهرة خارج حدود دولتهم هم الأدباء الذين حرصوا على الفصحى واحترموها ومنحوها المكانة المستحقة. وأذكر على سبيل المثال أن رواية الأيام التي ألفها طه حسين في ثلاثة أجزاء على فترات متباعدة، وفي أماكن مختلفة، لا تزال الرواية العربية الأكثر ترجمة في لغات أخرى، وأصبحت معروفة في جميع الدول الغربية تقريبًا. كما أخص بالذكر عبقرية نجيب محفوظ الذي برز في استخدام الفصحى وتفصيح العبارة العامية، وبذلك غدا معروفًا في العالم كله ونال بفضل ذلك جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٨٨.

ولفت العلماء والباحثون والأدباء الحريصون علـى لغـتهم وعلـى مستقبل أمتهم في مناسبات عديدةٍ الأنظارَ إلى خطورة شيوع العاميات. وقـد جاء في تقرير صادر عن المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب والإعـلام في يونيو ٢٠٠٤: "واللغة من أهم مقومات وحدة الشعوب، ولغتنا العربية من الركائز الأساسية للوجود العربي، فالوحدة اللغوية والثقافيـة بـين الأقطـار العربية – التي لا تتم إلا بالمحافظة على اللغة العربية – تؤدي إلـى وحـدة الشعور والفكر والاتجاه. بل لعل اللغة العربية هي أقوى الروابط التي تجمع بين أقطار العالم العربي؛ إذ هي الجامع النهائي لنا بوصفنا أمـة وتاريخًـا وحضارة وثقافة، وهي الدرع الواقية لأمتنا في مواجهة جحافل الغزو الثقافي إبّان عصر المعلومات..".

وأشار أستاذنا الجليل الدكتور كمال بشر في كتاب صدر له مـؤخرًا إلى خطورة محاولات إحلال العاميات محل الفصحى قائلاً:"إن مـآل هـذه المحاولات هو هدم القومية العربية وإصابة النظم الـسياسية العربيـة فـي الصميم. ومعلوم أن اللغة الموحدة هي العامل الأساسي والعماد الحقيقي لبناء أية منظومة قومية وسياسية". كما أكد أستاذنا الجليل أثناء ندوة أقامتها جامعة القاهرة "لابد أن يكون للشعب لسان موحد لتوحيد الفكر والاتجاه حتى يصير القوم أمة واحدة تستطيع أن تدافع عن نفسها وقت الأزمات، وما أكثرها هذه الأيام". ثم خلص إلى أنه: "لا قومية ولا هوية إلا بلغة موحدة". وهو يرى – ونرى معه – أن نقطة البدء في علاج هذه القـضية تنطلـق مـن وجـوب الاعتماد على الفصحى الفصيحة، واتخاذها الأساس الـذي ينبغـي رعايتـه ودعمه، واعتماده القطب الذي ندور حوله ولا نجاوز ساحته". وفي محل آخر

أشار إلى أن: "الفصحى هي لغة العرب، فهي لغة ماضيهم وحاضرهم وعماد مستقبلهم، وهي التي ينبغي رعايتها والعمل على تنميتها". ولا شك أن وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة وشبكة الإنترنت تمثل أدوات ثقافية تمتاز بأهمية بالغة في عصرنا الحاضر وفي المستقبل، ويعود إليها دور مهم للغاية في حماية اللغة العربية الفصحى وترويجها، غير أن الباحثين حذروا من خطورة انتشار اللهجات على حساب الفصحى عبر هذه القنوات، وبخاصة عبر محطات التليفزيون في مختلف الدول العربية.

ولا شك أن استخدام اللغة الفصحى على كافة المستويات في التعليم وفي وسائل الإعلام يمثل مقومة أساسية لوحدة الأمة العربية، وينبغي رفض المقولة الخاصة بوجود "لغات عربية وأمم عربية" التي يحبها بعض المستشرقين" – ومع الأسف الشديد – بعض الباحثين العرب، بكل عزم وحزم باعتبارها خطرًا على وحدة اللغة العربية والأمة العربية.

بذلت المجامع اللغوية العربية – وبخاصة مجمع اللغة العربية في القاهرة – جهودًا هائلة من أجل التخطيط اللغوي. وقد صدر عن هذه المجامع عديد من القرارات والتوصيات الهادفة إلى الحفاظ على سلامة اللغة العربية وإثرائها وجعلها مواكبة لمتطلبات العصر والاهتمام بالتراث العربي وإحيائه ووضع المصطلحات والترجمة والتعريب ووضع المعاجم.

وقد دللت البحوث اللغوية في العصر الحديث على أن معرفة القوانين الموضوعية التي تحكم تطور اللغة تسمح بتدخل المخططين لتوجيه بعض التغيرات، وكان التقعيد قبل العصر الحديث ولا يزال الطريقة الرئيسية

للتخطيط اللغوي. وقد تركزت جهود المخططين اللغويين العرب في العصر الحديث على وضع المصطلحات في كل ميادين الحضارة والعلوم ثم علـــى توحيدها ووضع المعاجم والقواميس، وتنظيم تعريب الألفاظ الأجنبية ومحاولة التقريب بين اللهجات والفصحى، وتعريب التعليم بوصفه دعامة رئيسية للغة، لكني أعتقد أن المخططين المذكورين وغيرهم لم يفعلوا كل ما ينبغي عملـــه في هذه الميادين، وعلى الأخص بصدد تذويب الفوارق بين الفصحى والعامية وجعل الفصحى لغة محكية أيضًا، وفرضها فوق جميع العاميـــات العربيـــة، وهذا أمر ملح ضروري من أجل حماية سلامة اللغـــة العربيـــة نظـــرًا لأن الحديث يجرى عن لغة تستمر منذ حوالي ألفي عام دون انقطاع لم تكن أبـــدًا لغة ميتة مثل لغة أخرى ماتت ثم أحييت وأصبحت أداة للتخاطب ولغة للعلم والثقافة بعد انقطاع دام ألفي عام. إن اللغة العربية لغـــة أمـــة ذات تـــاريخ مشترك، وحضارة مشتركة، ومستقبل مشترك، ضمن وحدة إقليمية وحضارية دائمة. ولا شك أن حل مشكلة الازدواجية اللغوية العربية بـــصورة جذريـــة يتطلب تنسيق وتوحيد جهود جميع المخططين اللغويين العرب من مؤسسات علمية وسياسية أو أفراد، ثم متابعة تنفيذ القرارات والتوصـــيات الـــصادرة عنهم.

ومن جهة أخرى بُذِلت جهود دؤوبة من أجل توحيـــد المـــصطلحات العلمية باعتبار ذلك عصرًا مهمًّا آخر يدعم وحدة اللغة العربيـــة ويفـــرض صفتها النموذجية – أي الفصحى الفصيحة – وأخذ مجمع القاهرة فكرة توحيد المصطلحات العلمية في العالم العربي شعارًا له خلال الحقب الأخيرة.

وقد لفت العلماء العرب النظر إلى الخطورة الكامنة في عرض الإذاعتين المسموعة والمرئية مسلسلات وبرامج عامة أخرى تستخدم فيها العاميات. وأشار الرئيس السابق لمجمع القاهرة الأستاذ المرحوم الدكتور شوقي ضيف في أكثر من مناسبة إلى أن محطات الإذاعة والتليفزيون تفسد بذلك في الأمسيات ما يتعلم الطلاب في مدارسهم صباحًا من اللغة العربية الصحيحة مشيرًا إلى أن التعليم والتثقيف أهم من التسلية والترفيه بالنسبة للأجيال الناشئة.

أصبحت اللغة العربية في القرن الأخير وعاء أدب عربي عالمي الشهرة، وثقافة عربية تتواكب مع سائر ثقافات العالم الكبرى، وقد صدرت خلال الحقب الأخيرة معاجم لجميع الميادين العلمية: من الفلسفة والتاريخ والسياسة والصحافة وعلم الاجتماع وعلم النفس والعلوم الاقتصادية إلى ميادين العلوم التطبيقية والعلوم الحديثة جدًّا أمثال: الفيزياء النووية والحاسوب والمعلوماتية وغيرها من الفروع العلمية، وهذا دليل آخر على إمكانيات اللغة العربية.

ومن جهة أخرى صدر في هذه اللغة أدب عربي حديث – من شعر وروايات وقصص قصيرة ومسرحيات – على مستوى كبريات أدبيات العالم. وقد صاغت أشعار أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وصلاح عبد الصبور، وأبو القاسم الشابي، ومحمد مهدي الجواهري، وبدر شاكر السيَّاب، وعبد الوهاب البياتي، ونزار قباني، وأدونيس، ومحمود درويش، وغيرهم وجدان الأمة العربية بالكلمة الجميلة، وأبدع القصاصون بدورهم مؤلفاتٍ رائعةً تقف بجدارة إلى جانب مثيلتها من سائر آداب العالم، ووصف القصاصون العرب

مثل: محمود تيمور، وطه حسين، وتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، ويوسف إدريس وجمال الغيطاني، وبهاء طاهر، في مصر، وحنّا مينا، والعجيلي في سوريا، وعبد الرحمن محمد الربيعي، وعلي القاسمي، وعبد الرحمن منيف، وفؤاد التكرلي في العراق، وتوفيق يوسف عواد وغادة السمان في لبنان، والطاهر وطّار وعبد الحميد بن هدوقة في الجزائر، وعز الدين المدني، ومصطفى الفارسي والمسعدي في تونس، وأحمد إبراهيم الفقيه، وإبراهيم الكوني في ليبيا، وغسان كنفاني وجبرا إبراهيم جبرا، وإميل الحبيبي من فلسطين، وعبد الكريم غلاب، ومحمد شكري، ومحمد زفزاف، وطاهر بن جلون في المغرب وغيرهم وصفوا في مؤلفاتهم - التي أصبحت منقولة إلى العديد من لغات العالم - الواقعَ العربيَّ والنفسية العربية بكل فضائلها وعيوبها، وقدموا للعالم صورة كاملة باهرة تنعكس فيها الهوية العربية، وهذا دليل آخر على روعة اللغة العربية الفصيحة.

ذكرنا جملة من الألفاظ العربية التي أصبحت جزءًا من المعجم الدولي، ولا شك أن ترجمة الأدب العربي إلى لغات أخرى ستؤدي فيما ستؤدي إلى انتقال ألفاظ عربية جديدة تتعلق بالحقائق العربية الحالية إلى لغات أخرى.

وختامًا يمكن القول إن اللغة العربية بدأت تأخذ طريقها مجددًا إلى دنيا العلوم والحضارة الحديثة، وهي إحدى اللغات الكبرى للمجتمع الدولي. وقد أصبحت العربية لغة عالمية بنزول القرآن الكريم بها، وظلت لغة عالمية بفضل اتساعها الإقليمي وعدد الناطقين بها، وتأثيرها المباشر وغير المباشر

على العديد من اللغات الأوربية والآسيوية والأفريقية، ومئات الألفاظ العربية التي أصبحت جزءًا من المعجم الدولي. وعلى ذلك أثبتت العربية جدارتها على مر العصور، وحقها في أن تصبح معترفًا بها كلغة عالمية، ونالت رسميًا ميزة اللغة العالمية في السبعينيات من القرن الماضي عندما أصبحت لغة رسمية لمنظمة الأمم المتحدة ومنظمة اليونيسكو وغيرها من الهيئات والمحافل الدولية والإقليمية – إلى جانب اللغات الخمس الكبرى أي الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والروسية والصينية.

إن اللغة العربية التي لها تاريخ يدوم منذ ما يقارب ألفي عام دون انقطاع، لا يمكن للغة أخرى من لغات عالمنا أن تعتز به هي لغة قوية حية قادرة على مواكبة مستجدات عصرنا وعلى مواجهة تحديات العولمة، وغيرها من التحديات المحتملة للقرن الحادي والعشرين، إن هذه اللغة أصبحت في العصر الحديث تعبر من جديد عن ثقافة أمة عظيمة واحدة موحدة ذات ماضٍ وحاضر مجيدين، وذات مستقبل في تطور وتقدم مستمرين.

وكلي ثقة وكونوا على ثقة بأن لغة مشحونة بهذا التراث الثقافي الأصيل الغزير المتجذر لن تزول أبدًا مهما كانت وكيفما كانت المكايد والحيل العولمية؛ لأن الأمة العربية أمة قادرة على التجديد والتجدد المستمرين وعلى مواكبة الحضارة العصرية.

تعقيبات ومداخلات

على محاضرة

الأستاذ الدكتور نيقولا دوبريشان

الأستاذ فاروق شوشة:

شكرًا للأستاذ الدكتور نيقولا دوبريشان عضو المجمع المراسل من رومانيا على محاضرته القيمة التي أثبت من خلالها أنه أكثر انتماءً لمجمع اللغة العربية من بعض أعضائه، وأنه أكثر تتبعًا لما اتخذه المجمع من قرارات وتصويبات خاصة مؤلفات الدكتور كمال بشر نائب رئيس المجمع التي حظيت بعنايته ودراسته ومثلت مرجعيته لهذه المحاضرة القيمة، وهذا يدل على أن العربية ليست وقفًا علينا – نحن العرب – وليس الحماس لها هو حماسنا وحدنا ولكنْ هناك حماس من أحبوا هذه اللغة وتفانوا في البحث فيها وفي قضاياها.

الأستاذ حسن بشير:

شكرًا للأخ الكريم الدكتور دوبريشان، فهذه المحاضرة تدل دلالة قوية على عالمية اللغة العربية وأصالتها واستمرارها إن شاء الله، وعلى أن فكر اللغة العربية سيتعدى العالم العربي بجهد لابد أن نبذله نحن جميعًا. وبالنسبة للدكتور دوبريشان فقد ركَّز على مقدرة اللغة على الاشتقاق والنحت لاستيعاب نتاج الحضارة الحديثة، وأنا أتساءل ما رأيه في إنشاء ألفاظ عربية ابتداءً؟ أعتقد أن هذا يدعونا إلى أن يكون لنا دور في هذه المخترعات الإلكترونية وغيرها، والله لو أنتجناها لسميناها ابتداءً عربية، لغتنا العربية قادرة على ذلك، ورحم الله حافظًا حيث يقول:

وسعتُ كتابَ الله لفظًا وغايةً

وما ضقتُ عن آيٍ به وعظاتِ

فكيفَ أضيقُ اليومَ عن وصفِ آلةٍ

وتنسيقِ أسماءٍ لمخترعاتِ

الأستاذ خالد يوسف: (مدير مركز دراسات الثقافة الجديدة والتنمية):

أساتذتي الأجلاء علماء اللغة أريد أن أتساءل: كيف يمكن أن نعدد صعوبات موجودة حقيقة ونعترف بها لنذللها كي تكون العربية هي لغة العلم والتفكير؟ استطعت أن أحصل على بعض المعاجم في العلوم الاجتماعية ووجدت مصطلحات بالغة الصعوبة بالعربية حتى أصبح الباحثون في العلوم الاجتماعية يستسهلون المصطلح باللغة الإنجليزية أو الفرنسية عن المصطلح العربي، وهذا من واقع اطلاعي على معاجم في علم النفس والاقتصاد والاجتماع والسياسة.

الأستاذ فاروق شوشة:

سندعوك لزيارة المجمع في أثناء انعقاد المؤتمر ونطلعك على ما أنجزته اللجان من معاجم علمية في جميع فروع المعرفة الإنسانية.

الأستاذ الدكتور محمود فوزي المناوي:

لي اقتراح بسيط هو أننا نطالب بإعطاء الدكتور نيقولا الجنسية العربية فهو أحق بها من كثير.

الأستاذ فاروق شوشة:

لسانه منحه إياها وأثبت استحقاقه للمنح والممارسة معًا كما أثبت انتماءه العربي.

الأستاذ الدكتور نيقولا دوبريشان:

أود أن أرد على سؤال وجه من قِبَلِ الزميل حسن البشير، فأنا أشرت إلى إمكانيات توسيع الجذور الثلاثية وتحويلها إلى رباعية، وأنا أصر على أن إمكانات العربية غير محدودة من الناحية الاشتقاقية، كما قال السيد الأمين

العام، وأنا أعرف أيضًا أن لجان المجمع أعدت قوائم من المصطلحات لجميع الميادين العلمية، بل تم تجميع عدد من هذه المصطلحات في عدد من هذه المعاجم. وليت ما دعا إليه يتحقق وتعود الغلبة العلمية للغة العربية.

الأستاذ فاروق شوشة:

شكرًا للدكتور نيقولا دوبريشان وشكرًا لكم جميعًا.



اليوم الثالث

(الجلسة الأولى)

محاضرة

للأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد

عضو المجمع من الأردن

بعنوان

"مستقبل اللغة العربية في عالم متغير"

بسم الله الرحمن الرحيم

مسيرة اللغة العربية من أول ما نعرفه عنها إلى حاضرها المعاصر هي أطول مسيرة تاريخية للغة حيّة. استمرت نحو ثمانية عشر قرنًا، ولا يزال أهلها يفهمون تراكيبها وألفاظها كما فهمها الذين نطقوا بها من شعراء القرون الجاهلية الثلاثة.

ويحتاج هذا القول إلى توضيح وتفصيل، خلاصتهما أن الألفاظ الواردة في بعض الشعر الجاهلي – وربما في بعض الشعر الأموي – التي نَصِفُها بأنها ألفاظ صعبة أو غريبة، لا ترجع صعوبتها ولا غرابتها إلى الألفاظ نفسها، ولكنْ إلى الموضوعات التي تعبّر عنها تلك الألفاظ من وصف صيد حيوان الصحراء، وأعضاء جسم الإبل والخيل، وسير القوافل والهوادج، فهي موضوعات لم نعد نعيش فيها ونتمثلها كما كان يعيش فيها الشاعر ويتمثلها حينئذٍ، فالغربة والصعوبة هي في غربة الموضوع وصعوبته علينا، وليست غربةً ولا صعوبة لغوية في ذاتها. ونستشهد على ذلك بأمرين:

الأول–أن الذين ينظمون الشعر النبطي (البدوي) في الجزيرة العربية لا يزالون يستعملون كثيرًا من تلك الألفاظ لأنهم يصفون بها بعض جوانب حياتهم وما يعرفونه من شؤونهم، ويعبّرون بها عن الموضوعات نفسها التي لا يزالون يألفونها ويمارسونها في الصيد والصحراء وركوب الإبل. فبعض تلك الألفاظ مأنوسة لهم لأن موضوعاتها لا تزال مألوفة لديهم يمارسونها في حياتهم، على غير ما يعرفه سكان المدن والريف في البلاد العربية الأخرى.

ثم إن الشاعر العربي الجاهلي كان عميق الإحساس بالمكان وما فيه من نبات وآثار، فكلها مواطن ذكرياته، فأكثَرَ من ذكْره، وهو مكان بعيدٌ عن إحساسنا به بل أيضًا عن معرفتنا بمواقعه: فسقْطُ اللِّوى والدَّخولُ وحومل والمِقراةُ وتوضِحُ وبُرقةُ ثهمد وسواها، لا تكاد تثير فينا شيئًا، ولكنها عند الشاعر الجاهلي تنبض بالحياة. شأنها شأن المكان والنبات في بعض شعرنا المعاصر عند الشاعر الأردني مصطفى وهبي التل (عِرار) مثلاً، فقد كان إكثاره من ذكر: وادي اليابس ووادي الشِّتا وجِلْعاد وشيحان ووادي السير والدَّحنون، وسواها، لا تعني للقارئ العربي غير الأردني شيئًا بل إنها تقف حاجزًا بينه وبين الفهم والتذوق، ولكنها لبعضنا – نحن الأردنيين – مليئة بالإيحاءات.

والاستشهاد الثاني – أن الكثرة الكاثرة من ألفاظ ذلك الشعر العربي في عصوره الأولى التي تصف المشاعر الإنسانية المشتركة بين الناس من حِكَم ومدح وغَزَل ورثاء، هي ألفاظ مأنوسة لدينا، ونحس أن أكثر تلك الأشعار – حين نقرؤها – كأنما نُظمت اليوم وكأنما ناظمها شاعر معاصر. فانسياب اللغة العربية على مدى هذه القرون وتدفُّقُها يجعلها لغة واحدة منذ أن اختارها الشاعر الجاهلي لتكون اللغة الأدبية للعرب، وصفَّاها من شوائب لهجات القبائل المتعددة التي هي أصل هذه اللغة الأدبية.

كان هذا توضيحَ قولنا إننا نفهم الآن ألفاظ اللغة العربية وتراكيبها كما فهمها الذين نطقوا بها من شعراء القرون الجاهلية الثلاثة ثم ما تلاها من عصور أموية وعباسية وما بعدها.

وكانت اللغة العربية قد مرّت في مراحل، آخرها هذه المرحلة الحديثة التي بدأت منذ أقدم ما نعرفه من الشعر الجاهلي، وهي مرحلة واحدة

مستمرة، وقد تمثلت المراحل السابقة في لهجات الأقوام والقبائل العربية البائدة، وتسمّى أحيانًا – في كتب التراث – باللغات ويقصدون باللغة: اللهجة، مثل لغة عاد ولغة ثمود ولغة حمْير. ونحتاج حين نتحدث عن استمرار فهمنا لهذه اللغة في الشعر الجاهلي إلى استدراك فيه توضيح لهذا الحُكم، لأنه قد يُفهَم منه أنها لغة جامدة متحجرة لم تتطور خلال هذه العصور المتعاقبة. والحقيقة على خلاف ذلك، فاللغة العربية شأنها شأن غيرها من اللغات التي سايرت الزمن، لها ثوابت ولها متغيرات. أما ثوابتها فهي التي تمنحها حقيقتها وجوهرها، وهي التي لا تكون اللغة هي نفسَها إلا بها، وهي التي تُبقيها – كما سمَّيناها – اللغة الواحدة. وأما متغيراتها فأمر طبيعي تفرضه طبيعة تغير الزمان واختلاف المكان، وهو يصيب مفردات اللغة كما يصيب أدبها من شعر ونثر، وكما يصيب الإنسان في نفسه وفي جميع نتاجه الفكري. فالإنسان يمُرّ بمراحل زمانية متعاقبة، ويتعرض لعوامل بيئية مكانية مختلفة إذا طال بقاؤه فيها، ولكنه يبقى هو ذاتَ الإنسانِ الذي يحمل اسمَه الأول والذي تتكوّن من خصائصه وطباعه شخصيتُه الأصلية، مع كل التغيرات التي قد تطرأ على ظاهر شكله الجسماني وعلى محاولات تطبُّعِه. وكذلك الشأن حتى في بعض أمور الدين، والقاعدة الأصولية المعروفة تنصّ على أنه "لا يُنكَر تغيّر الأحكام (أي الفتاوى) بتغيّر الأحوال أو الأزمان والأمكنة" وكان للشافعيّ – رحمه الله – فقهٌ قديم حين كان في الحجاز والعراق وفقه جديد حين جاء إلى مصر واختلط بأهلها وتأثر بسماحتهم ورأى فيها أحوالاً جديدة، فنظر إلى بعض الأمور نظرة مختلفة. فالتغير سُنّة من سنن الله في خلقه، على أن يُفْهَم على حقيقته، ودون توسّع يَنْقُض أصل

الأشياء، ويقلب كيانها، ويزيل ثوابتها. ذلك أنه إذا كان للشيء ثوابت وله متغيرات فإن هذه المتغيرات تتحرك في إطار الثوابت نفسها ومِنْ حولها دون أن تزيلها، وإلا لم يكن لوجود الثوابت معنى. ومن أجل هذا ربما كان من الأوضح والأسلم أن نستعمل مصطلح "التطور والتجدد" بدل مصطلح "التغير" الذي قد يساء فهمه واستخدامه.

وإذا عدنا إلى اللغة العربية وأدبها نجد الخصائص اللغوية والأدبية في أصلها العام واحدة ولكنها في صفاتها الخاصة تتطور وتتجدد بتعاقب العصور واختلاف البيئات، بل تختلف عند الشخص الواحد في الزمن الواحد والبيئة الواحدة إذا اختلف الموضوع أو اختلفت المناسبة. والأمثلة على ذلك كثيرة تناولها النقد الأدبي في بيان حركة اللغة والأدب من عصر إلى عصر ومن بيئة إلى بيئة، فيما سُمِّي بـ "التطور والتجديد" في العصر التالي عما كان في العصر السابق، أو فيما سُمّي الخصائص اللغوية والفنية عند الشعراء والكتّاب في العصر ذاته، وهي التي تميّز الواحد عن غيره، وقد أُلِّفتْ في ذلك الكتب وعُقِدَت الفصول والمقالات.

* * *

ثم إن هذه اللغة قد تعرّضت في مسيرتها الطويلة – كما تعرضت أمتها العربية – لمِحَنٍ وتجارب، اجتازتها وخرجت منها أقوى مما دخلتها. كان أُولى تلك التجارب مواجهتَها لتوسُّع الدولة الإسلامية وانتشار العرب في بقاع من الأرض لم يكن لهم بها عهد، من أجناس ولغات وأديان وحضارات متعددة. فقد كان كل ذلك حريًّا أن يلتهم هذه اللغة التي خرجت من نطاق محصور وإطار ضيق في الجزيرة العربية وأكنافها، وأن يقضي عليها

ويستبدل بها غيرها من لغات الأمم التي اتصلت بها وعاشت معها، وكانت أعرق منها في مجال العلم والثقافة والحضارة. ولكن اللغة العربية زادت اتساعًا في ميادين المعرفة وانتشارًا في أرجاء العالم المعروف حينئذٍ، وسرعان ما صارت هي لغة الإدارة والعلم والثقافة لأهلها وللعالم المعروف حينئذٍ، وتدفَّق الشعر والنثر والتأليف والترجمة والتعليم في العصر الأموي ثم في العصور العباسية في مشرق الدنيا ومغربها وشماليّها وجنوبيّها. وكانت وحدها لغة الفلسفة والعلم النظري والتطبيقي على مدى قرون في العالم المعروف حينئذٍ (من القرن الثالث الهجري = التاسع الميلادي إلى القرن العاشر الهجري = السادس عشر الميلادي) وهي التي حملت علم الإغريق وفلسفتهم وعلوم المسلمين وأدبهم من نثر وشعر إلى أوربا، وكان العلماء الأوربيون يستخدمونها للتعلّم والتعليم ويترجمون منها إلى اللاتينية.

وكانت التجربة الثانية في أواخر الحكم التركي لبلادنا بعد نحو أربعة قرون من ضعف استعمال اللغة في شؤون الحياة والسياسة والأدب والعلم النظري والتطبيقي، حتى أصبح كثير من العرب يتحدثون باللغة التركية في بيوتهم وأسواقهم، وحتى صارت الكتابة الأدبية تتصف بالركاكة وكثرة الأخطاء وتنوء بالزخارف اللفظية المفتعلة من أجل أن تكون هذه الزخارف رداءً يغطي الضعف والركاكة، وحتى صار تعليم اللغة العربية في المدارس وشرح قواعدها من خلال اللغة التركية. وتجاوز الأمر كلَّ ذلك حتى أراد المسؤولون في حزب الاتحاد والترقي الحاكم (التركي) إلغاء اللغة العربية وإبطال تدريسها واستعمالها، وعملوا على أن تكون قراءة القرآن والصلاة باللغة التركية لجميع المسلمين الذين كانوا تحت حكمهم. وقد أشار الشريف

الحسين بن علي في بيانه الأول الذي أعلن فيه الثورة العربيـة مـن مكـة المكرمة سنة ١٩١٧م إلى حال اللغة العربية حينئذٍ بقوله عن الأتراك وحزب الاتحاد والترقي الحاكم: "وأما ما خَصُّوا به العرب ولغتهم من الاضطهاد فهو أعظم ما جنَوْه على الدّين والدّولة من الفساد، وحاولوا قتل اللغة العربية فـي جميع الولايات العثمانية بإبطالها مـن المـدارس ومنعهـا مـن الـدواوين والمحاكم... ولا يخفى أن قتل اللغة العربية قتلٌ للإسلام نفسه...".

وكان سبب هذا الموقف تلك الكتب التي ألّفها أتراك يطعنـون فيهـا العرب ويَعيبون لغتهم، منها كتاب "قوم جديد" ألّفه كاتب اسمه عُبيد الله أفندي استنكر فيه وضع أسماء الخلفاء الراشدين والحسن والحسين في ألواح معلقة على جدران المساجد لأن أولئك من العرب، وقال: "أليس عندكم من الخلفاء والرجال العظام من الترك من هم خير من أولئك العرب؟ انزعوا هذه الأسماء وضعوا مكانها أسماء عظام الترك ... " ومن هذه الكتب كتـاب عنوانـه "تـاريخ المستقبل" ألّفه الكاتب التركي الشهير حينئذٍ جلال نوري بـك، جـاء فيـه: "إن المصلحة تقضي على حكومة الآستانة بإكراه السوريين على ترك أوطـانهم. وإن بلاد العرب، ولاسيما اليمن والعراق، يجب تحويلهما إلـى مـستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين. ومما لا مندوحة لنا عنه للدفاع عن كياننا أن نحوّل جميع الأقطار العربية إلى أقطار تركية، لأن النشء العربي الحديث صار يشعر اليوم بعصبية جنسية، وهو يهددنا بنكبـة عظيمة يجب أن نحتاط لها من الآن". وتبارت الجرائد في كتابة المقالات التي تزدري العرب ولغتهم: فنشرت جريدة "إقدام" مقالة بإمضاء خليـل حامـد ملأها بالطعن على العرب ولغتهم. وقال أحمد شريف محرر جريدة "طنين":

"لا يزال العرب يلهجون بلغتهم، وهم يجهلون اللغة التركية جهلاً تامًّا، كأنهم ليسوا تحت حكم الأتراك. فمن واجبات الحكومة في هذه الحال أن تنسيهم لغتهم، وتجبرهم على تعلم لغة الأمة التي تحكمهم. فإذا أهملت هذا الواجب كانت كمن تسعى إلى حتفها بظلفها، لأن العرب إن لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم فإنهم سيعملون عاجلاً أو آجلاً على استرجاع مجدهم الضائع، وتشييد دولة عربية جديدة على أنقاض دولة الترك".

وانبرت الصحف العربية، وخاصة في سورية والعراق، إلى الردّ على هذه الكتابات، وأخذ الشعراء يهجون حزب الاتحاد والترقّي ويفنّدون مزاعم أعضائه، ويفخرون بفضل العرب على الترك وبفضل اللغة العربية على اللغة التركية. وكان من هؤلاء عبد الحميد الرافعي الذي نظم قصيدة قال فيها:

لغةٌ بفضل جمالها وجلالها ... شَهِدَتْ شواهد مُحْكَمِ الفُرْقانِ

لغةٌ إذا أدركْتَ سحرَ بيانها ... أدركْتَ معنى السحر في الأجفانِ

ثم يردّ على خصوم اللغة العربية بقوله:

قلْ للأُلى جهلوا مكانتها وقد ... كادوا لها في السرّ والإعلانِ

عادَيْتمُ ما تجهلون ولم يَعِبْ ... قَدْرَ الورودِ كراهةُ الجِعْلانِ

واللهُ يأبى أن تهان فبشّروا ... من رام ذِلّتَها بكل هوانِ(*)

ومع ذلك فما لبثت أن قامت منذ منتصف القرن التاسع عشر – تحت وطأة هذا الطغيان والاضطهاد للغة وأهلها – حركة مائجة هدفها إحياء

(*) انظر لكل ما تقدم مقالتي: "الثورة العربية الكبرى والأدب" في كتاب "دراسات في الثورة العربية الكبرى"، تأليف مجموعة، الشركة الأردنية العالمية للنشر والتوزيع، عمان ١٩٦٨م.

التراث العربي الإسلامي وتخليص اللغة العربية وآدابها مما علِق بها من شوائب، والنهوض بها من كبوتها. وتحقق ذلك على أيدي رواد النهضة الأدبية الحديثة في مختلف البلاد العربية: حقّقه في النثر كُتّابٌ كبار، وما أكثرهم، من مثل عبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبده وطه حسين والمنفلوطي ومصطفى صادق الرافعي والبُستانيِّين واليازجيّين وإبراهيم المازني والعقاد وتوفيق الحكيم وشكيب أرسلان، وعشرات غيرهم من مختلف البلاد العربية من كتّاب المقالات والقصص والروايات والبحوث، والكتّاب من المصلحين الاجتماعيين والدينيين والسياسيين والصحفيين الذين يتوخون سلامة اللغة وسلاسة الأسلوب.

وحقّقه في الشعر رائد الشعر العربي الحديث محمود سامي البارودي، ثم أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، ثم علي محمود طه ومحمود حسن إسماعيل وعشرات سواهم من الشعراء المبدعين في مصر الذين انسابت اللغة العربية في شعرهم متألقة صافية مزهوّة بقدرتها على التطور، وحققه في العراق وسورية ولبنان وفلسطين والأردن وتونس: الرُصافي وبدويّ الجبَل وشفيق جبري والأخطل الصغير (بشارة الخوري) وفؤاد الخطيب، ثم أبو القاسم الشابي وإبراهيم طوقان ومصطفى وهبي التلّ وعمر أبو ريشة، وسواهم من شعراء هذه الأمة في مختلف بقاعها الذين انبثق عنهم آلاف الشعراء العرب الحديثين والمعاصرين، وكان منهم بعض شعراء المهجر.

ولا تزال عندنا أجيال تتعاقب من الشعراء ومن كتّاب النثر، يعيشون بين ظهرانَيْنا، ونقرأ لهم فنستفيد ونستمتع، ونحسّ أن هذه اللغة تمشي معهم وأمامهم،

تسابقهم فتسبقهم، فيحاولون اللحاق بها، فهؤلاء هم الذين يحفظون اللغة ويطوّرونها. وتدفّقت المقالات والبحوث والكتب بلغة عربية فصيحة سلسة في ميادين المعرفة الأدبية والفنية واللغوية والنقدية والاقتصادية والقانونية والعلمية النظرية. وأنشئت لكل ذلك المجلات الرصينة المتخصصة والعامة من أواخر القرن التاسع عشر، مثل: المقتطف(١) والعروة الوثقى(٢) والطبيب(٣) والهلال(٤) والبيان(٥) والضياء(٦)، ثم الرسالة(٧)، والثقافة(٨)، وكثير غيرها. وانتشرت الصحف اليومية والأسبوعية في أكثر البلاد العربية، وربما فيها كلها. وحرصت الجامعات في البلاد العربية بكلياتها المختلفة، وخاصة كليات الآداب، على إصدار مجلات خاصة بكل منها فيها بحوث جادة في موضوعات تخصصها. وقامت المجامع

---

(١) مجلة شهرية أدبية علمية، أنشأها في بيروت يعقوب صروف وفارس نمر سنة ١٨٧٦م ثم نقلاها إلى القاهرة سنة ١٨٨٥ .

(٢) مجلة عربية إسلامية، أصدرها في باريس جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ١٨٨٤م.

(٣) صدرت ببيروت سنة ١٨٨٤م وعلى غلافها أنها مجلة طبية علمية صناعية ولجنة تأليفها: الشيخ إبراهيم اليازجي والدكتور بشارة زلزل والدكتور خليل سعادة.

(٤) مجلة شهرية علمية أدبية جامعة أصدرها سنة ١٨٩٢م جورجي زيدان بالقاهرة.

(٥) صدرت بمصر سنة ١٨٩٧م وعلى غلافها أنها مجلة علمية أدبية طبية صناعية لمنشئيها الشيخ إبراهيم اليازجي والدكتور بشارة زلزل.

(٦) صدرت بمصر سنة ١٨٩٨م وعلى غلافها أنها مجلة علمية أدبية صحيّة صناعية لصاحبها الشيخ إبراهيم اليازجي.

(٧) مجلة أدبية أسبوعية صدرت سنة ١٩٣٣م بالقاهرة لصاحبها أحمد حسن الزيات.

(٨) مجلة أسبوعية ثقافية أصدرتها بالقاهرة سنة ١٩٣٩م لجنة التأليف والترجمة والنشر، وصاحب امتيازها أحمد أمين.

اللغوية ولكل مجمع مجلته أيضًا حفلت ببحوث شيوخ الأدب من "الخالـدين"، وأولها مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق[1]، ثم مجلة مجمع اللغة العربيـة الملكي بمصر[2]، ثم تلتهما مجلات المجامع الأخرى مثـل مجلـة المجمـع العلمي العراقي. ومن الإنصاف أن نشير في هـذا المجـال إلـى كتابـات المستشرقين في مجلات بعض كليات الآداب وكتاباتهم في مجلات بعـض المجامع وإلى تآليفهم في اللغة العربية وتحقيقاتهم لعدد من أمهـات الكتـب الأصول ونشرها.

ومن الإنصاف كذلك أن نشير إلى أن نفرًا من كتاب الصحف مـن اللغويين والأدباء والمترجمين كان لهم فضل كبير – منذ منتـصف القـرن التاسع عشر – في تخليص الأسلوب مما كان يُثقِله من قيود الزخارف اللفظية المتكلّفة، وفي وضع مقابلات عربية لـبعض الألفـاظ الأجنبيـة المـستجدّة فأصبحت هذه المقابلات العربية هي الشائعة بين الأدباء، وفي الارتقاء بالأسـلوب إلى مستوى من الفصاحة السهلة المتسلسلة وتنقية ألفاظه من الأغلاط اللغوية.

وقد اقتصرتُ في كل من ذكرت على الذين عاشوا أو شُهِروا حتـى منتصف القرن العشرين، وأما في نصفه الثاني فالشعراء والكتاب والمؤلفون في مختلف ميادين المعرفة أكثرُ من أن نشير إليهم، وأكثرهم تنـساب اللغـة العربية من أقلامهم فصيحةً سلسة، لا تعقيد فيها ولا عوائق مـن عُجْمـة أو غموض، سوى بعض هذا الشعر (الحداثي!) الذي يوغل أكثره فـي الإبهـام والركاكة. وكذلك اقتصرتُ في كل ما ذكرت على الشرق العربي. أما مغربنا

---

(١) بدأت بالصدور في مطلع سنة ١٩٢١م (١٣٣٩هـ).
(٢) صدر عددها الأول في مطالع سنة ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م).

العربي وحال اللغة العربية فيه وفي البلاد الإفريقية جنوب الصحراء فتحتاج إلى حديث خاصّ.

ومع ذلك فإن اللغة العربية وثقافتها تواجه تحديات حاضرة ومستقبلية، أهمها:

١- العولمة: التي تواجه كثيرًا من دول العالم، وستشتدّ وطأتها خلال هذا القرن الحادي والعشرين، أو خلال مطالعه على الأقلّ، وخاصة على الدول التي لم تتسلح لها بسلاحها. بل إن العولمة الثقافية أصبحت تهدد بعض الدول المتقدمة القوية التي كانت هي تهدد غيرها من الدول بنشر ثقافتها ولغتها. وأوضحُ مثالٍ على ذلك فرنسا، التي أحلّت لغتها وثقافتها - في كثير من البلاد التي استعمرتها ردَحًا من الزمن ولاسيما البلاد الإفريقية - محلّ لغات هذه البلاد وثقافتها. وبعد استقلال تلك البلاد تمسكت فرنسا بنشر لغتها وثقافتها، وأنشأت لذلك مؤسسة ثقافية سياسية أخذت ترسّخ أركانها بالتدريج، هي الفرنكوفونية، وصارت تُغدِق جوائزها وأموالها على الذين يكتبون قصصَهم ورواياتِهم وأشعارهم باللغة الفرنسية، وخاصة من مواطني مستعمراتها السابقة في إفريقيا. فرنسا هذه تنبّهت على خطر العولمة الأمريكية التي سمّتها "الإمبريالية الثقافية الأمريكية" وبذلت جهودًا كبيرة لمقاومة هذه الهجمة الثقافية، ولا تزال تبذلها، ولها في ذلك مواقف مشهودة منذ أن وقف وزير ثقافتها في المؤتمر الدولي للسياسات الثقافية الذي نظمته اليونسكو في المكسيك سنة ١٩٨٢ يهاجم الولايات المتحدة الأمريكية، ويشكو مما تقوم به من "غزو ثقافي"، ولم يتردد في استعمال هذا التعبير الذي يُحجم كثير منا عن استعماله منكرين وجود ما يسمّى غزوًا ثقافيًّا،

متجاهلين ما يحدث لنا، متدثرين برداء الثقافة الإنسانية العالمية. وكان مما قاله ذلك الوزير وهو يشنّ هجومه على الولايات المتحدة الأمريكية: إن تلك الدول التي علمتنا قدرًا كبيرًا من الحرية، ودعت الشعوب إلى الثورة على الطغيان، أصبحت لا تملك اليوم منهجًا أخلاقيًا سوى الربح، وتحاول أن تفرض ثقافة شاملة واحدة على العالم أجمع. ومضى يقول: إن هذا شكل من أشكال الإمبريالية المالية والفكرية لا يحتلّ الأراضي بل يصادر الضمائر ومناهج التفكير وطرق العيش.

وقد ساندت وزيرةُ الثقافة اليونانية ميلينا ميركوري وزيرَ الثقافة الفرنسي في ذلك المؤتمر. وشكت مما شكا منه، ونددت بالموقف الأمريكي وحذرت من مخاطره على بلادها(!).

وبعد سنوات من مؤتمر المكسيك وموقف وزير الثقافة الفرنسي فيه وقف ميتران رئيس الجمهورية الفرنسية يخاطب ممثلي الدول الفرنكوفونية قائلاً: من ذا الذي يستطيع أن يتعامى اليوم عن التهديد الذي يواجهه العالم الذي تغزوه بالتدريج ثقافة واحدة، ثقافةٌ أنجلو سكسونية تتحرك تحت غطاء الليبرالية الاقتصادية ؟ ثم قال: هل قوانين المال والتكنولوجيا توشك أن تحقق ما أخفقت الأنظمة الشُمولية في تحقيقه؟

من أجل كل ذلك رفضت فرنسا أن توقّع على الجزء الخاص بالسلع والمواد الثقافية في اتفاقية الجات، وهي التي تشمل: السينما والتلفاز وأشرطة الفيديو وما يشبهها. وقد نجح ميتران في نيل موافقة ستّ وأربعين دولة فرنكوفونية على دعم فرنسا في محاولتها الحصول على " استثناء ثقافي " يشمل تلك السلع والمواد، وقد أُدرِج ذلك الاستثناء في الاتفاقيات الدولية الخاصة بحرية التجارة (الجات).

فإذا كان هذا موقفَ فرنسا، بلد النور والإشعاع الثقــافي، وموقــفَ اليونان بلدِ الإغريق مصدر الإلهام للنهضة الأوربية ثم لعــصر التنــوير، فماذا يجب أن يكون موقفنا ونحن لا نملك اليوم إلا القليل مما تملكه فرنسا وربما اليونان؟

فالعولمة الثقافية تَعْني إذن سيادةَ ثقافة واحدة بلغتها وفكرهــا وأنمــاط حياتها وسلوكها، وتعني محاولة إحلال هذه الثقافة الواحدة محــل الثقافــات الأخرى، وتعني نشر مضمون تلك الثقافة ومحتواها من: أساليب التفكيــر، والتعبير، والتذوق الفني، وأنماط السلوك والتعامل، والنظرة إلــى الحيــاة والكون، وبذلك تدمّر الخصوصيات الثقافية الأخرى، ومن حقنا حينئــذٍ أن نتساءل ماذا سيكون مصير ما ينادي بــه دعاة الديمقراطية من: التعدديــة الثقافية ومن الحوار بين الثقافات، وهما من دعائم النظام العالمي الجديد كما يزعمون؟ هل يبقى لهما وجود مع العولمة الثقافية؟

و"العولمة الثقافية" – فيما أرى – هي الأصــل للعولمــات الأخــرى: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية وسواها، وذلك لأنها هي التي تمهّد العقول والنفوس لقبول أنواع العولمة الأخرى. وقــد بــدأت هــذه "العولمة الثقافية" منذ عهد بعيد قبل أن يصوغ الذين يسكّون المــصطلحاتِ الحديثةَ مصطلح العولمة. وليس مــن الممكن أن تحــدث تلــك الــسيطرة والهيمنة لــ "العولمة الثقافية" فجأة أو في وقت قصير، بل لا بد من التمهيد لها تمهيدًا متدرجًا، والتأنّي لحدوثها بوسائل بطيئة مــع إخفــاء الغايــات والتحديات الحقيقية في البدء، ثم المجاهرة بهذه الغايــات والإســراع فــي

خطوات التنفيذ مع تنويع الوسائل حين يصبح الجو العام مناسبًا، بعد أن تكون الوسائل البطيئة قد فعلتْ فِعلها وهيأت النفوس والعقول للمجاهرة والعلن.

٢- ومن أهم تلك التحديات وأبعدِها زمنًا: تلك الدعواتُ التي بدأت في مصر ولبنان منذ مطالع القرن التاسع عشر واستمرت إلى يومنا هذا وازدادت وتوسّعت، وهي التشكيك في اللغة العربية وفي قدرتها على الوفاء بمطالب العلم الحديث وبمتغيرات العصر، وبعجز حروفها وكتابتها عن استيعاب تسجيل الكلمات والمصطلحات الأجنبية ونطقها، وتمادى بعضهم فوصفها باللغة الميّتة وشبّهها باللغة اللاتينية. ومع كل المقاومة العنيفة التي واجهتها هذه الدعوات على مدى قرنين فقد أخذت الهزيمة تتسلل إلى نفوس كثير من القادة السياسيين الذين أصبحوا يستعملون في خطبهم اللهجات العامية إلا في الخطب المكتوبة، وإلى أساتذة الجامعات ومعلمي المدارس الذين لا يحسنون التحدث بالعربية الفصيحة، ثم تسربت الهزيمة منهم إلى نفوس الناشئة. فانتشرت اللهجة العامية والكلمات الأجنبية والحروف اللاتينية في لوحات المحال التجارية وأسمائها حتى غطّت شوارعنا، وأخذت تنتشر في الإعلانات التي تملأ الصحف اليومية. ولم تكتف جامعاتنا بتعليم العلوم النظرية الأساسية والعلوم التطبيقية بإحدى اللغتين الأجنبيتين: الفرنسية في بلاد المغرب العربي والإنجليزية في المشرق العربي بل تسرّب ذلك إلى تدريس بعض العلوم الإنسانية والاجتماعية والإدارية التي مضى على تدريسها باللغة العربية قرن أو يزيد، فتمكّنت وتأصلت، وأصبح لنا فكر مبدع وجهود أصيلة وبحوث متميّزة بهذه اللغة في هذه الدراسات. بل أصبح أكثر التدريس في أقسام اللغة العربية وآدابها ذاتها في الجامعات

باللهجات العامية، وأصبحت بعض محطاتنا الفضائية تبثّ نشرات الأخبار بلهجة بلادها المحكية. وهكذا لم تعد العربية الفصيحة السليمة تصافح آذان ناشئتنا وشبابنا، فاغتربت عنهم واغتربوا عنها، واستصعبوها فاستعصت عليهم. ولو كان أمر اللهجات كما كان – ربما في كل العصور – محصورًا في الكلام اليومي بين العوام، وفي الشراء والبيع في الأسواق وفي مخاطبة أهل البيت والأولاد، لهان الأمر. فنحن لا ننكر استعمال اللهجات بين طبقات من الناس، ولا في بعض شؤون الحياة، وكذلك لا نتنكّر للشعر باللهجات الدارجة، وإنما الذي ننكره هي تلك الحربُ المستترة حينًا والسافرة حينًا على أهم مقوم من مقومات شخصيتنا العربية وهي هذه اللغة الفصيحة المشرقة بتراثها الوجداني والعقلي والعلمي المتطاول. وهذا حديث طويل، أكثَـرَ الكتّابُ والمتحدثون فيه، وحسبنا منه هذه اللمحة الدالّة.

٣- ومن هذه التحديات ووسائلها الداخلة فيها: إشاعة مصطلحات جديدة ذات مفاهيم أو مضامين تَحِلّ محلّ المفاهيم والمضامينِ الأصلية التي تتصل بحياة الأمة وشخصيتها وحقيقة وجودها ٠ وقد تبدو بعض هذه المصطلحات في أوّل الأمر بريئة، لا يُقْصَد منها إلا تقريرُ واقعٍ، أو وصفُ حالة، أو ذكْرُ أمورٍ عملية، ولذلك نرى بعض المثقفين يدافع عنها بل يسخر ممن يشكك فيها. وقد تُواجَهُ هذه المصطلحات في البدء بالتوجّس منها أو بعدم فهمها فهمًا واضحًا، ولكنها مع كثرة استعمالها وترديدها على الألسنة في المجالس والمحاضرات، وعلى الأقلام في الصحف اليومية والأسبوعية وفي الكتب، وخاصة من خلال الإذاعة والتلفزة وبرامجها، لا تلبث أن تألفها الآذان، فتَلينَ لها النفوس، وتسكُنَ إليها العقول، ويتغرّبَ معها الفكر أو

يتأمرك أو يتصهين، ولا نلبث أن نأخذ نحن في تردادها والترويج لها، مع أنها وُضعت أصلاً لغزو نفوسنا وعقولنا وإضعافنا.

ومن الأمثلة التي توضّح ما ذكرته: مصطلحُ "منطقة الشرق الأوسط" وهو مصطلح يضمّ بعض البلاد العربية، وبعض البلاد الإسلامية، وإسرائيل، وبذلك أصبح يطلق على منطقة لا كيان لها في الحقيقة، وقد صار من الشائع أن تسمّى قضية فلسطين بقضية الشرق الأوسط، فضاع اسم فلسطين، وأصبحت القضية ليست فلسطينية، ولا عربية، ولا إسلامية، وإنما هي قضية الشرق الأوسط؟! والمصطلح يشمل منطقة لا هُويّة لها، فليس مما يقال: "الهوية الشرق أوسطية " إنما هي "الهوية العربية" للوطن العربي وحده بأقطاره.

ولا أملّ من تكرار أن المصطلحات ليست محض مجموعة حروف وأصوات تتكون منها كلمات وألفاظ عادية مما يقوله الناس ثم لا يتوقّفون عنده، وإنما هي في حقيقتها مفاهيم وأفكار تنتشر بين الناس – عامّتهم وخاصّتهم – وتترسّخ في عقولهم ونفوسهم، فيعيشون فيها، وتتأثر بها مواقفهم وتصرفاتهم. إن هذه المصطلحات لها أثر كبير في صياغة أفكارنا وتصوراتنا ومشاعرنا، ولذلك تحدّد كثيرًا من اتجاهاتنا ومواقفنا وسلوكنا وانتماءاتنا وولائنا. وحرب المصطلحات والألفاظ حرب حقيقية يخطِّط لها خبراء دُهاةٌ، وتسعِّر أوارَها وكالات الأنباء من خلال وسائل الإعلام بالخبر والتحليل والتعليق، وتُكرِّر المصطلح حتى تُشيعه بين الآخرين ويستقرَّ في عقولهم ونفوسهم، فتستكين له تلك العقول والنفوس وتخضع، ومن كثرة

تكراره تألفه وتأخذ هي في ترداده(*). وكان المقصود من مصطلح "الشرق الأوسط" أن يحلّ محلّ "الوطن العربي" أو "البلاد العربية" وكذلك كان المقصود منه تجزئة هذا الوطن بعد خلع صفة العروبة عنه، وإضافة أقطار أخرى غير عربية، ويظلّ الهدف الأساسي إقحام إسرائيل في المنطقة لتصبح جزءًا عضويًّا مقبولاً فيها. وشاع المصطلح بيننا – دون وعي – فكانت لنا محطة إذاعة مهمة ثم جريدة عربية كبرى تسميان به.

ومن أمثلة المصطلحات التي صيغت بدهاء وجرِّدت من الصفة العربية أيضًا مصطلحُ "الشراكة الأوربية المتوسطية" فقد أعطيت الأقسام الشمالية من البحر الأبيض المتوسط هويتّها "الأوربية"، وخلا هذا التعبير من ذكرٍ للشريك الآخر خلوًّا تامًّا، فلم تُذكَر البلاد الأخرى بصفتها "العربية". ولا بدّ أن نتساءل أين الطرف الثاني في هذه الشراكة؟ ومع مَنْ هذه الشراكة الأوربية المتوسطية ؟ لأن إسقاط "العربية" يجعل هذه الشراكة أوربية فقط، أي بين البلاد الأوربية الواقعة على البحر المتوسط وحدها. وكان من الواجب أن يكون التعبير السليم "الشراكة الأوربية العربية المتوسطية". ولكنّ هذه الصيغة تُفْسد على مَن صاغ ذلك المصطلح الغايةَ منه، إذ المقصود تغييبُ الصفة العربية من كل مصطلح أو عبارة من أجل أن تغيب معها الهوية العربية في نفوس الناشئة ونفوس الأجيال القادمة، ومن أجل إقحام إسرائيل في هذه الشراكة!

(*) انظر كتابي "نحن والآخر: صراع وحوار" المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٧، فقد تحدثت عن "المصطلح" وخطره في مواضع متعددة منه.

٤- ومن وسائل هذه التحديات: نشر أنظمة الفكر والتعليم ومصطلحاتها، وتعميم أنموذج المؤسسات التعليمية كما هي في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد انقلبت أكثر جامعاتنا من نظام إلى نظام يقوم على فلسفة تربوية وقاعدة اجتماعية واقتصادية تختلفان عن الفلسفة التربوية التي يتبناها مجتمعنا وعن القاعدة الاجتماعية والاقتصادية التي يقوم عليها. ثم تحولت جامعاتنا في تدريس أكثر المواد النظرية والإنسانية إلى اللغة الإنجليزية أو الفرنسية، ولا تزال بقية المواد معرّضة لهذا التحول. وأُهملت مصطلحات ثقافتنا، واستُبدلتْ بها مصطلحات أعجمية غير مستساغة: فـ "المعيد" أصبح "مساعد بحث وتدريس" و"النصاب الدراسي" أو"التدريسي" أصبح "الحِمل" أو "العِبء الدراسي والتدريسي" وهما وسواهما ترجمات حرفية لما في الجامعات الأمريكية من مصطلحات. والحديث عن هذا الموضوع طويل وفي النفس منه أشياء.

٥ – ومن هذه التحديات ووسائلها: تلك الاتفاقياتُ والمعاهدات الدولية كوثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. ونحن لا ننكر أن بين الإنسانية عامةً أشياءَ كثيرةً مشتركة تضمنتها تلك الوثيقة وقبلتها الشعوب المختلفة، ولكن فيها ما يمثّل مصادرة الرأي الآخَر، وإهدار حقِّ الشعوب في أن تعيش وفق ثقافتها وعقيدتها. وهو السبب الذي جعل بعض الحكومات تتحفظ على تلك الوثيقة، وجعل بعض المفكرين يرون فيها، وفيما يشابهها من اتفاقيات، تعميمًا لفكر غربي أوربي- أمريكي، وفرضًا لثقافة ذلك الفكر، ويتساءلون: ألا تتناقض الديمقراطية الغربية مع نفسها، وتتنكّر لدعوتها، حين لا تسمح بالتعددية والرأي الآخر وحرية العقيدة، وحين لا تترك في

مثل هذه الاتفاقيات "هامشًا" تتحرك فيه الشعوب الأخرى لتحقق ذاتها وتصون هويتها؟ بل تفرض عليها وجهة نظر واحدة من ثقافة واحدة.

ومنها كذلك "اتفاقية حقوق الملكية الفكرية". فقد عانى الكتاب والشعراء والمفكرون العرب كثيرًا بسبب ما تعرّض له نتاجهم الفكري والأدبي المطبوع من نهب وتزوير، وإعادةِ طباعةٍ تتولاها دور نشر تجارية في البلاد العربية نفسها وسائر البلاد المتنامية، دون علم المؤلفين، فضاعت عليهم وعلى ورثتهم وعلى دور النشر الأصلية التي تعاقدوا معها، حقوقٌ كثيرة. وقد بُحّتِ الأصوات وهي تنادي بوجوب إصدار قوانين وأنظمة لحماية هذه الحقوق، بين البلاد العربية، دون جدوى، على ألا تشمل هذه القوانين البلاد الأجنبية لأننا في مرحلة ثقافية واجتماعية نحتاج فيها إلى الاستفادة مما عند غيرنا بالترجمة والنقل والاقتباس ونعجز عن دفع تكاليفه.

ولكن هذه الدول العربية نفسها سارعت – في ظلّ العولمة – إلى التوقيع على اتفاقيات حقوق الملكية الفكرية لتشمل البلاد العربية وجميع البلاد الأجنبية. بل لقد اضطرت إلى هذا التوقيع اضطرارًا لأسباب تجارية واقتصادية عامة، من مثل اشتراط توقيعها على هذه الاتفاقيات لكي تُقْبَل عضوًا في منظمة التجارة العالمية ولكي يرضى عنها البنك الدولي وصندوق النقد. (وليس هنا مجال الحديث عن كل ذلك)

وهكذا احتكرت البلادُ الأجنبية المعرفةَ والبحث العلمي، وأصبحت هي وحدها التي تصدّر نتائجهما إلى البلاد الأخرى بأغلى الأثمان التي تؤود كواهل أبناء هذه البلاد، فيعجزون عن امتلاكها. فالكتب والأشرطة الأدبية والعلمية والفنية لا تستطيع البلاد الفقيرة ترجمتها إلى لغاتها ولا استنساخها، إلا

بعد الاستئذان من شركات الاحتكار الكبرى ومن دور النشر العالمية ومن المؤسسات الصانعة، وإلا بعد دفع مبالغ طائلة بدل حقوق الملكية الفكرية. وهكذا أصبحت هذه الاتفاقيات عقبة دون انتشار الثقافة والفكر. وكل هذا يحدث في عصر الإنترنت والقنوات الفضائية !! وفي عصر الديمقراطية وحقوق الإنسان !! وأصبحت دور النشر العالمية والشركات الكبرى الأجنبية هي المستفيدة من كل ذلك لتزداد ثراء على ثرائها.

٦ – ومن وسائل هذه التحديات: تلك الأفلام والمسلسلات المتلفزة والأغاني الأجنبية التي تطالعنا في كل مكان وتصافح أسماعنا أو تقرعها في كل حين. وهي محمَّلة بأنماط الحياة وأساليب التفكير والسلوك الغربية، وخاصة الأمريكية، ويراد لها أن تكون هي السائدة في البلاد الأخرى، وأن تتشرّبها الأمم والجماعات لتصبح لها نمطَ حياةٍ وأسلوبَ تفكير وسلوكًا، فتذوبَ شخصياتها في شخصية البلد المَصْدر، ويتغرّبَ فكرها وشعورها، وبذلك تتحقق " نهاية التاريخ " كما تصورها فرانسيس فوكوياما، وتسود ثقافة واحدة وخاصة بعد صراع مع بعض الحضارات أو الثقافات الأخرى كما ذهب إليه صامويل هنتنجتون.

٧– ومن هذه التحديات بل المخاوف: تلك المحاولات التي تُبذَل في الخفاء بأسلوب متدرِّج لا تكاد نتائجه تظهر في حينها، لتفريغ المناهج والكتب في مراحل التعليم العام وفي المرحلة الجامعية الأولى، من النماذج التأصيلية والنصوص التأسيسية للغة العربية وثقافتها، إما بحذفها وإما بوضع نماذج ونصوص هزيلة في مكانها لا تنتهي إلى شيء، فيُفرَّغ عقلُ الدارس ووجدانه من كل ما هو أصيل يصله بحقيقة لغته وثقافة أمته، وبذلك تحقّق

تلك المحاولاتُ الأهدافَ منها بتنشئة أجيال بعيدة عن الإحساس السليم بلغتها والإيمان بقدرتها على النماء والتطور.

* * *

وهذه الوسائل والتحديات بمحتوياتها ومضامينها وما تسعى إلى تحقيقه، هي التي دأب بعض الدارسين على تسميته بالغزو الثقافي، ونفضل نحن أن نسميه بالغزو النفسي، لأننا نرى أن الثقافة لا تُغْزى غزوًا مباشرًا تتأثّر به في ذاتها، وإنما تُغْزَى نفوس أصحاب الثقافة بما يُبَثُّ فيها بثًّا خفيًّا بطيئًا متدرجًا من أساليب التهوين من شأن تلك الثقافة ولغتها، وتضخيم جوانب النقص والضعف فيها وإبرازِ هذه الجوانبِ وحدها، وتجاهلِ ما فيها من جوانب القوة والإبداع، ووصمها بأنها لغة لفظية زُخْرفية، وأنها تنتمي إلى عصور مضت ولا تستطيع أن تساير الزمن الحديث، وأنها لذلك عاجزة عن الاستجابة لدواعي العصر ومتطلبات العلم، وأن حروف هجائها لا تفي بكثير من أصوات اللغات الأخرى والمصطلحات الحديثة ورموزها، إلى غير ذلك من الأحكام التي تنساب في نفوس بعض المثقفين والمعلمين، فينشرونها في كتاباتهم وأحاديثهم وبين قرّائهم وتلاميذهم، فتتسللُ إلى داخل نسيج الأمة ونظامها الفكري فتطمس هوية الأمة وتضعف شخصيتها، وتشيع الشعور بالنقص والضعف، والعجز عن مواجهة التحديات وتنشر الإحساس بالاستسلام والهزيمة من داخل النفس، وتمحو ذاكرة الأمة التاريخية وذاكرتها الثقافية.

والحديث في هذه الموضوعات طويل، وتفصيلاتها وتفريعاتها وأمثلتها لا تُستوفى في مثل هذا المقال، وحسبي منها ما ذكــرت لعلها تدلّ على ما لم أذكر وتُغني عنه.

* * *

ومع كل ما ذكرته من هذه التحديات فإن لغتنا العربية الفصيحة ماضية فـــي طريقها: بألفاظها الصحيحة وأسلوبها السلس السليم، يكتــب بهـــا أكثـــر الكـــاتبين ويتحدث بها أكثر المثقفين. والمجرى العام لنهر اللغة العربيـــة وتيارهـــا الرئيـــسي مجرى سليم، ولا تجوز المبالغة في تصويره على غير حقيقته ووصمه بالـــضعف والقصور والتخلّف، وإن كانت تعترضه من حين إلى حين بعض الحواجز التي قـــد تعوق تدفقه ثم لا يلبث أن يجرفها في طريقه، وإن كانت كذلك تصب فيه جداول أو فروع من خارج طبيعته قد يبدو معها أن ماءه قد تعكّر أو تكدّر أو تلوّث، ولكن قوة التيار العام للنهر سرعان ما تجرف هذا العكَر ويعود الماء يتدفق في مجـــراه نقيًّـــا. واللغويون والأدباء والمفكرون العرب غير غافلين عن وجوب مساعدة هذا التطـــور الطبيعي الحتمي للغة والأسلوب بجهد بشري منهم، فقد كثـــرت محـــاولات تيـــسير تدريس النحو، ومحاولات وضع مصطلحات عربية للعلوم والفنـــون، ومحـــاولات وضع معاجم عصرية لمختلف الأغراض، ومحاولات المواءمة بين حروف الهجاء العربي والأجهزة الطباعية والتنضيدية الحديثة. وهي محاولات نجحت في أكثرهـــا، ولا تزال ماضية في طريقها، ولعلها تَرُدّ فيما ستحققه على كثير من الدعاوي والتُّهَم. ولا يجوز الاكتفاء بما أُنجز حتى الآن لا من حيث المقدار ولا من حيث النوع، بـــل ربما كان الأمر يستدعي أيضًا مضاعفة الجهد لاختصار الزمن، علـــى أن يكـــون العاملون في هذه الميادين من المؤمنين بهذه اللغة وألفاظها وأساليبها وحروف هجائها وقدرتها على التطور السليم من داخلها.

تعقيبات ومداخلات

على محاضرة

الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد



الأستاذ الدكتور محمود حافظ رئيس المجمع:

شكرًا جزيلاً للعالم الكبير الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد، على هذه المحاضرة القيمة، التي استوعبت تاريخًا عظيمًا في عالم متغير، ولا شك أن هذه المحاضرة ستثير كثيرًا من المداخلات والتعقيبات، وذلك لأهميتها البالغة. وأود أن أشير إلى أنه في القرن التاسع عشر كما ذكر سيادته في سنة ١٨٣٠م ترجمت كتب طبية بلغت أكثر من سبعة وثلاثين كتابًا إلى اللغة العربية في عهد كلوت بك، وأخذت طريقها إلى شمال أفريقيا، وفي سنة ١٨٣٢م ظهرت الجمعية الأدبية المصرية، وفي سنة ١٨٤٢م ظهرت الجمعية العلمية المصرية، وفي سنة ١٨٥٩م بدأ المجمع العلمي المصري في ترجمة كثير من الكتب باللغة العربية، وفي سنة ١٨٧٥م ظهرت الجمعية الجغرافية وكانت الدراسة فيها باللغة العربية، وفي سنة ١٨٨٥م وفد المقتطف من لبنان إلى مصر، وكان له دور بارز في اللغة العربية والمصطلحات العلمية، ناهيك عن دور رفاعة الطهطاوي سنة ١٨٣٤م عندما عاد من فرنسا وألف اثنتين وعشرين رسالة باللغة العربية في مختلف القطاعات العلمية والأدبية والاجتماعية في القرن التاسع عشر، وقد ذكرت في محاضرتي التي ألقيتها سنة اثنتين وتسعين وثمانمئة وألف، أن محمد عبده قام بإنشاء أول مجمع للغة العربية تحديًا للمحتل الذي فرض لغته الأجنبية والتي استمرت عدة سنين. فالواقع أن القرن التاسع عشر كان زاخرًا بالمؤلفات التي ألفت باللغة العربية وخصوصًا بعد عودة الدارسين الذين أرسلهم محمد علي إلى فرنسا وإلى الدول الأوربية، وعادوا في أواسط القرن التاسع عشر، وقاموا بالدراسات في

الجامعات المصرية باللغة العربية. ومن الأسف الشديد أن أكثر من نصف المليون في مصر يتعلمون علومهم باللغة الإنجليزية في حين أن قانون الجامعات المصرية – عندما أنشئت الجامعة الحكومية سنة خمس وعشرين وتسعمئة وألف – كان ينص على أن تكون الدراسة باللغة العربية، وجعل استثناءً مؤقتًا باستعمال اللغة الأجنبية إلى أن يعود المبعوثون من الخارج ويدرسون باللغة العربية. ولكن للأسف الشديد استمر الحال على ما هو عليه منذ سنة خمس وعشرين وتسعمئة وألف حتى الآن، وحاول مجمع اللغة العربية والمجامع الأخرى الداعية لتعريب العلوم إلى اللغة العربية أن تدرس علومها باللغة العربية، ولكن للأسف الشديد ما تزال كل الجامعات حتى جامعة الأزهر تدرس علومها باللغة الإنجليزية، ولعل أولي الأمر ينصتون إلى توصيات مجمع اللغة العربية التي تنص مرارًا وتكرارًا على ضرورة تعريب العلوم في الجامعات، ومع ذلك فإننا نشاهد إنشاء جامعات أجنبية في مصر الواحدة تلو الأخرى، وهذا سيوجِد طبقتين بعد جيل أو جيلين، أبناء كل طبقة ينتمون إلى هذه الدول التي يدرسون العلوم بلغتها. لابد من تعريب التعليم وإصلاح المسار في الجامعات المصرية، ولسنا ضد تعلم اللغة الأجنبية، بل هي ضرورة وواجب لتتيح إطلالة نيرة على ثقافة الغير وعلى التقدم العلمي العالمي، وشكرًا.

الأستاذ فاروق شوشة:

من الواضح أن المحاضرة بكل ما حملته أثارت الشجون وجعلت الأستاذ الرئيس يبدأ المداخلات، والحديث ذو شجون؛ لأنه مرتبط بمصير هذه

اللغة، ومصيرها أصبح لأول مرة في تاريخ العربية موضوع تساؤل وشكوك. وبالأمس استمعنا إلى الدكتور علي القاسمي وهو يقدم إلينا نبوءة اليونسكو أن اللغة العربية مرشحة مع كثير من اللغات الضعيفة لكي تختفي صورتها الفصيحة خلال هذا القرن الحادي والعشرين، ويبدو أن الأمر دخلته السياسة، فمصير اللغة مرتبط بمصير العرب، وزوال اللغة من خريطة اللغات قرين بزوال العرب من فوق ظهر هذا الكوكب، وبالتالي اختلطت القضايا والأمور، لكن تظل اللغة العربية هاجسنا جميعًا؛ خاصة أن الأمر مرتبط أيضًا بمستقبل هذا المجمع، وبكل مجامع اللغة العربية؛ فما هي خططها القادمة في المستقبل؟ وكيف نطور من صيغة العمل المجمعي؟ هذا هو السؤال الذي سيُطرحُ غدًا بشدة في مؤتمرنا السنوي؛ لأن الموضوع الأساسي لمؤتمرنا هذا العام هو مناقشة فكرة إنشاء المجامع على مستوى الوطن العربي، وإلى أي درجة نجحت هذه الفكرة المجمعية في كل البلاد العربية في الحفاظ على هذه اللغة من ناحية، وفي التقدم بمشروعات وخطط تزيد من حيويتها ومن فاعليتها من ناحية أخرى.

الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي:

شكرًا للسيد الأمين العام لمجمع اللغة العربية، حقيقة هذا الصباح، استمتعنا بمحاضرة ذات نمط جديد، والموضوع الذي أثاره السيد المحاضر حرك سواكنَ كثيرة، عندما يتحدث الناس عن تاريخ اللغة العربية ومسيرتها وعندما يتحدث زملاؤنا في المشرق عن مسيرة اللغة العربية وخاصة في العهد التركي أرجو بكل ما أملكه من قوة أن أنبه إلى دور المغاربة في حماية هذه اللغة، في العصور الوسطى وكذلك في العصور التي زادت فيها الهيمنة

العثمانية، أذكر جيدًا قبل خمسين سنة عندما كان عندنا في المغرب أستاذنا الكبير الدكتور طه حسين، وألقى محاضرة في مدينة فاس وعندما وصل إلى هذه المرحلة بالذات شعر بعبء ثقيل عليه فيما يتصل بدور المغاربة في حماية اللغة العربية، وأنا أغتنم هذه الفرصة لأقول إن الأدب الإداري الذي تتوفر عليه المملكة المغربية طوال العصور الوسطى يمكن أن نجد له أمثلة في حاضرة الفاتيكان، ولندن، وإسبانيا، وشكرًا.

الأستاذ الدكتور كمال بشر نائب رئيس المجمع:

بسم الله الرحمن الرحيم، ليس غريبًا أن نستمع إلى هذا الكلام العميق المهم الصادر من هذا الرجل الأمين الصادق المخلص، والمتّصفون بهذه الصفات قلة في العالم العربي، نحن نحرث في أرض غير منبتة، المجتمع العربي كله لا يستطيع أن ينبت، نحن نتكلم عن العربية ومشاكل العربية، والجامعات الأجنبية والمدارس الأجنبية، وأولادنا سائحون في هذا الطريق، حتى إن أولادنا نذهب بهم إلى هذه المدارس الأجنبية، القضية قضية اتجاه، اتجاه سياسي، واتجاه ثقافي، نحن في ضياع، وشكرًا.

الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع:

اجتماعنا هذا ينفي هذا الضياع، وهو رد على الضياع، ويثبت أن الأرض ستنبت إن شاء الله.

الأستاذ الدكتور يوسف عز الدين:

إن الكلمات عاجزة عن شكر العالم الفاضل والزميل الكريم الدكتور ناصر الدين الأسد، الحقيقة لم يترك لنا شيئًا نقوله، غير أن لي ملاحظة

واحدة تفوت الكثير من إخواننا، ليست البعثات التي أرسلها محمد علي هـي الأولى في الترجمة، لقد ألقيتُ محاضرة قبل سنتين عن أنيس المشرحين، وقد وجدت الطبعة التاسعة التي استعملها الطلاب الذين كـانوا يترجمـون إلـى العربية في الطب، فهناك جانب منسي هو أن هناك المدرسة المحمدية قبل أن يرسل محمد علي بعثات الطلاب، وكانت تدرس الطب باللغة العربية. فأرجو العناية بالترجمة وبيان ما قام به المسلمون في هذا المجال، وخير دليل على ذلك أن بعثة محمد علي استعملت الطبعة التاسعة مـن أنـيس المـشرحين، وشكرًا.

الأستاذ الدكتور صلاح فضل:

اسمحوا لي أن أختلف عن التيار العام الذي بدأ يـشتد فـي الحفـل الافتتاحي في النعي على اللغة العربية أو نعيها؛ لأننا كلنا ثقة في أن الـذكر الحكيم الذي نزل به القرآن الكريم لا تهدده أي مخاطر، وإننـا موعـودون بحفظه ومجندون بأداة هذا الحفظ، وبالتالي فأعتقـد أن نظـرة تفـاؤل فـي المستقبل، وحشد الجهود وكل الطاقات والإمكانات لمقاومة التحديات هي التي ينبغي أن تغلب علينا مهما كنا شيوخًا.

الأمر الثاني: أننا إذا تناولنا أحد الكتب التي كتبت باللغة العربية في القـرن التاسع عَشر، وهو بالأمس القريب سنجد فيه من الركاكة والضعف الفكـري والعقلي والثقافي ما تجاوزته أجيال ثلاثة عملت في القرن العـشرين علـى نهضة اللغة العربية، سواء أكانت مؤسسات المجامع العربية أم جهود العلماء، أم الجامعات في التعليم والصحافة والثقافة وغير ذلك، نهضت اللغة العربيـة في القرن العشرين بما نفض عنها ضعفَ قـرون متتاليـة سـبقت القـرن

العشرين، وبالرغم من هجمة الاستعمار الشرسة التي استأصلت اللغة العربية من أقطار بأكملها أو كادت تستأصلها مثل الجزائر، وبقاع عديدة في المغرب، استعاد العرب لغتهم وهويتهم وقوميتهم فيما لا يقل عن قرن من الزمان، فالعولمة ينبغي ألا تخيفنا.

الأمر الثالث: وهو أنني وجدت أستاذي وشيخي الدكتور ناصر الدين الأسد يعتبر الشعر الحداثي من محدثات اللغة العربية التي تنذر بعواقب وخيمة، ومهما اختلفنا في مذاهب الأدب ونقده وتذوق الشعر وأدبه، فإن الشعر التقليدي هو الذي يضعف اللغة، وكثير مما نسميه شعرًا حديثًا هو ابتكار في اللغة وتجديد وحيوية سابقة في جسدها ولا ينبغي أن نفقد تعاطفنا مع المبدعين في اللغة؛ لأنهم هم الجناح الثاني الذي يعمل مع العلماء، فالعلماء هم الذين يثبتون قواعد اللغة وأصولها ويؤصلونها، والمبدعون يبتكرون فيها مهما خالفناهم في مذاهبهم، وشكرًا.

الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع:

فات الدكتور صلاح فضل – لأنه لم يكن بيننا بالأمس – ما أشار إليه الدكتور أحمد الضبيب عضو المجمع من السعودية عن تواكل العرب في الحفاظ على اللغة، لأن الآية القرآنية التي تضمنت حفظ الذكر تشير إلى القرآن الكريم وليس إلى اللغة العربية، وهناك فارق كبير بين حفظ الله للذكر، وأن يكون هناك حفاظ للغة العربية، هذا أمر، وذلك أمر، وهذه قضية، وتلك قضية.

الأستاذ الدكتور سلطان أبو علي:

أشكر الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد على هذه المحاضرة القيمة وعلى ما حوت من آثار عميقة، وأوجز ما أود أن أعلق عليه على النحو التالي:

أولاً – بالنسبة للعولمة فإن العولمة قد بدأت في الميدان الاقتصادي، ولكن أصحابها أرادوا أن ترتد إلى الجوانب الثقافية، ومن حُسن الطالع أن هناك مقاومة للعولمة سواءً أكانت في المجال الاقتصادي أو المجال الثقافي، وعلينا – نحن العرب – أن نرفض القول بأن الثقافة معولمة، لأن للثقافة خصوصيتها ويجب أن نؤكد هذا.

وبالنسبة لما ورد في المحاضرة من أن اللغة العربية ليست لغة علم فيكفي أن نذكر هنا أن اليابان لا تتحدث إلا اليابانية، التي يصعب تداولها جدًّا، ولكن حققت تقدمًا كبيرًا.

بالنسبة لكلمة (الشراكة) التي ذكرها الأستاذ المحاضر فأنا أفضل (المشاركة)، المشاركة الأوربية، والشرق أوسطية، وليست العربية، ويعود هذا إلى أن الدول العربية لا تتخذ موقفًا موحدًا فيما بينها، بل ربما تتعارض مصالحها بعضها مع بعض. ومن ثم فضّل الأوربيون، واستجاب لهم العرب أن يتفاوضوا أحاديًّا وليس جماعيًّا، وهذا التدهور الذي يشاهد، وهذه الهجمة الشرسة تعود في المقام الأول إلى تخلفنا اقتصاديًّا، وعلميًّا، وتكنولوجيًّا، ونحتاج إلى نهضة شاملة، ومن بين أسباب هذه النهضة أن يكون بيننا تكامل شامل في المجالات الاقتصادية والثقافية، وشكرًا.

الأستاذ أحمد شفيق الخطيب:

الشيء بالشيء يذكر، الواقع أن الحملة على تعليم العلوم باللغات الأجنبية، كان للقطر المصري نصيب وافر فيها، ولكن في لبنان أيضًا الإرساليات كان لها أيضًا اليد الطولى في ذلك ، كان هناك نوع من التنافس بين الإرساليات اليسوعية والبروتستانتية، واستمر تعليم الطب باللغة العربية في الجامعة الأمريكية بكتبٍ ممتازة، واستمر فيها التعليم باللغة العربية حتى صدر أمرُ تحويلِ التعليم إلى اللغة الإنجليزية من قبل الاستعمار البريطاني فاستقال كثير من الأساتذة، وأخذوا طلابهم وذهبوا إلى الأرثوذكس الذين رحبوا بهم واستمروا حتى خرَّجوا طلابهم، واعترفت الحكومة العثمانية بذلك، فالإرساليات في بلاد الشام كانت متممة إلى حدٍّ ما وموازية للحركة في مصر، وشكرًا.

الأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور:

إن اللغة كائن اجتماعي يخضع لقوانين، فإذا أخذنا بقوانين المحافظة عليها فستشمخ اللغة، وإذا لم نأخذ بهذه القوانين فإنها تضعف ضعفًا يكاد يصل إلى حد الاندثار، وأذكِّر بأن المسلمين في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – هزموا في معركة، لأنهم لم يأخذوا بقوانين الحرب فيها، فقد انتصر المسلمون في موقعة أحد أولاً، لكنهم خالفوا القوانين التي تقام عليها الحروب وخالفوا أمر القيادة فهزموا بعد ذلك، فلا يصح أن نغرق في التفاؤل أو التشاؤم، يجب أن نقف موقفًا مُتَّزِنًا يدفعنا أن نعمل مثل ما يعمل الطبيب فيجب التشخيص أولاً، ثم نضع العلاج المتوالي المتواصل بعد ذلك، وعندئذٍ

نكون على ضمان بأن هذه اللغة التي جاء بها القرآن وحفظها هذه الأعمار الطويلة ستكون أيضًا في منأى من هذه العاديات التي تأتي إليها من الداخل ومن الخارج.

أحب أن أنوه إلى مسألة ربما نتحدث فيها على استحياء وهي مسألة الاستسلام العربي أمام ما يخطط لهذا العالم العربي، نحن نكاد نكون حربًا على أنفسنا، تغيير المناهج لا يتم إلا بقرارات فوقية، ولا يستمع فيه إلى قرارات الأساتذة، وإنما تأتي القرارات في صيغة أوامر لهم فيقال: حوّلْ هذا القسم إلى اللغة الإنجليزية، حوّلْ هذا التعليم إلى اللغة الإنجليزية. وإذا كان أستاذنا الدكتور ناصر الدين الأسد يقول إن بعض الجامعات المصرية في مأمن من هذا الأمر حتى الآن فأنا أذكر الحقيقة، وأقول لحضراتكم بدأت تظهر دراسات في القانون باللغة الإنجليزية، وكذلك في التجارة وغيرها، فلا أدري لماذا لم نتمسك بحماية اللغة، مثل: فرنسا، واليابان، وإسرائيل؟
المسألة الأخرى وهي ما يحدث الآن من ربط العمل باللغة في المجتمعات العربية، فالذي يتعلم بالإنجليزية يجد له مكانًا في العمل، والذي يتعلم بالعربية لا يجد له مكانًا يعمل فيه، وإذا عمل يكون عمله بأقل الرواتب وفي أقل الأماكن الاجتماعية.

الأستاذ الدكتور محمد حسن عبد العزيز:

أخالف ما تفضل به الدكتور صلاح فضل عن المترجمات والمؤلفات الطبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأعتقد أن أستاذي الدكتور محمود حجازي يدعمني في ذلك، فقد وجدنا عشرات من الكتب المترجمة عن الفرنسية والمؤلفة في الطب بمختلف فروعه بالعربية، أتحدى من يقرأ

هذه الكتب أن يجد فيها لحناً أو خطأً أو ركاكة أو غير ذلك، فقد كـــان فـــي المطبعة الأميرية التي تولت طبع هذه الكتب جهاز تصحيح على درجة عالية بالمعرفة بالعربية الفصحى، هذه الكتب مثل عالٍ للغة العلمية فـــي كـــل مـــا يتصل بها من مصطلحات، ومنها كتاب "جراحة الأقسام" للدكتور دُري باشا، ولولا أن الاستعمار البريطاني قضى على هذه المحاولة عند دخوله مـــصر لكان التعليم الآن في الطب في مصر باللغة العربية الفصحى.

الأستاذ الدكتور حسنين محمد ربيع:

بسم الله الرحمن الرحيم، أود أن أقول: ما هي المتغيرات المعاصرة؟ ظهرت المتغيرات المعاصرة نتيجة ثورة المعلومات، وثـــورة التكنولوجيـــا، وثورة الاتصال، والأكثر من ذلك أننا لا نعرف ماذا سيحدث في المـــستقبل، بعد أن وصل الإنسان إلى سطح القمر، بسلطان العلم الـــذي ذكـــره القـــرآن الكريم. إذن علينا أن نعمل من الآن لمواجهة التحديات المستقبلية، وليس فقط تحديات العصر الناتجة عن تلك الثورات، بل التحديات المستقبلية، وأهم مـــا يجب أن نضعه نصب أعيننا، تعظيم العلـــوم المـــستقبلية، مثـــل: الهندســـة الوراثية، وعلوم الليزر، وعلوم الفضاء، وغيرها، فلابد من إعداد ما يتناسب مع مواجهة تلك التحديات بنظرة مستقبلية، فضلاً عـــن مواجهـــة تحـــديات العصر، والعمل على إعلاء شأن اللغة العربية، ولا ننتظـــر حتـــى يعـــيش أولادنا، فيما بعد، ليواجهوا هذه التحديات، ثم نفكر في مواجهة تلك التحديات.

الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي:

ما تفضل به الدكتور صلاح فضل فيه وجهان: حقًّا حـــدثت نهـــضة للغة العربية في العصر الحديث، لأنها دخلت في معترك الحياة المعاصـــرة،

وقد تبسطت وتنازلت، وتيسرت، ولكنني أعترض على قاله عن الكتب الطبية التي ظهرت في القرن التاسع عشر، كما تفــضل الــدكتور محمــد حــسن عبد العزيز، سنة ألف وثمانمئة وتسع وسبعين كان بين يدي كتاب بعنـــوان "تنوير الأذهان" طبع في القاهرة، ونشر في الآستانة، وقيل في مقدمتـــه إنـــه كُتِبَ لطلاب المدارس، لم أجد كتابًا في علوم الأحياء وفي علــوم الاجتمـــاع أفضل من هذا الكتاب حتى الآن، بدليل ما ذكر فيه عن نظرية التطور التـــي أعلنت سنة ألف وثمانمئة وسبع وخمسين، فنحن نجد في هذا الكتاب فــصلاً صحيحًا جدًّا عن الآراء التطورية يخطئ فيها الناس في هذا العصر، وكتبت بلغة سلسة تذكرنا بلغة إخوان الصفا، وهي اللغة المثلى لنشر الثقافة العلمية.

الأستاذ الدكتور محمود فوزي المناوي:

بسم الله الرحمن الرحيم، بالنسبة للكتب الطبية التي ظهرت في القرن التاسع عشر نجد في مقدمة كل كتاب عبارة تنص على أنـــه صـــدر أمـــر الخديوي أو الأمير محمد علي بتكليف بعض رجال الأزهر بمراجعة الكتاب، ويقدم الشكر إليهم في أول الكتاب، هذه واحدة.

الثانية – في كتاب "تقويم النيل" لأمين باشا سامي صدر أمر من محمد علي بإلغاء سفر أحد الشيوخ المرافقين للبعثة؛ لأنه مشغول بمراجعة الكتب الطبية.

الثالثة – هناك أمر من محمد علي إلى إسكندر أفندي مندوبه في الإسكندرية أنه وصل إلى علمنا أن الأطباء الأجانب الذين كلفناهم بتعلم اللغة العربية لكي يتفاهموا مع المرضى المصريين لم يتعلموا اللغة العربية في مدى سنة، وعند سؤالهم قالوا إننا لم نأت لتعلم اللغة العربية، فأصدرنا مرسومنا بطردهم.

الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع:

أود أن أقول إن الدكتور صلاح فضل ناقد أدبي ومهتم باللغة الإبداعية في الكتابة الأدبية ولغة الشعر، ونحن مُجْمِعون على أن لغة الإبداع العربي في القرن التاسع عشر كانت بالشكل الذي وصفه وأشار إليه، أما لغة التأليف العلمي والكتابة العلمية فهذه قضية أخرى.

الأستاذ الدكتور حسن بشير:

لديَّ تعليق وسؤال: في التعليق أقول إن لغة الشعر الجاهلي لها دلالتها البيِّئة في عصر الإبداع، وهي إلماحة مفيدة جدًّا في الدراسات الأدبية والنقدية في تحليل النصوص، ولعل السبب الذي دفع طه حسين وخليل شرف الدين وغيرهما ليقولوا بصعوبة معجم الشعر الجاهلي، هو بعدنا عن البيئة التي قيل فيها النص المستهدف، وانساق وراءها طه حسين في قضية الانتحال. لذا نحن في عصرنا الحديث بعدنا عن تلك البيئة المعالجة ويجب أن تسبق دراستنا الأدبية والنقدية دراسة لغوية جادة للنصوص الأدبية في العصر الجاهلي حتى تنقلنا هذه الدراسة إلى طرفة بن العبد ووصف الناقة، وبيئة عبيد بن الأبرص ووصف القوس.

وبالنسبة لنقد القائلين بنعي اللغة العربية فأعتقد أن النقد كان موفقًا، فالعربية تحيا بجهود أبنائها وحرصهم على حياتها.

وبالنسبة للسؤال حتى يتضح لي الأمر في قصة ترجيح الفصيحة على الفصحى، هل هو خاص بهذه العبارة أو أنه ينطبق على كل فُعْلَى وفَعِيلة مثل عُظْمَى وعظيمة، وكُبْرَى وكبيرة، هل ينطبق عليها هذا في رأي سيادتكم؟

الأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم:

أقترح أن تنشر هذه المحاضرة في الصحف، وأن تُرْسَلَ نسخٌ منها إلى الجامعات، وهذا الموضوع الخطير يجب ألا يقتصر على مؤتمر واحد، بل أرى أن يكون في المجمع هيئة دائمة لرصد مثل هذه الأمور، ومحاولة النظر في حثٍ الآخرين على العمل، كالاتصال بالأحزاب والسياسات وما إلى ذلك.

الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع:

الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد وحده هو المسؤول عما أثارته محاضرته من مداخلات، فهو الذي ارتضى لنفسه هذا الأمر، وهو مطالب الآن بالتعقيب على كل تلك المداخلات، وهو أهل لذلك وأكثر فليتفضل:

الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد:

الشكر الجزيل للأستاذ فاروق شوشة على حسن إدارة هذه الجلسة، وما سبقها من جلسات.

(*) فيما يتصل بدور المغاربة فإنني كنت واضحًا في الصفحة الثانية عشرة من البحث، وليس كل مكتوب ينطق في أثناء العرض، فقلت أنا اقتصرت على مشرقنا العربي، أما حال مغربنا العربي فالعربية فيه وفي البلاد الإفريقية جنوبي الصحراء تحتاج إلى حديث خاص، والدكتور التازي يعلم أنني على وعي بما يحدث في بلادنا في المغرب العربي.

(*) فيما يتصل باللغة العربية ونعيها فإن الاتجاه العام لنعي اللغة العربية غير صحيح، فأمس تمردت على ما يمكن أن يُظَنَّ أنه اتجاه عام، وأشرت إلى ذلك بوضوح، ومن يتابع حديثي من أول اليوم فسيجد أنني مستبشر خيرًا بإذن الله تعالى.

(*) فيما يتعلق بالكتب التي صدرت في عهد محمد علي فقد كانت في العلوم التطبيقية، وبذلك فهي تقاس بما فيها من العلم وبمقياس عصرها، ولا تقاس بعصرنا نحن الآن بعد التطور الذي ظهر حديثًا، ولا يجوز أن نسحب مقاييس العصر في هذا التطور العلمي على ما كان قبل قرنين لا عندنا ولا عند غيرنا بطبيعة الحال، والمقصود بالركاكة كما تفضل الأستاذ الأمين العام هي ركاكة الأسلوب الأدبي، وما يلوح حوله من محسنات لفظية ومعنوية، وقد أشرت إلى هذا في المحاضرة.

(*) فيما يتصل بالشعر الحداثي فأنا لن أتطرق إلى هذا الموضوع فرأيي فيه معروف لحضراتكم.

(*) فيما يتصل بالعولمة فإن الوجه الأبرز والأوضح هو الجانب الاقتصادي، ولكن هل تنكرون أن الاقتصاد هو فكر وثقافة؟ لا شك في ذلك ولا يمكن لدولة أن تتجه إلى الجانب الاقتصادي سواء أكان رأسماليًّا أو اشتراكيًّا أو ما شئت من ذلك، إلا إذا هُيِّئ فكرها لمثل هذا الاتجاه، فالأصل في الاقتصاد هو الفكر والثقافة.

(*) بالنسبة للتحديات المستقبلية، صحيح لابد أن نعنى بها عناية خاصة، لكن أي شيء في المستقبل لا يفهم إلا إذا فهمنا الحاضر بطبيعة الحال.

(*) فيما يتصل بلغة الحاسوب والإنترنت فهو استعمال مجازيّ ولا يمكن أن نتحدث عنها في اللغة العربية، ومع ذلك فليس امرؤ القيس وحده الذي إذا جاء إلى عصرنا فلن يفهم هذه اللغة، فأنا لا أفهمها أيضًا.

(*) فيما يتصل بكلمتي "فصيح وفصحى" فالخاص بها مستويات الأسلوب في اللغة العربية نثرًا وشعرًا، والأصح كلمة فصيح.

وأشكركم جميعًا أشد الشكر وأعمقه، وسأعود إن شاء الله لما كتبت للتصحيح والتنقيح لملاحظات اقتنعت ببعضها، ولكني أحب أن أختم بتقديم اقتراح لي، وهو إعادة نشر الكتب العلمية التي صدرت في زمن محمد علي وبُعيده، ولعل الدكتور المناوي هو أَوْلَى من يشرف على هذا الموضوع، وشكرًا لكم جميعًا.

الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع:

أحب أن أنوِّه بأمرٍ، هو أن الموضوع الذي بدأناه مع الدكتور ناصر الدين الأسد مستمر في الجلسة القادمة من خلال البحث الذي سيلقيه الدكتور محمود السيد، لأن موضوع حديثه هو: "اللغة العربية في مواجهة تحديات العصر" ومعه بحث بعنوان: "علاقة مجمع اللغة العربية بجامعة الدول العربية" للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي.

الأستاذ الدكتور محمود حافظ رئيس المجمع:

الشكر كل الشكر للأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد على محاضرته البالغة القيمة، وهو قمة شامخة من قممنا في اللغة العربية، والإضافات التي قيلت في المداخلات والتي بلغت ست عشرة مداخلة في الواقع أثرت الحديث والمحاضرة، وأكرر الشكر للسادة العلماء أصحاب المداخلات ولجميع الحاضرين وشكرًا جزيلاً لصاحب المحاضرة الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد.



اليوم الثالث

(الجلسة الثانية)

١ – بحث

للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي

عضو المجمع من المغرب

بعنوان:

"علاقة مجمع اللغة العربية بجامعة الدول العربية"

٢ – بحث

للأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد

عضو المجمع المراسل من سورية

بعنوان:

"اللغة العربية في مواجهة تحديات العصر"

٣ – بحث

للأستاذ الدكتور محمد المختار ولداباه

عضو المجمع المراسل من موريتانيا

بعنوان:

"حول ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم"



علاقة مجمع اللغة العربية بجامعة الدول العربية

للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي
عضو المجمع من المغرب

عاش مجمع اللغة العربية نحوًا من اثني عشر عامًا على نشأته، برعاية الوزارة الوصية أعني وزارة المعارف، ولم تكن هناك لأية جهةٍ أخرى في مصر من علاقة بالمجمع...

غير أنه عندما شاهد العالمُ العربي ميلاد جامعة الدول العربية يوم ٢٢ مارس ١٩٤٥ اكتسب مجمع اللغة العربية رعايةً ثانيةً تتمثل في جامعة الدول العربية التي تظلها راية الجامعة، بمعنى أن الجامعة أمست بكيفيةٍ أو بأخرى مسؤولةً عن المجمع، وغدت معنيةً بشؤونه؛ لأنها تشعر بأن هذا المجمع يخدم – بالدرجة الأولى – رسالتها المقدسةَ في العالم العربي.

وكان المجمع من جهته يشعر بأنه أصبح في صدر المرافق الاستراتيجية التي تعتمد عليها الجامعة من أجل تفعيل رسالتها بالكاملِ في هذا العالم العربي. وهكذا أمسى المجمع يحس فعلاً بأنه اكتسب حاميًا قويًّا وازنًا من حماته ودعاته العاملين الصادقين على تحقيق أهدافه...

وغدا كل الذين يهتمون بقطاع اللغة العربية يتطلعون بكل حواسهم إلى جامعة الدول العربية لكي تقف إلى جانبهم في توطيد دعائم اللغة العربية وازدهارها وتقدمها وانتشارها... ولا ننسى ما قامت به الجامعة العربية منذ كانت متمثلةً فيما كان يسمى بالإدارة الثقافية من جهودٍ مشكورةٍ في دعم المشهد الثقافي بمختلف الجهات، فيما كان ينظم من لقاءاتٍ في شتى البلاد

العربية، وفي صدر تلك البلاد المملكة المغربية التي احتضنت منذ صفر عام ١٣٧٩= سبتمبر ١٩٥٩ مجلسَ الجامعة العربية بالدار البيضاء في دورتـه الثانية والثلاثين.

ولعلَّ من الطريف أن نُذكِّر بالتقرير الأدبي الذي أنشأه شعرًا عن هذا اللقاء عبد الله بن يحيى العلوي عضو الوفد اليمني الذي اعتـاد أن يـسجل أعمال المؤتمرات العربية بالنظم، وليس بالنثر، قال من جُملة ما قال:

وافتتح الحفلَ الأميرُ الحسنُ ... وهْوَ فَتًـى مثقَّـف ولَـسِنُ

وارتَجَلَ القولَ وحيًّا العرَبـا ... وناب عن مَلِيكـه ورحَّبَـا

أعقبه الأمين عبد الخـالقْ ... وكان في خِطابـه مُخَـالِقْ

وبعده قَدَّم قَبْـلَ المَغْـرب ... تذكرةً رئيسُ وفْدِ المَغْـرب

وطَالَب التَّعـديلَ لِلميثـاق ... فليس للقديم مِـن خَـلاق!!

وفي صدر تلك التظاهرات التي شاهدتْها المؤتمرُ الثالث للآثار حيث وجدنا العاهل الملك محمد الخامس يستقبل في قصره بدار السلام يوم عيـد العرش ١٨ نوفمبر ١٩٥٩ أعضاء الوفود العربية المشاركة في المؤتمر(١).

وإلى جانب هذه اللقاءات كانت المنظمة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلوم تصدر من حين إلى آخر بعض عيون المؤلفات التي تخـدم قـضايا الفكر والعلم على نحو ما قرأناه عن (الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب) تأليف الدكتور محمد كامل حسن(٢).

---

(١) سجل جامعة الدول العربية الإدارة الثقافية القاهرة ١٩٦١.

(٢) طبع على نفقة حكومة الجمهورية العربية الليبية.

وغير هذا كثير ... مما كان يَـصبُّ فـي دعـم أعمـال المجمـع والاستعانة برجاله في اللقاءات الثقافية الدولية التي كنا نعيشها على مختلـف الصُّعد.

وبهذا نفسر تمثيل المجمع في معظم اللقاءات الثقافيةِ الإقليمية التـي كانت تعتمد على توجيهات الجامعة العربية سواء في المشرق أو المغـرب، وهي الحقيقة التي تنطلق بها سجلات المؤتمرات العلمية والثقافية التي أسهمنا فيها سواء بالقاهرة أو بيروت أو بمدينة فاس.

ولا أنسى شخصيًّا ما بذلتْه الجامعة العربية من تضحيات وتشجيعات في سبيل أن تصبح اللغة العربية لغةً رسميةً في أروقة الأمم المتحدة بمختلف مؤتمراتها العلمية، وخاصة اللقاءات الدولية التي كـان القـسمُ الاقتـصادي (ECOSOC) التابعُ للأمم المتحدة ينظمها حول تنميط الأسماء الجغرافية فـي مختلف العواصم العالمية، وخاصة في اجتماعات نيويورك وجنيف، وغيرهما من المدن الكبرى: أثينا، ومونتريال.

نحن لا ننسى تلك التضحيات التي كانت وراءنا اليوم فـي فـرض استعمال اللغة العربية في شتى أجهزة المؤتمر العالمي للأسماء الجغرافيـة؛ الأمر الذي جعل وفودَ الدول العربية تسهم بعَدَدٍ أكثـر، وبأعمـال مـشرّفة وجعلها من جهةٍ أخرى تُحْبِط مشاريع إسرائيل في سـبيل تهويـد الأسـماء الجغرافية، وطمس معالم الحضور العربي في المنطقة.

إلا أنه، ومع كل تلك الجهود وكلّ التـضحيات، فإننـا نـرى مـن الضروري أن نغتنم فرصة هذا اللقاء الاستثنائي لنعرب عن تطلعاتنـا إلـى جُهُود أكثر من لدن جامعة الدول العربية، لكي يتمكن مجمعنا بالقاهرة مـن

تحقيق أهدافه، أو بالأحرى لكي تسير اللغة العربية سيرًا أكثر، وأوسع وأشمل.

ونرى في صدر هذه التطلعات التي لا نتردد في الكشف عنها، ونحن تحت سقف الجامعة العربية، أن نتناول قضية العلاقة بين المجمع الجهاز التنفيذي في البلاد العربية، وبعبارةٍ أخرى الصلة بين قرارات المجمع، والقرار السياسي لدى الحكومات العربية.

إن المجمع يتوفر على رصيد هائلٍ من المصطلحات والكلمات التي وصل إليها عن طريق دراسات متأنيةٍ، متواليةٍ وعميقة، وصل إلى التوصياتِ بعين الاعتبار.. فبودنا أن تجعل الجامعة العربية في صدر اهتمامها ليس فقط العلاقات السياسية التي تربط الدولَ العربيةَ بعضها ببعض. ليس فقط ما تعيش معه من عراقيل ومشاكل ولكن.. متابعة قرارات المجامع ومتابعة توصياتها على أرض الواقع.

إن الكل يعلم أن قرار الأكاديميات والمجامع في العوالم الأخرى يُعطَى صفة السلطة بمعنى أن القرار عندما يتخذه المجمع أو الأكاديمية، تصادق عليها البرلمانات، وتنفذه الحكومات ويصبح شرعًا معمولاً به، فبودنا ألاّ تبقى قرارات المجمع حبيسة الرفوف!.

إننا نعلق أملاً كبيرًا على أن تتولى الجامعة أمرَ تفعيل قرارات المجمع؛ لأن من شأن هذا التدخل من الجامعة أن يذكر الحكوماتِ العربيةَ بواجبها إزاء اللغة العربية، فلا تطاول ولا تجاوز ولا تسيُّب كذلك على حساب لغتنا العربية.

وأرجو – ونحن على مقربة من هذا الموضوع – أن أذكّر باليوم العالمي للُغة الأم الذي يصادف يوم ٢١ فبراير، أذكِّر بهذا التاريخ لكي تقوم الجامعة العربية بإحيائه كل عام وتخصيص الأحاديث للإشادة باللغةِ العربية ومزاياها ومباهجها ... يوم ٢١ فبراير ينبغي أن تعرفه المدارس والكليات والمعاهد وأن يمسي تاريخاً يشعرُ به كل المواطنين العرب في كل مكان...

الزملاء الأعزاء، أيها الحضور الكريم:

لا بد أن أغتنم فرصة الحديث عن المجمع تحت قبة جامعتنا العربية لإثارة ثلاثة موضوعاتٍ حُبِّب إليَّ أن أعرضها أمامكم.

أولاً– موضوع تحريك الحروف العربية، أعني تشكيلها الذي يظل المشغلة الأولى للمهتمين بترويج اللغة العربية وتسهيل الأخذِ من لدن الكل.

نحن نعلم أن الحروف اللاتينية تحمل معها علاماتِ شكلها، فسهُل بذلك عندهم التخلص من مصاعب النطقِ الصحيحِ بها، بينما ظلت لغتُنا تقف عند المبادرة التاريخية التي قام بها الخليل بن أحمد الفراهيدي – رحمه الله – عندما اخترع أشكالاً لضبط النطق بالكلمةِ العربية...وهكذا أصبحت اللغة العربية حكرًا فقط على الذين يتمكنون من قواعد النحو ويتضلّعون من اللغة، فابتعدتْ بذلك عن المحيطِ الواسعِ الفسيح الذي نريده لها من أجل مواكبة اللغات الأخرى.

إن الكلمة الواحدة من اللغة العربية، إذا لم تشكل وتتحرك، تبقى محتملةً لقراءتها على عشرات الصِّيغ إن لم أقل المئات..!

وقد قدَّم لنا المستشرق الفرنسي المعروف البارون دوسلان DE SLANNE في مقدمته لنشر (كتاب المغرب في بلاد إفريقيا والمغرب)

لأبي عُبيد البكري، قدم لنا نموذجًا في كلمةٍ ترسم هكذا (بـ عـ ر ف) فأكد أن الاحتمالات تتجاوز ثلاثَمئة احتمال متى لم تكن هناك قرينة ... والأمثلة كثيرة في هذا الباب.

فالذي أريد أن أقوله باختصارٍ شديد هو أن الواجب يفرض علينا التفكير جديًّا وسريعًا في قضِية الشكل والتَّحريك، ومن دون ما تأخير.

وفي استطاعتنا لمساعدة الجامعة العربية أن نحمل أصحاب المطابع على الانصياع إلى اقتراحاتنا حول الموضوع حتى نتغلب على هذا المشكل الجوهري الذي يقف حجر عثرة في طريقِ تسهيل مسيرة اللغة العربية.

طَوالَ السنوات الخمس الماضية كنت أرصد ما يكتب عن هذا الموضوع في صحفنا وفي مجالسنا. إن شبابنا وخاصةً منهم الذين يتطلعون إلى انفتاح اللغة العربية على محيطها الاجتماعي يظلون يحاصروننا – نحن أعضاء المجمع – في التركيز على هذا الموضوع من موضوعاتنا اليومية.

أما عن الموضوع الثاني، فهو مشكلة كتابة الأرقام على النحو المزدوج المقلق الذي نراه الآن في بعض البلاد المشرقية؟![*]

إن أبناءنا في بلاد المغرب، وفي بلاد المشرق، كلهم، أي التلاميذ في المغرب والتلاميذ في المشرق يعيشون من الصبح إلى المساء مع الكتابِ الواردِ عليهم من كل جهات العالم، شرقه وغربه، يعيشون مع التلفزة يوميًّا، مع أرقام تحمل في سائر أطراف العالم، من خط جرينيتش إلى الخط المقابل:

(*) د. التازي، نحو معجم عربي يستجيب لمقتضيات العصر، بحث قدم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في مؤتمره لعام ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

خط التاريخ الدولي، يعيشون مع أرقـام تحمـل فـي سـائر الموسـوعات والقواميس العالمية اسم الأرقام العربية (ARABIC – NUMBERS):

9-8-7-6-5-4-3-2-1

ولكن التلاميذ في بعض البلاد المشرقية يجدون عوض تلك الأرقـام أرقامًا أخرى تعرف بالأرقام الهندية. مع العلم أن الهنود كفروا بها وقاطعوها وتبعهم الأتراكُ، بينما بقيتْ عندنا رواسبُ هذه التَّركة المقلقة المُفلسة!.

ليس في نيتي أن أتحدث عن جدوى الاقتصار على هذا النوع مـن الأرقام العربية اليوم[١] ومن ذلك أذكر أمامكم أن الرائد الذي صـعد القَمـرَ نيل أرمسترونج (NEL ARMSTRONG)، وهو زميلنـا فـي أكاديميـة المملكة المغربية، كان يشيد دائمًا بالأرقام العربية مؤكدًا قيمتها العلمية.

ثالثًا– ويدخل في قضية توحيد الأرقام عندي سعينا إلـى أن نعمـل على توحيد ترتيب الحروف الهجائية لتسهيل البحث عن الكلمات، وجعل فترة البحث سواسيةً بين الطالب المغربي والطالب المشرقي.

وإضافةً إلى توحيد ترتيب الحروف الهجائية نسعى إلى توحيد ترتيب الحروف الأبجدية بين أهل المشرق والمغرب للوصول إلـى وحْـدةِ أدائهـا الرقمي، وبالتالي إلى توحيد الرأي الأكاديمي على مسلك واحد.

وقد أدرك ابنُ خلدون ما يؤدي إليـه هـذا الفـرق بـين المغاربـة والمشارقة من ثغراتٍ، فنبه إليه في مقدمته ليكون القارئ على بصيرة[٢].

(1) Georges Ierah: Histoire universitaire des chiffres, Ed. Seghers 1981, P. 299

(٢) مقدمة ابن خلدون، طبع دار الكتاب اللبناني، ص ٢٠٠-٩٠٧.

وبصدد توحيد الرؤى العربية، لا أكتمكم القول هنا: إن الأمم المتحدة وخاصة أقسامها العلمية تستنجد دومًا بالمجامع العربية حتى تُزوِّد هيئة الأمم المتحدة بالمصطلحات المتفق عليها، والوسائلِ التي من شأنها تسهيل المهمة في إبلاغ الرسالة (*).

تلكم هي الهواجس الثلاثة التي رأيت أن أترك أصداءها هنا وأستنجد بالجامعة في تحقيقها:

– أن يعمل الجهاز التنفيذي في الدول العربية على تفعيل توصيات المجامع.

– أن نعمل على تحْريك الحرف العربي وشكله حتى نضمن ترويجه على شكل واسع.

– أن نعمل على الاقتصار على الأرقام العالمية المعروفة بالأرقام العربية.

ونحن، كما نقول مرارًا، نعتبر أن الجامعة العربية تبقى شعارنا في مختلف التجمعات واللقاءات لإبلاغ صوتنا في كل الجهات المهتمة بالحرف العربي لمناصرته وتفعيله وترويجه.

(*) د. التازي: استنجاد الأمم المتحدة بالمجامع اللغوية، بحث قدم للمجمع في دورته السادسة والستين، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

تعقيبات ومداخلات

على بحث

الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي



الأستاذ الدكتور محمود حافظ رئيس المجمع:

شكرًا للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي على البحث القيم فهو مفكر، وعلى العرض الشائق الذي عرضه عن علاقة مجمع اللغة العربية بجامعة الدول العربية، ويطيب لي الآن أن أترك إدارة التعليقات والمداخلات على هذه المحاضرة للزميل الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع فليتفضل:

الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع:

شكرًا سيادة الرئيس، في البداية أريد أن أقول إن الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي وهو يتكلم عن علاقة المجمع باللغة العربية يبدو أن أهل جامعة الدول العربية عرفوا بما سيتكلم فيه، فقبل أن تبدأ هذه الجلسة جاءني رئيس اللجنة الثقافية في الجامعة العربية مرسلاً من السفير محمد الخمليشي الذي تحدث باسم الجامعة في الحفل الافتتاحي نيابة عن السيد عمرو موسى وقال لي: انقل إلى المجمعيين العرب رغبة الجامعة العربية في أن تضع يدها من الآن في أيديهم، وأن تكون مساعدة وداعمة وحافزة للمزيد من النشاط، وخاصة قضية اللغة العربية التي لم تعد قضيتكم وحدكم، وهأنذا أنقل إليكم رسالة الجامعة العربية، ووعدته بأن تكون توصياتنا بعد المؤتمر السنوي – إن شاء الله – متضمنةً لهذا المسعى وهذا الاتجاه؛ لأن العيد الماسي ليس بعده توصيات وإنما بعده إعلان وتركيز على مطلب شديد الأهمية.

الموضوعات شهية، وطالبو الكلام كثيرون، ولذلك نرجو أن تكون المداخلة في إطار ثلاث دقائق.

الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد:

شكرًا سيادة الأمين، كلمة الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي أثارت كثيرًا من الشجن في نفسي ولذلك أرجو أن يأذن لي بأن أتقدم إليه بالتوسع في هذه الكلمة وأن يستوفي بعض ما لم يذكره فيها: أولاً: بالصفحة الأولى ذكرتم أن الجامعة أمست بكيفية أو بأخرى مسؤولة عن المجمع، لكن أن تضع يدها بيد المجمع كما ذكر الآن السيد الأمين العام فهذا تعبير جميل.

أما بالصفحة الثانية فذكرت اسم الدكتور محمد كامل حسن والصحيح الدكتور محمد كامل حسين، واشترك معه الدكتور العقبي في هذا الكتاب، وأصدرا في الوقت نفسه "الحاوي" في الطب للرازي، وكانا يعملان على الكتابين معًا.

أخي الدكتور عبد الهادي تكلّمت عن مؤتمر المجامع العربية الأول الذي عقد في دمشق حين كان الدكتور طه حسين - رحمه الله - رئيسًا للمجمع ورئيسًا للجنة الثقافية الدائمة لجامعة الدول العربية، عقدنا المؤتمر الأول للمجامع اللغوية في دمشق، ونتج عنه قرار بتأليف اتحاد المجامع العربية، وحين عدنا إلى القاهرة أعلن الدكتور طه حسين قيام الاتحاد سنة ١٩٥٧م، فهذه علاقة وثيقة بين المجمع والجامعة العربية.

وأيضًا فيما يتصل بالمصطلحات قام التعاون بين المجمع والجامعة العربية في أمرين:

الأمر الأول: المؤتمرات العلمية المتكررة التي عقدتها الجامعة العربية وكان محركها ومتولي أمرها الدكتور عبد الحليم منتصر - رحمه الله - الذي كان أيضًا عضوًا في مجمع اللغة العربية، وأيضًا تعاونت جامعة الدول العربية مع مكتب تنسيق التعريب، ومع مجمع اللغة العربية في ذلك الأمر.

الأمر الثاني: فيما يتصل بالملاءمة بين الحروف العربية وحروف الطباعة عقدت الجامعة العربية بالتعاون مع المجمع ندوتين وحضرهما كبار أصحاب المطابع وفي مقدمتهم شفيق متري من دار المعارف، وحضرهما بعض الخطاطين وفي مقدمتهم سيد إبراهيم، كل هذا نسيه التاريخ بكل أسف، مع أن أولئك الناس بذلوا جهودًا عظيمة في هذا المجال وغيره، وشكرًا.

الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع:

الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد يتحدث باعتباره شاهدًا على العصر؛ لأن عمله بدأ من الجامعة العربية عندما تمت هذه الأوراق الأولى سنة ١٩٤٥م.

الأستاذ الدكتور محمد محمد بنشريفة:

الزميل الدكتور عبد الهادي التازي أثار مشكلتين: مشكلة ضبط الحروف والكلمات. والمشكلة الثانية هوية الأرقام، وأريد أن أذكره فقط بأن المجمع الموقر أثيرت فيه هذه القضية قديمًا، وتكفّل المجمعي الكبير المرحوم محمود تيمور بمعالجة هذه المشكلة، وكتب فيها كتابًا، لكن هذه المشكلة ظلت بدون حل إلى يومنا هذا. فمن المعروف أن تراثنا المخطوط كله مشكول، وكانت هناك دائمًا مقولات بأن الكتابة المشكولة تسجل، وقد يفهم منها أن المكتوب إليه لا يتقن العربية أو لا يعرفها، ولكن هذه القضية رُدَّت، وقد بيَّنَها محمود تيمور أبلغ بيان في كتابه الذي كتب بأسلوب في غاية الروعة، وقال إنه ينبغي أن نتخلى عن هذه الدعوة، وعن دعوة معرفة العربية. وأوضح أن الحاجة إلى الشكل حاجة ضرورية. وأظن أن ما نسمعه من خطأ لغوي بين المثقفين منشؤه أنهم لم يرجعوا إلى المعاجم؛ فتعودوا أن ينطقوا الكلم كما

يحلو لهم، فهذه القضية قضية الشكل تظل باقيـــة ومطروحـــة، وهـــي مـــن الموضوعات التي لم تحل. وفي المغرب كانت هناك تجربة صدور بعــض الصحف ولاسيما الموجهة إلى برنامج محاربة الأمية، هذه الصحف تــصدر مشكولة لتقرأ في هذا البرنامج. وشكرًا.

الأستاذ فاروق شوشة:

وفي توصيات المجمع، عبر سنوات، كانت هناك توصية بالدعوة إلى أن تكون كل كتب التعليم، وكل الكتب المقررة على المــدارس والجامعـــات مشكولة.

الأستاذ الدكتور صلاح فضل:

نعلم جميعًا أن تراثنا كله مكتوب، وهناك جزء مـــن المخطوطـــات مكتوب بدون نقاط، وهذا يمثل مشكلة لدى المحققين غير المتـــدربين عليـــه، وكانت النتيجة حدوث القطيعة مع التراث فإذا كان كل تراثنـــا حتـــى اليـــوم سيصبح – إذا بدأنا في التشكيل من اليوم – غير مشكول فهذا ينذر بانقطـــاع الأجيال الجديدة عنه، فقد تكون هذه هي العقبة التي يجب أن نتأملها إذا أردنا أن نضع توصية التشكيل لا في الكتب التعليمية فقط بـــل فـــي كـــل الكتـــب الإعلامية والثقافية.

النقطة الثانية متصلة بالأعداد بين الهندية والعربية، ولا أظنها تمثـــل عائقًـــا ضخمًا، لأن التغلب عليها يسير، فكل الناس يعرفون كيف يحولون الأرقـــام الهندية إلى عربية، والعربية إلى هندية. ولكن السؤال المهم يتصل بترتيـــب الحروف الهجائية. بعض المعاجم تجرأت الآن على اللغة العربية بأن ترتب الكلمات طبقًا لنطقها وحروفها بغض النظر عن إعادة المزيد إلـــى صـــيغته المجردة، ما هو موقف مجامعنا العربية من هذا الإجراء؟

الأستاذ الدكتور أحمد الضبيب:

بسم الله الرحمن الرحيم، شكرًا للأستاذ الجليل الدكتور عبد الهادي التازي على هذه المحاضرة القيّمة.

ولديَّ تعليق على قضيتي الشكل والرقم، أما الشكل فسأتحدث فيه، وأما الرقم فسأحيله للأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي فهو الذي سيقول رأيه فيه. وموضوع الشكل في كل الكتب والصحف ربما يكون في هذا الوقت صعبًا جدًّا، لأنه يحتاج إلى جيوش من اللغويين الذين يضبطون الكلمات، ولذلك أعتقد أن تحصيل اللغة العربية لابد أن يكون من خلال التعليم، ولا شيء غير التعليم. فالطفل في المدرسة يجب أن يعطى الجرعات القوية من اللغة العربية سليقيًّا إن استطعنا، وبذلك ستتكون لديه الملكة أو القدرة اللغوية التي تحدث عنها تشومسكي والكامنة في كل منا والتي تسبق المراحل الدراسية، وفي سورية تجربة الدكتور عبد الله الدلال الذي يجعل الطفل عاكفًا على تعرّف اللغة العربية لمدة سنة أو سنتين فيخرج الطفل وقد عرف قواعد اللغة العربية من غير أن يتعلمها، ثم يسهل عليه الأمر في التحصيل الدراسي بعد ذلك. وتحضرني أيضًا مقالة كتبها أحد المدرسين السعوديين الوافدين إلى موريتانيا، وبهذه المناسبة أوجه التحية إلى الأخ الدكتور محمد ولد اباه، فهذا الرجل الذي قضى وقتًا يدرس اللغة العربية في موريتانيا خرج بنتيجة وهي أن موريتانيا خير الدول العربية تدريسًا للغة العربية، والسبب في ذلك أن المعلمين في المدارس يتكلمون بالعربية الفصحى في الفصل؛ ولهذا تتمكن لدى المتعلمين السليقة.

الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد:

بالنسبة للمعاجم الهجائية التي تفضل بها الدكتور صلاح فضل وجدت في المكتبة العربية منذ سنين ونحن لا نعترض عليهـا، لأن لهـا طلابًـا لا يستطيعون استعمال المعجم العربي الفريد الوحيد العظيم في ترتيبه، فهم لـم يدربوا عليه، ويمكن للمعجم الهجائي أن يرد الكلمات إلى جـذورها، فيقـوم بالوظيفتين معًا، والمنجد أصدر طبعة ألفبائية.

بالنسبة للقيم فإن الحضارة الغربية تعد ازدهارًا للحـضارة العربيـة الإسلامية، والحقيقة أن الحضارة العربية عندما زرعت في أوربا ازدهـرت ازدهارًا عظيمًا، وقلت إن الحضارة العربية الإسلامية كانت سمحة في الأخذ، لأنها أخذت من كل الحضارات السابقة؛ لأن الدين للناس كافة، فقواعد الدين هي التي أوجدت خصائص العلم العربي، هذا العلم كان بطبيعـة الإسـلام، وكان العلم الإسلامي متكاملاً بقِيَمِهِ، وذهب إلى أوربا بقيمه، ثم انتزعت منه هذه القيم لخلافات بين الكنيسة ورجال الحكم، وظل هذا الفصل مدة طويلة ثم عادوا في السنين الأخيرة ليتكلموا عن هذه القيم التي فقدوها، وكانت موجودة أصلاً في العلم الإسلامي، فالحضارة الإسلامية كانت سمحة في الأخذ كريمة في العطاء، والعلم في الإسلام أصبح علمًا عالميًّا بفضل الحضارة الإسلامية لأول مرة في التاريخ، أما الحضارات السابقة فقد كانت مخصوصة بقوميتها، أما العلم في الإسلام فكان علمًا عالميًّا.

أما بالنسبة لقضية الأرقام فهي مبنية على فكرة خاطئة، فكلمة عربية وهندية كلمتان مغلوطتان، هناك من ينكر أن هذه الأرقام هنديـة، أو هنديـة الأصل، وكان هناك أرقام تستعمل في المـشرق وأطلـق عليهـا الأرقـام

المشرقية، كما كان هناك أرقام تستعمل في المغرب وأطلق عليها الأرقام المغربية، وهي التي انتقلت إلى أوربا وصورت مع القلم اللاتيني في الكتابة، فأخذت هذا الشكل، وهناك من ينكرون عربيتها، والحقيقة أنها عربية مشكلة، وكل البحوث التي قامت بها جمعية التعريب أثبتت أن الأرقام التي يطلق عليها غربية في واقع الأمر لا تنسجم إطلاقًا مع حروفنا، وهناك شيء مهم وهو أن الناس يبنون أفكارهم على التعصبية، والخطوة التالية الدعوة إلى ترك الحروف العربية إلى الحروف التي يستعملها العالم كله، وهذا هو مكمن الخطورة.

الأستاذ الدكتور رضوان الدبسي:

اسمحوا لي أن أقدِّم إضاءة اطلعت عليها في كتاب "رؤيتي" لصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، ورئيس مجلس الوزراء الذي صدر في نهاية العام الماضي وقال فيه: " كانت اللغة العربية لغة التعليم والعلوم في حضارتنا العربية والإسلامية، فكان لدينا أعظم الأطباء، وأعظم المهندسين، وكنا أساتذة الأساتيذ في العلوم كلها، فمتى تعود لنا هذه السيادة ونحن خير أمة أُخرجت للناس"؟ وأنا الآن أكرر السؤال نفسه متى تعود لنا السيادة؟ أرى أن السعي لتحقيقها هو واجبنا جميعًا، ولذا أرجو ضم ما ورد في مقترحات معالي الدكتور محمود السيد والأساتذة الكرام: الدكتور صلاح فضل، والدكتور أحمد ابن محمد الضبيب، والدكتور عبد الحافظ حلمي إلى توصيات مؤتمركم العتيد.

الأستاذ الدكتور محمود فوزي المناوي:

بسم الله الرحمن الرحيم، في الحقيقة أكرر ثنائي على السيد المحاضر، الدكتور عبد الهادي التازي، فإنه يطلب أن يكون هناك إبداعيون، وفي الوقت الحالي بدأ العالم كله يتحدث عن علم جديد كان موجودًا منذ عهد ابن خلدون وهو علم الإبداع الاجتماعي، وهذا ليس غريبًا، ففي القرى المصرية نجد الفقراء يقومون بعمل ما يشبه بنك الفقراء، وعندما قامت المدرسة الطبية كان هناك إبداع أيضًا، تمثل في الطلبة المترجمين، وكانت الدراسة باللغة العربية.

الأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم:

لقد سمعنا هذا الصباح كثيرًا عن التعريب، وعرفنا أن مقدار ما عُرب قليل جدًّا؛ لذا أقول إن مقدار ما ترجم من العربية إلى اللغات العالمية أقل بقليل مما كان ينبغي، وبعد نجيب محفوظ بدأ العالم يهتم بالأدب العربي، وعلينا أن نفكر في الأعمال التي يجب أن تترجم إلى اللغات العالمية، وأرى أن من واجب المجمع أن يفكر في وضع خطة لدراسة اللغة العربية، وتكون وافية وشاملة، وتترجم بلغة عالية وعميقة وينشرها ناشر عالمي، والدليل على قلة الأعمال العربية المترجمة أن ترجمة معاني القرآن كانت تنشر نشرًا محليًّا ولا نجدها إلا في المساجد الأوربية، وإذا ذهبنا إلى المكتبات العالمية لا نجد إلا كتب اليهود التي ترجمت ونشرت نشرًا عالميًّا.

الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع:

أشكر جميع الإخوة الزملاء الذين تفضلوا بالمداخلات، وفي الوقت نفسه أعتذر باسمكم جميعًا للإخوة الزملاء الذين يودون التعقيب، ولكن الوقت

لا يسمح لهم، حتى نعطي الفرصة للأستاذ المحاضر في الرد على أهم ما جاء في تلك المداخلات.

الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي:

شكرًا سيدي الأمين العام، أرجو أن أنوه بجميع الزملاء الذين تفضلوا بالمداخلات القيمة، وسأعمل بكل ما سمعته من توجيهات ونصائح فيما يتصل بإكمال البحث أو إعادة النظر في بعض النقاط، وأرجو أن أتوجه بالتنبيه حول مسألة الشكل، وأود أن أذكر لكم حدثًا عشته وأنا سفير بإيران أن الشاه ذات يوم نزل عليه وحيه بتبديل الحروف العربية التي تكتب بها اللغة الفارسية لتكون حروفًا لاتينية مثل ما فعلت تركيا، وأكمل الدراسات كلها، وبقي عليه أن يسأل رأي المستشرق ماسينيون، وأحضره من باريس ليستشيره في الموضوع، فقال له إياك أن تضيع بلادك من شرف عظيم اكتسبته، وفي جمال كبير تكتسبه لهذه الحروف العربية، وأمام إصرار ماسينيون على التمسك بالحروف العربية للغة الفارسية استجاب الشاه لرأيه، وهذا رد على ما تفضل به الدكتور عبد الحافظ حلمي، في أنه عودنا أن يستمع لرأي تلامذته في أشكال الأرقام العربية، وأرجو أن أقول أمامكم إن المغرب بصفة خاصة في شخصية العلامة الطبيب ابن الياسمين كتب بالأرقام العربية، وأغتنم هذه الفرصة لأقول إن الأرقام التي تسمونها أجنبية هي أرقام عربية.

اللغة العربية في مواجهة تحديات العصر

للأستاذ الدكتور محمود أحمد السيّد
عضو المجمع المراسل من سورية

بسم الله الرحمن الرحيم، في البداية لابد لي أن أقدم شكرًا وتهنئة ومعذرة، الشكر لمجمع اللغة العربية ولسيادة رئيس المجمع على دعوتكم الكريمة لحضور هذا الحفل، والتهنئة بمناسبة العيد الماسي لمجمع اللغة العربية، والمعذرة إذا كنتُ لن أتقيد بما كتب في هذه المحاضرة وإنما سأعمل على التلخيص تارة، وعلى إضافة ما يقتضيه المكان تارة أخرى.

موضوع البحث

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف بعضًا من تحديات العصر الذي نحيا تحت ظلاله، وانعكاسات هذه التحديات على لغتنا العربية، لنقف أخيرًا على سبل مواجهة هذه التحديات.

أولاً– سمات العصر وتحدياته

إن العصر الذي نحيا تحت ظلاله يتسم بسمات متعددة منها أنه عصر العولمة وهيمنة الأقوياء على الضعفاء، وهو عصر العلم والتقانة والمعلوماتية، وعصر التغيرات السريعة، وهو عصر الوظيفية والنفعية والاجتياح المادي وانحسار القيم المعنوية، والتفكير المنظومي الشامل... إلخ. وسنحاول فيما يأتي تبيان هذه السمات وتحدياتها على واقعنا اللغوي.

١- **عصر العلم والتقانة والمعلوماتية:** يجري في عصرنا غزو الفضاء واقتحام المحيطات وسبر أغوارها، واستخدام الإلكترونيات وسرعة

الاتصال والانتقال، وظهور أنماط جديدة من الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية.

ومفتاح الحضارة الحديثة في عصر المعلوماتية التعدد والتنوع والمرونة والقدرة على التركيب، والعقل البشري هو العنصر الحاكم في ثورة الإلكترون والمعلوماتية والإنترنت بعد أن كان البخار ورأس المال حاكمين للثورة الصناعية الأولى، وبعد أن كانت الطاقة والإدارة الحديثة حاكمين للثورة الصناعية الثانية.

وعلى الرغم من أن عدد الناطقين بالعربية يقدر بحوالي ٣٠٠ مليون نسمة (ما يعادل ٤,٧% من سكان العالم) إلا أن نسبة مستخدمي الشابكة "الإنترنت" من العرب لا تزيد على ١,٤%. ومعظم هؤلاء المستخدمين العرب للشابكة يتعاملون مع مواقع غير عربية وخاصة إنجليزية وفرنسية(*).

وتجدر الإشارة إلى أن ضعف النفاذ إلى الشابكة "الإنترنت" في مؤسسات القطاعين العام والخاص ولدى الأفراد قد تسبب في التأخر لدخول عصر المعلومات. يضاف إلى ذلك المشكلات الاجتماعية مثل الفقر والأمية وتدني مستوى التعليم وضمور الثقافية العلمية والتقانية "التكنولوجية"، وعدم وجود حماية فكرية للنشر الإلكتروني، وقلة التطبيقات الإلكترونية العربية، مثل الحكومة الإلكترونية والتعليم الإلكتروني والتجارة الإلكترونية.

(*) الدكتور منصور فرح- الفجوة الرقمية في المجتمع العربي وأثرها على اللغة العربية - مجمع اللغة العربية بدمشق - المؤتمر السنوي الخامس "اللغة العربية في عصر المعلوماتية" دمشق ٢٠٠٦ ص٣.

ولا تستخدم اللغة العربية في البرمجيات المطورة محليًّا بسبب ضعف الطلب عليها، وتعاني صناعة البرمجيات العربية من نقص مقوّمات الاستمرار بسبب الاعتماد عمومًا على الحلول الجاهزة، ولا تتجاوز نسبة مواقع "الويب" العربية ١% من المواقع العالمية، ويعود ذلك إلى عدم إمكان تطوير البرمجيات بأدوات تدعم اللغة العربية، وإلى نقص الأطر البشرية المؤهلة القادرة على التعامل مع اللغة الإنجليزية والعربية. ويسمح تطوير المحتوى الرقمي العربي بالانتقال من مجتمع عربي مستهلك للتقانة الأجنبية إلى مجتمع فاعل منتج لها، ومحافظ على هويته وانتمائه(*).

٢- **عصر العولمة:** إذا كان للعولمة جانب مضيء يتمثل في انفتاح المجتمعات بعضها على بعض، والتبادل الثقافي، وتحول العالم إلى قرية كونية واحدة فإن لها جانبًا مظلمًا يتمثل في هيمنة الأقوياء على الضعفاء هيمنة اقتصادية وثقافية وسياسية، إذ لا مكان في هذا العالم إلا للأقوياء في معرفتهم واقتصادهم حتى بات الأغنياء يزدادون غنى في الوقت الذي أضحى فيه الفقراء يزدادون فقرًا. فثقافة الأقوياء هي التي تجتاح العالم وتؤثر في ثقافات الشعوب الأخرى وفي لغاتها، وتؤثر في الذاتية الثقافية لهذه الشعوب، فتعمل على خلخلة الانتماء، وتصاب هذه المجتمعات بالانبهار أمام الثقافات القوية الغازية، وهذا ما يساعد على تقويض أركان التماسك الاجتماعي وتنمية الفردية، وضعف الولاء للمجتمع، وإضعاف

(*) الدكتور محمد نوار العوا – مؤشرات قياس الفجوة الرقمية في المجتمعات العربية- مجمع اللغة العربية بدمشق- المؤتمر السنوي الخامس "اللغة العربية في عصر المعلوماتية" دمشق ٢٠٠٦ ص٩.

الانتماء للتراث الحضاري وتوسع قاعدة الاغتراب. وبغية استمرارية الهيمنة تحاول العولمة ابتعاث كل القيم السلبية التي تفتت بنية المجتمع، وتعمل في الوقت نفسه على وأد كل القيم الإيجابية التي تعمل على تقدم المجتمع وارتقائه[1].

ومع توسع شبكة الإنترنت ووسائل الاتصال الرقمية المختلفة أخذت العولمة أبعادًا جديدة جعلت الدول الغنية تحكم سيطرتها على الدول النامية من خلال ما بات يعرف بالاقتصاد المبني على المعرفة، إذ أصبحت المعرفة هي الثروة الحقيقة، ولم تعد الثروات المادية الطبيعية فقط هي معيار الغنى والتقدم.

وبات الاختلاف في ظلال العولمة كبيرًا بين الدول التي تستطيع أن تقدم التقانات وتلك التي لا تستطيعها، وبين الشركات والمستهلكين القادرين على التمتع بمزايا عصر المعلومات، وهؤلاء الأشخاص الذين ينتظرون استخدامها، وتمثل الفرق أيضًا بين الأشخاص الأغنياء الذين يملكون المعلومات وغيرهم من الفقراء غير الناطقين بالإنجليزية والذين لا يستطيعون النفاذ إلى تلك المعلومات. وتجدر الإشارة إلى أن ٨٠٪ من صفحات الموقع المتوافرة على شبكة " الويب Web " مكتوبة باللغة الإنجليزية، وهذا مؤشر من شأنه أن يعوق نفاذ غير الناطقين بالإنجليزية إليها[2].

---

(١) الدكتور محمود أحمد السيّد – في الأداء اللغوي– وزارة الثقافة السورية دمشق ٢٠٠٥ ص ١٥.

(٢) الدكتور منصور فرح– الفجوة الرقمية في المجتمع العربي وأثرها على اللغة العربية– مجمع اللغة العربية بدمشق – المؤتمر السنوي الخامس "اللغة العربية في عصر المعلوماتية" دمشق ٢٠٠٦ص٢.

٣- **عصر التغيرات السريعة:** من سمات هذا العصر سرعة التغيرات المتلاحقة فيه، وهذه التغيرات شملت مختلف جوانب الحياة، وإذا كانت التغيرات من قبل تتسم بأنها بطيئة فإنها في عصرنا الحالي تتسم بالتبدل المفاجئ، والمعارف تتفجر في هذا العصر بصورة لا مثيل لها، حتى إن المعرفة تتضاعف في حدود عدة أشهر بعد أن كانت تحتاج إلى مئات السنوات من قبل حتى تتضاعف وتتفجر.

و"اللغة مادامت مرافقة للأحياء الذين يتكلمونها تخضع لهذه التبدلات والتغيرات وسلامة اللغة في تطورها ومواكبتها لروح العصر، فهي كائن يخضع لناموس الارتقاء والنمو، ولا بد من توالي الدثور والتوليد فيها أراد أصحابها ذلك أم لم يريدوا، وإن أي لغة في تغير مستمر في أصواتها وتراكيبها وعناصرها وصيغها ومعانيها وإن اختلفت سرعة التغير فيها من فترة زمنية إلى أخرى فهي موجودة على كل حال"(*).

ولغتنا العربية شأنها شأن سائر اللغات كانت في حركة دائبة، إذ إنها لم تعرف الركود في مسيرتها إلا في عصر الانحدار، فاستطاعت في الجاهلية أن تعبر عن تجارب أصحابها، وعندما ظهر الإسلام بمفاهيمه الجديدة استطاعت أن تتمثل هذه المفاهيم، وأن تعبر عنها أيما تعبير. فهي لغة مرنة مطواعة، عبرت عن حاجات العصر الجديد واتجاهاته، فازدادت مفرداتها غنى بالوضع تارة وبالاشتقاق تارة أخرى، وتنوعت أساليبها وفق

(*) الدكتور محمود أحمد السيّد – في طرائق تدريس اللغة العربية- جامعة دمشق ٢٠٠٤ ص٢٣٧.

مقتضيات العصر، فظهرت مصطلحات جديدة اقتضتها طبيعة العصر في ميادين المعرفة كلها من فلسفة وطب وعلوم ورياضيات ... إلخ.

٤- **عصر الاجتياح المادي:** ولقد سادت في ظلال العولمة لغة المصالح حتى بات ينطبق على عصرنا قول شاعرنا العربي:

حيّاك من لم تكن ترجو تحيتَه

لولا المصالح ما حيَّاك إنسانُ

وانحسرت القيم المعنوية لصالح القيم المادية، وتجمدت العواطف، وتحجرت المشاعر.

وعلى الرغم من التقدم الذي أحرزه الإنسان في اكتشاف كبد السماء وسبر أغوار المحيطات، وإيقاد ثورات التقانة البيولوجية والمعلوماتية والسيطرة على البيئة، إلا أنه لم يستطع أن يعيش على الأرض إنسانًا بكل ما تحمل كلمة إنسان من معنى وقيم. فها هي ذي حقوق الإنسان تنتهك، وها هي ذي شريعة الغاب تسيطر على الصعيد العالمي، وآلاف الأطفال يموتون يوميًّا بسبب الجوع والمرض إضافة إلى جحافل الأميين من الصغار والكبار، وإلى جحافل العاطلين عن العمل، وإلى انتشار أمراض الإيدز والمخدرات والعنف واستغلال الأطفال وتَشْيِئةِ الإنسان وتَسْليعه وسيرورة قيم الاستهلاك.

إن عالمًا تلك هي حالته يحتاج إلى تعزيز القيم الإنسانية فيه والعمل على سيرورتها وانتشارها ودعمها على مختلف الصعد. وتراثنا العربي غني وزاخر بهذه القيم التي تعبر عنها لغتنا العربية، فخير الناس أنفعهم للناس، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده كما جاء في الحديث الشريف.

٥- **عصر النفعية والوظيفية:** وتتمثل هذه السمة في أن كل ما يتعلمه المرء ينبغي له أن يؤدي وظيفة لصاحبه في الحياة التي يتفاعل معها، ويلبي له حاجاته ومتطلباته، ومن هنا كان ثمة ربط بين الجانبين النظري والعملي وكان ثمه اهتمام بالجوانب التطبيقية والسلوكية في الحياة.

وهذا المنحى شق طريقة على الصعيد العالمي، فتخلصت المناهج التربوية في الأعم الأغلب من الحشو والتكرار ومن الأمور التي لا تفيد في واقع الحياة.

وأمتنا العربية كانت سباقة في تطبيق المنهج الوظيفي والنفعية الاجتماعية، ففي الدعاء: "اللهم علّمني ما ينفعني، وانفعني بما علمتني"، والعلم كما يقول ابن عبد ربه: علم حمل وعلم استعمل. ولكي يكون العلم جديرًا باسمه كان لا بد أن ينتقل من مرحلة التحصيل إلى مرحلة التطبيق العملي ذلك لأن الفعل وديناميته لا العلم المجرد في ثباته وسكونه هو حجر الزاوية في البناء الإنساني من وجهة النظر العربية. وقد انعكس هذا المنحنى في اللغة العربية وطرائق بنائها، فهي تبدأ الجملة بالفعل وتعقب عليه بالفاعل. على خلاف اللغات الأوربية التي تبدأ جملتها بالفاعل ثم تلحقه بالفعل(*).

واهتم "ابن خلدون" بالناحية التطبيقية في اكتساب العلم، إذ ليس المهم معرفة القواعد والقوانين والمصطلحات في حد ذاتها، وإنما المهم القدرة على استخدامها والاستفادة منها عمليًّا، فقد فرَّق بين صناعة اللغة التي تكون

(*) الدكتور محمود أحمد السيّد – في قضايا التربية المعاصرة – دار الندوة – دمشق ١٩٩٢ ص ١٥.

قواعدها وقوانينها واصطلاحاتها وبين ملكة اللغة إذ يقول: "والشخص الـذي يستوعب هذه القواعد والمصطلحات دون أن يطبقهـا عمليًّـا يكـون مثـل الشخص الذي يتقن صناعة من الصناعات علمًا، ولا يكون له أي دراية بهذه الصناعات عمليًّا[(١)].

٦- **عصر التفكير المنظومي:** ويقوم التفكير المنظومي على أساس أن النظام أو المنظومة "System " يتكون من مجموعة من الأجـزاء أو المكونـات التي ترتبط فيما بينها ارتباطًا عضويًّا وثيقًا، بحيث يؤثر كل منهـا فـي غيره ويتأثر به. وفي دراسة أي نظام لا بد من التركيز على:

أ- مكونات هذا النظام.

ب- العلاقة الوطيدة التي تربط بين هذه المكونات.

ج- العوامل الخارجية التي تؤثر في هذا النظام، وترتبط بغيره مـن النظم الأخرى في إطار نظام أكثر شمولاً واتساعًا[(٢)].

وفي ضوء هذا المفهوم ينظر إلى اللغة على أنها "نظـام" لا تـشتمل على اللغة المنطوق بها وحدها، ولا على اللغة المكتوبة وحدها، وإنما تشمل بالإضافة إليهما الإشارات والإيماءات وأسارير الوجه التي تـصاحب عـادة سلوك الكلام وجميع صور التعبير.

---

(١) ابن خلدون – المقدمة.

(٢) الدكتور محمود أحمد السيِّد – اللغة مركز الدراسات الإنسانية- مجمع اللغة العربيـة بدمشق- المؤتمر الخامس "اللغة العربية في عـصر المعلوماتيـة"- دمـشق ٢٠٠٦ ص ٢٠.

وينظر إلى القواعد النحوية على أنها نظام فلا تقتصر على ضبط أواخر الكلمات والبنية الداخلية للكلمة وما طرأ عليها من تغيرات في أحوالها المختلفة، وإنما تجاوزت هذا المفهوم إلى التراكيب وبنى الجمل الفرعية والأساسية والمعاني والأصوات، ذلك لأن تغيير الحركات الإعرابية والصيغ والأبنية يؤدي إلى تغيير في المعنى. والمعنى هو تتويج لهذه المكونات كافة.

ثانيًا- اللغة العربية في ضوء تحديات العصر

إن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يمر بها الوطن العربي من جهة وسرعة التغيرات في عصر المعلوماتية والعولمة من جهة ثانية، تظهران اللغة العربية وكأنها عاجزة عن مواكبة التطور، في الوقت الذي نرى فيه أن المشكلة لا ترجع إلى اللغة العربية وإنما إلى الجمود الفكري لبعض المنظرين الذين يتمسكون بالشكل على حساب المضمون من جهة، وإلى ضعف الانتماء القومي من جهة ثانية. واللغة هي رمز للكيان القومي وعنوان للشخصية ومعبرة عن الهوية، ولو كان هذا الانتماء متوافرًا بجدارة لدفع أبناء الأمة إلى توليد المعرفة بلغتهم الأم وتوسيع المحتوى الرقمي كما يحدث في اللغات الأخرى.

إن الخطر المؤثر في اللغة العربية في ظلال العولمة يأتي من تهميشها تدريجيًّا مع الزمن لصالح الإنجليزية على أن الأخيرة هي لغة عمل وتواصل على جميع الصعد بدءًا بالنشر العلمي وتبادل الخبرات التقانية "التكنولوجية" مرورًا بالتعليم العالي والتجارة والصناعة وغيرها، وصولاً إلى

التعليم الأساسي، وهذا يعني ضمور اللغة العربية واستخدامها في مجالات تقليدية محددة، وقد يزداد دور اللهجات العامية في تأثيرها على الفصيحة فتغدو لغات مستقلة عن بعضها، وقد تنضم العربية إلى اللغات الأخرى المهمشة على الرغم من أنها لغة العقيدة والحضارة والعراقة والأصالة.

ومن الملاحظ أن الأجيال العربية الصاعدة ترى في إتقان العربية صعوبة، كما ترى أن الجهد التطويري في إدخال اللغة العربية في نظم المعلومات غير كافٍ، ويقتصر على الاستيعاب السطحي؛ إذ إن ثمة شحًّا في محتواها الرقمي، وعدم توافر الأدوات المعلوماتية الملائمة للبحث والتنقيب فيها، وغير ذلك من العوائق التي تزداد يومًا بعد يوم. ونحن نرى اليوم بلدانًا عربية تتوجه نحو اللغات الأجنبية في التعليم العالي وخاصة في الفروع العلمية والتقانية "التكنولوجية"، بعد أن كان من توصيات وزراء الصحة العرب ووزراء التعليم العالي في الثمانينيات أن يكون عام ٢٠٠٠ هو عام الانتهاء من التعريب في الجامعات العربية. وما دام أرباب العولمة يرومون وأد كل القيم الإيجابية التي تعمل على تقدم مجتمعنا العربي وإيقاظ كل القيم السلبية التي تفتت بنيته، وما دامت اللغة العربية توحد بين أبناء الأمة العربية، وفي وحدة العرب قوة لهم، كانت هذه اللغة هدف سهامهم، فعملوا على تفتيت هذا الرابط بطرق إحياء العامية من جهة، على أن العامية عامل تفريق، في حين أن الفصيحة عامل توحيد، فإذا العامية تسري على الألسنة والأقلام في المسلسلات التلفزيونية والقنوات الفضائية. ومن جهة أخرى عمدوا إلى وصم لغتنا الفصيحة بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر وبأنها لغة البداوة وليست لغة العلم والتقانة، وأنه إذا أراد أبناء العروبة أن يواكبوا

روح العصر فما عليهم إلا أن يستخدموا اللغة الإنجليزية، وهذا ما جنحت إليه أغلب جامعات وطننا العربي، وما نراه ماثلاً على ألسنة المندوبين العرب في المحافل الدولية على الرغم من أن العربية معتمدة لغة رسمية في هذه المحافل، وهذا ما نراه ظاهرًا أيضًا على واجهات المحال التجارية وفي اللافتات والإعلانات. كما نرى الأقوام الأخرى وعلى الأرض العربية تتحدث بلغتها وبالإنجليزية ولا يعملون على تعلم لغتنا ما داموا يقضون حاجاتهم ومتطلباتهم في منأى عنها، حتى بات العربي غريب اللسان على أرضه في بعض أرجاء وطننا العربي، وغدا التدريس بالإنجليزية في بعض جامعات وطننا العربي في الوقت الذي كان فيه الأمريكان يدرسون باللغة العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت إبان افتتاحها!.

وتجدر الإشارة إلى أن لغتنا العربية تعاني النقص في الدراسات العلمية التي تتناول تيسير تعلمها وتعليمها، كما تعاني النقص في حصر الرصيد اللغوي بالأساليب العلمية، والنقص في الكشف عن الفعالية النسبية لطرائق تعليمها وأساليب تقويم مهاراتها، والنقص في استخدام التقنيات التربوية في عمليتي تعليمها وتعلمها، والنقص في البرامج الخاصة بالأطفال والمنجزة بالعربية الميسرة والملائمة.

ولا بد من الإشارة أيضًا إلى أن ثمة نفرًا من اللغويين العرب يظنون أنهم في تشددهم اللغوي على حق فلا يقبلون إلا ما ورد في المعاجم القديمة إنما يحافظون على سلامة اللغة وتطورها، ولكن فاتهم أن يقروا بأن اللغة العربية أوسع من معاجمها، وأن سلامة اللغة لا تكون في الجمود، وإنما في

الاحتفاظ بأصول اللغة وقواعدها ونظامها ثم في تعبيرها عن حاجات العصر ومتطلباته. ورحم الله الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة إذ يقول: "والذين يريدون المحافظة على اللغة فيرفضون كل جديد، مثلهم كمثل الذي يريد أن يحافظ على جمال الأزهار وطيب رائحتها بوضعها في خزائن حديدية، فتؤدي تلك المحافظة إلى ذبولها. والمحافظة الصحيحة على الكائنات الحية لا تكون إلا بتطويرها وجعلها مطابقة للبيئة التي تعيش فيها"(*).

ثالثًا– من سبل مواجهة التحديات

من السبل التي علينا أن نسلكها في مجالات لغتنا العربية بغية مواجهة التحديات:

١– **تعزيز الانتماء:** إن الحفاظ على الهوية والذاتية الثقافية للأمة واجب مقدس في عصر العولمة. ولغتنا هي رمز كياننا وعنوان شخصيتنا العربية وهويتنا الثقافية، إلا أن ذلك كله لا ينفي أهمية الانفتاح على الثقافات الأخرى في جو من العقلنة، وذلك لأن الحفاظ على الهوية لا يعني الجمود بل هو عملية تتيح للمجتمع أن يتطور ويتغير دون أن يفقد هويته الأصلية، وأن يتقبل التغيير دون أن يغترب فيه: إنه التفاعل بين

(*) الدكتور محمد كامل حسين– اللغة العربية المعاصرة – دار المعارف بمصر– القاهرة ١٩٧٦ س٤.

الأصالة والمعاصرة، وبين الإيجابي البنّاء في تراثنا والبنّاء الإيجابي من الثقافات الأخرى بما يتفق ومناخنا وأرضنا في جو من الندية، وفي منأى عن الدونية والانبهار والاستلاب، مقتدين بأجدادنا إبان التألق الحضاري لأمتنا. إن غرس الاعتزاز بلغتنا العربية في نفوس الجيل تخليصًا له من عقدة التصاغر تجاه اللغات الأجنبية وثقافتها وقيمها لا بد من أخذه بالحسبان في نهضتنا.

٢- **تنشيط اللغة العربية في المعلوماتية:** لما كان المحتوى العربي على الشابكة "الإنترنت" ضئيلاً، إذ لا تتجاوز مواقع "الويب" العربية ١٪ من المواقع العالمية كما سبقت الإشارة إليه من قبلُ، وكان ثمة ضعف في الإلمام باللغة الإنجليزية على صعيد الوطن العربي، إذ إن ٨٠٪ من صفحات الموقع المتوافرة على شبكة الويب مكتوبة باللغة الإنجليزية، وهذا ما يعوق نفاذ غير الناطقين بالإنجليزية إليها، كان لا بد من العمل على زيادة المحتوى العربي الرقمي على الشابكة "الإنترنت" مثل المواقع التعليمية والإعلامية والثقافية والمكتبات الإلكترونية بالعربية ... إلخ.

ويتطلب ذلك تطوير أدوات البحث عن المعلومات باللغة العربية "محركات البحث" ووضع ذخيرة المعرفة العربية إلكترونيًّا على الشابكة ودعم المصطلح العربي، ودعم مشروعات التحليل الصرفي الإعرابي والدلالي، وتعريب البرمجيات العالمية، وتأكيد استخدام اللغة العربية في البرمجيات الحكومية والإدارية وإيجاد الأدوات المناسبة لتطوير المحتوى، وتشجيع البحوث المتخصصة باللغة العربية "تركيب الكلام، تعرف الكلام، تعرف

الكتابة" أو الترجمة الآلية ومعالجة اللغة العربية الطبيعية وتطوير الأسماء العربية للنطاقات، ذلك لأن تطوير محركات البحث باللغة العربية يسمح بتسهيل الوصول إلى مصادر المعلومات، كما يتيح بناء مواقع "ويب" تفاعلية باللغة العربية إلى زيادة الاهتمام بالشابكة "الإنترنت" ورفع نسبة الانتشار وزيادة عدد المستخدمين، ويمكن بالاعتماد على العربية تطوير برمجيات الخدمة الحكومية الإلكترونية، وتسهيل التواصل بين الأفراد، ولا يمكن إغفال دور اللغة العربية في منصات التعليم الإلكتروني التي تسمح للطلاب بالتواصل بلغتهم الأم.

ويتطلب ذلك دعم مشروعات توحيد المصطلحات العربية المعلوماتية لما لها من أثر في تسهيل تواصل الأفراد والباحثين العاملين في هذا الميدان، كما يتطلب اعتماد مؤشرات قياس خاصة باستخدام اللغة العربية في تقانة المعلومات والاتصالات وإنشاء مرصد لمتابعتها مثل:

أ- عدد المصطلحات العربية الجديدة المعتمدة.

ب- عدد الكتب العربية التقنية "ترجمة وتأليفاً".

ج- عدد المواقع باللغة العربية.

د- عدد البحوث الخاصة باللغة العربية (*).

(*) الدكتور منصور فرح- الفجوة الرقمية في المجتمع العربي وأثرها على اللغة العربية- مجمع اللغة العربية بدمشق - المؤتمر السنوي الخامس "اللغة العربية في عصر المعلوماتية" دمشق ٢٠٠٦ ص ١٣.

كما يتطلب تأهيل الأطر البشرية بالمعلوماتية إضافة إلى التأهيل اللغوي في الوقت نفسه، ذلك لأن ردم الفجوة الرقمية يتطلب:

أ- تطوير اللغة العربية.

ب- تطوير التعليم والتعلم باللغة العربية.

ج- بناء صناعة المحتوى الرقمي العربي.

د- تمكن استخدام الشابكة "الإنترنت" بالعربية.

هـ- الاعتماد على المشاركة المفتوحة لتطوير العربية ونشرها(١).

٣- دعم مسيرة التعريب: غني عن البيان أنه لا يتم فكر من غير لغة ذاتية له، ولا علم دون لغة تعبير ذاتية له، ويبقى الفكر العربي ناقصًا وغريبًا إذا لم يقرأ ويكتب ويفكر فيه بالعربية. ومن هنا كانت قضية التعريب تنبع من مستويات متعددة (٢).

- فالتعريب من الجانب القومي ضرورة قومية لأن اللغة مقوم أساسي من مقومات الوحدة.

- والتعريب من الجانب التربوي ضرورة حياتية وعلمية؛ لأن المرء يفهم بلغته الأم أكثر مما يفهم بأي لغة أخرى.

---

(١) الدكتور منصور فرح- الفجوة الرقمية في المجتمع العربي وأثرها على اللغة العربية- مجمع اللغة العربية بدمشق - المؤتمر السنوي الخامس "اللغة العربية في عصر المعلوماتية" دمشق ٢٠٠٦ ص٨ .

(٢) الدكتور محمود أحمد السيد - في قضايا التعريب - مطبعة العجلوني - دمشق ٢٠٠٢ ص٥.

– والتعريب من زاوية الأمن الثقافي ضرورة لإيقاظ الوعي بالغزو الفكري والتبعية الأجنبية المتزايدة.

– والتعريب من ناحية الإبداع والابتكار ضــرورة للانتقــال مــن استهلاك الأشياء إلى صنعها، ومن ثم منحها الاسم العربي.

– واللغة العربية أولاً وأخيرًا لغة العقيدة، لغة القــرآن الكــريم، ولا يمكن فهم الدين فهمًا صحيحًا لا لبس فيه ولا غموض من غير إتقان اللغــة العربية، اللسان العربي المبين الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم – صلى الله عليه وسلم– آية لنبوته، وتأييدًا لدعوته ودستورًا لأمته. ولغتنا العربية بما تتسم به من سمات الاشتقاق والمجــاز والتعريــب مهيأة لمواكبة روح العصر إذ إن ما تمتاز به من غزارة الاشــتقاق وفــيض التصريف في أفعالها وأسمائها جعلها تستوعب مصطلحات جديدة من غير أن تنزل عن أصولها وقواعدها ونظامها، ثم في تعبيرها عن حاجــات العــصر ومتطلباته.

وتنشيط الترجمة من العربية وإليها من اللغات الأخرى من الأهميــة بمكان؛ ذلك لأن ما ترجم إلى اللغة العربية نسبة ضئيلة جدًّا؛ إذ إن ما ترجم من كتب منذ عهد المأمون حتى يومنا هذا لا يزيد على ١٠٠,٠٠٠ كتــاب، ويقارب هذا الرقم ما تترجمه إسبانيا في عام واحد(*).

(*) الدكتور منصور فرح– الفجوة الرقمية في المجتمع العربــي وأثرهــا علــى اللغــة العربية– مجمع اللغة العربية بدمشق – المؤتمر السنوي الخامس "اللغة العربية فــي عصر المعلوماتية" دمشق ٢٠٠٦ ص٧ .

وعلى اتحاد مجامع اللغة العربية والجامعات العربية ومؤسسات الترجمة ومراكزها في الوطن العربي مسؤوليات جسام تجاه لغتهم الأم، ونقل أمهات الكتب الأجنبية العالمية والموسوعات ودوائر المعارف إلى العربية، إذ إن من مستلزمات دعم مسيرة التعريب الانفتاح على اللغات الأخرى وامتلاك ناصيتها، لأن إتقان اللغات الأجنبية إلى جانب إتقان اللغة العربية يسهم أيما إسهام في دفع مسيرة التعريب خطوات إلى الأمام.

وتجدر الإشارة إلى أن التلكؤ في تطبيق التعريب من جهة، والتسويف في هذا الإنفاذ من جهة ثانية أمر يحتاج إلى حسم وإصدار القرار السياسي اللازم، ولا مسوّغ إطلاقًا لهذا التريث وذلك التسويف!.

٤- **الحفاظ على صفاء اللغة والعمل على سيرورتها وانتشارها:** إذا كان القائد الفيتنامي "هوشه منية" يخاطب أبناء أمته قائلاً: "عليكم الحفاظ على صفاء لغتكم حفاظكم على صفاء عيونكم، حذار من أن تضعوا كلمة أجنبية في مكان بإمكانكم أن تضعوا فيه كلمة فيتنامية" فإن أبناء الأمة العربية أجدر بني البشر في الحفاظ على صفاء لغتهم الأم، لأنها لغة القرآن الكريم، والرابطة التي توحد بينهم فكرًا وقيمًا ومشاعر.

وسيرورة اللغة العربية في جميع مناحي الحياة واجب ديني وقومي، والحؤول دون استخدام العاميات في البرامج الثقافية كافة مطلب وطني وقومي، وتيسير استخدام اللغة العربية في عمليات التواصل اللغوي أمر على درجة كبيرة من الأهمية.

على الدول العربية واجب قومي نحو أبنائها في المهاجر؛ وأجيالها الناشئة حفاظًا على انتمائهم العربي وقيمهم العربية الأصيلة وشخصيتهم الحضارية من أن تذوب في المحيط الغريب.

وعلى النظم التربوية العربية أن تعمل جاهدة على غـرس الـشغف بالمطالعة في نفوس الناشئة منذ نعومة أظفارهم حتى يغدو الكتاب الـصديق الصدوق وخير جليس.

ولا بد من تشجيع الكتابة للأطفال وتخـصيص جـوائز للمبـدعين، والعمل على إيجاد برامج بديلة عن البرامج الأجنبية بالطابع العربي تزخـر بالقيم العربية وبلغة شائقة وميسرة.

ولا يغيبنَّ عن البال أن تعليم لغتنا يحتاج إلى وقفة متأنية؛ إذ لا بـد من التركيز على الجوانب الوظيفية في مناهج تعلـيم اللغـة، والبعـد عـن المماحكات والتأويلات والشذوذات والاستثناءات، وتخلـيص المنـاهج مـن الحشو والتكرار، واستخدام التقنيات المعاصرة في العملية التعليمية، التعلمية.

٥- **نشر روائع الثقافة العربية وقيمها الإنسانية:** لما كان العصر الذي نحيا تحت ظلاله هو عصر الاجتياح المادي وانحسار القيم المعنوية كان على المعنيين في أمتنا – وكلنا معنيون- أن يُعرفوا العالم بتراثنا الغني الـذي يمثل ماضيًا حيًّا؛ لأنه إنساني في أغلب مواقفه وقيمه، وهو موجه إلـى الإنسانية جمعاء، وهو تراث حي لأنه ظل ساريًا موصولاً من جيل إلـى جيل ومتغلغلاً في النفوس، وقد أعان الأمة على الـصمود، وهـو قابـل للتطور وصالح للبقاء، يقوم على أشرف ما يتميز بـه الإنـسان: عقلـه وضميره، ويدعو إلى الإخاء والعدالة والمساواة في الإنـسانية والمحبـة والسلام.

ولما كان ثمة تعتيم على قيم حـضارتنا العربيـة الإسـلامية فإننـا مطالبون في عصر التقانة والمعلوماتية بنشر ثقافتنا بكـل أنـواع الوسـائل والسبل وتعريف الآخرين بها وإزالة الضباب والتعتيم عن قيمنا الأصلية.

٦- **سيرورة التفكير العلمي والعناية بالبحث العلمي:** إن التثقيف العلمي عملية مهمة في بناء المواطن العربي بناءً سليمًا كي يكون إيجابيًّا وفعالاً في تنمية مجتمعه وتقدمه وارتقائه. والركيزة الأساسية للتثقيف العلمي هي في تربية الجيل الصاعد، وتعويده على التفكير العلمي، وتزويده بمهارات التفكير الناقد، الذي بوساطته يستطيع أن يميز بين الزيف والحقيقة، والغث والسمين، والنافع والضار، وبالمنهج العقلاني الذي يسمح له بمعالجة شؤون حياته معالجة سليمة.

ولا بد من تعميق الفهم الشعبي للقضايا العلمية والتقانية، وتوضيح دورهما الإيجابي في التنمية، ونشر المنهج العلمي في تناول شؤونهما من خلال برامج محو الأمية في وسائل الاتصال الجماهيري والإعلام.

ويجب تحرير الفكر العربي المعاصر من إرهاب الفكر الخرافي والتزمت والتعصب وضيق الأفق والأثرة وتأصيل احترام العقل والنقد الذاتي واحترام الرأي.

والعناية بالبحث العلمي هي السبيل لمعالجة قضايانا اللغوية وغيرها معالجة موضوعية، فكفانا اعتمادًا على الاجتهادات الذاتية، والخبرات الشخصية في تناول قضايانا اللغوية. إذ إن السبيل إلى معالجة المشكلات اللغوية هى المنهج التجريبي والبحوث الميدانية. واعتماد التفكير المنظومي في معالجة شؤون اللغة يسهم أيما إسهام في رصد العوامل المؤثرة، ووضع الحلول والمقترحات؛ بغية تجاوز المشكلات وسدّ الثغرات.



تعقيبات ومداخلات

على بحث

الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد



الأستاذ الدكتور محمود حافظ رئيس المجمع:

يطيب لي أن أتوجه ببالغ الشكر إلى الزميل العزيز والعالم الكبير الأستاذ الدكتور محمود السيد على هذه المحاضرة القيمة، التي قدَّم فيها دراسة علمية عرض فيها السلبيات والإيجابيات لحال اللغة العربية أمام تحديات العصر، كما وضع أيضًا الحلول للنهوض باللغة العربية، فتهنئة له على ما جادت به قريحته الوقادة بالنسبة لهذا الموضوع.

الأستاذ الدكتور سلطان أبو علي:

شكرًا جزيلاً للأستاذ المحاضر، الأستاذ الدكتور محمود السيد، فقد أورد مقترحات بناءة أرجو أن يتضمنها الإعلان الختامي للعيد الماسي، وإن لم يكن بعضها جديدًا، ففي الإعادة إفادة.

الأستاذ الدكتور صلاح فضل:

أشكر الأستاذ الدكتور محمود السيد، إنه يجمع بين الحس السياسي النابض، فإنه كان وزيرًا حتى العام الماضي فقط، وبين الحس الثقافي الحي الذي تمثله دائمًا في الشعر والتربية والثقافة، ولذلك فرؤيته إيجابية لحركة المستقبل، وبالنسبة للتحدي الرقمي فإنني أدعو إلى أمور مهمة منها: يجب تطويع برمجيات اللغة العربية والإنفاق عليها؛ لأن الشركات التجارية ليس لديها اعتمادات لخدمة اللغة العربية، إنها تعزف عن تطوير برمجيات اللغة؛ لأنها تحتاج إلى الإنفاق ولابد أن نحث حكوماتنا على الإنفاق على اللغة العربية، إن مشروع الإنترنت العربي يحتاج إلى نفقات ضخمة جدًّا لوضع كل الكتابة العربية عليه ولابد أن نقوم بدور فيه.

النقطة الأساسية أنني أدعو مجامعنا العربية إلى الكف عن طابعها السلفي المحافظ، وأن تستقطب بين علمائها علماء البرمجيات، لأنهم خير من يفيدونها في أداء رسالتها.

الأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور:

بسم الله الرحمن الرحيم، سعدنا بهذه المحاضرة وكانت سعادتنا بالغة بما وضع من مقترحات لحماية اللغة العربية، ولكننا لابد أن نذكر أن اللغة تحتاج إلى أمة تنهض بها، فلا يمكن للغة أن تنهض في أمة لا تحافظ عليها، ولديَّ عدة اقتراحات إضافة إلى ما ذكر، أكتفي منها بالاقتراح التالي: لابد من تدريس اللغة العربية في الجامعات، فالطالب بعد الثانوية العامة لا يكون له أي علاقة باللغة العربية في الكليات المتخصصة.

الأستاذ الدكتور أحمد الضبيب:

أشكر الدكتور محمود السيد على هذه المحاضرة القيمة، وبالنسبة لموضوع الانتماء فأنا أعتقد أن الانتماء هو عصب اللغة العربية، فإذا أحس الإنسان بقوة انتمائه إلى هذه الأمة فإنه لابد أن يحترم هذه اللغة ولابد أن يجدَّ في تعلمها والاعتزاز بها. وهذا يجعلنا نتوجه إلى نوعين من الناس: النوع الأول هم الأفراد الذين نقدم لهم الوعي الكامل باللغة العربية، والنوع الآخر هم أصحاب القرار. وأعتقد أن مجمعنا لديه من الوسائل التي توصلنا إلى هذا، وهذا يتصل أيضًا بموضوع التعريب في الجامعات، فإنه لن يتم إلا من خلال أصحاب القرار. وأعتقد جازمًا أن مصر العزيزة هي التي يمكن أن تقود هذا التيار، فإذا لم يعرب التعليم في مصر فلن يعرب في البلاد العربية، فمصر هي الأساس في كل شيء، أما نحن الآن فعندما ننادي يقال: هذه مصر أكبر البلاد العربية تدرس بلغة أجنبية في التعليم العام والتعليم العالي.

الأستاذ الدكتور محمد المختار ولد اباه:

ما زلت أدعو إلى التفاؤل، فاللغة العربية لغة حضارة وعلم وأدب، والمستقبل سيثبت أنها تستطيع الصمود أمام عاديات الزمان.

الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد:

التعريب موضوع مهم جدًّا، وتذكرون حضراتكم أن جمعية تعريب العلوم التي أتشرف برئاستها قد وزعت توصياتها على حضراتكم في الجلسة الأولى لعيدنا الماسي هذا، ويحسن عند معالجة قضايانا أن نأخذها واحدة واحدة حتى نستطيع أن نصل إلى الحل المرجو فيها.

وبالنسبة لقضية التعريب فإن مجمع اللغة العربية بالقاهرة عقد دورات في هذا الموضوع، وكذلك جمعية تعريب العلوم، لدرجة أننا أصبحنا نمل من الحديث عن هذا الموضوع، أما القرار السياسي فكان الرد فيه واضحًا جدًّا، فقد طلبت إلى مجمع اللغة العربية أن يكون القرار قرارًا سياسيًّا جامعيًّا بمعنى أننا نتقدم بالفكرة والدراسة التفصيلية؛ لأن الأساتذة الذين يسمعون إلى قضايانا لا يفهمونها فهمًا حقيقيًّا، وقد لخصتها في أربع كلمات أمام هذا المجمع الموقر عندما سمح لي وقلت: إنها ضرورات ملزمة، ومنافع مؤكَّدة، واعتراضات مفندة، وتسويفات مفتعلة، ولن أزيد. وكلنا يعرف ما يدور في فلك هذه الكلمات الأربع، أما عن القرار السياسي فأنا بيدي سلمت هذا الكلام لوزير التعليم العالي الأسبق الأستاذ الدكتور مفيد شهاب بناء على طلبي، وانتهى الأمر. وكنا نتمنى أن يحيل السيد الوزير هذه المذكرة بوصفه رئيسًا أعلى للجامعات إلى المجلس الأعلى للجامعات ثم يحيله المجلس الأعلى للجامعات إلى المجالس الجامعية، وسوف تستجيب هذه

المجالس الجامعية لأن هناك طلبًا، ثم بعد اتخاذ القرار يصدر المجلس الأعلى للجامعات قراره السياسي الجامعي، وعرضنا أن يبدأ قرار التعريب دفعة واحدة من السنة الأولى ثم ينتقل إلى السنة الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة، هذا كله قلناه مرارًا وتكرارًا ولكن أعتقد أن هناك سرًّا غامضًا لا أكاد أعرفه؛ كل من كلمناه آمَنَ وصَدَّقَ وقَدَّمَ لنا الشكر، ثم لا شيء. وأعتقد أن هناك نوعًا من التكاسل وعدم المبالاة في الجامعات ، لأن المعلم يقوم بجهد معين، وهم لا يريدون جهدًا، هم يريدون أن يأخذوا شيئًا جاهزًا ويعرضونه على طلابهم بلغة يفهمونها ولكنها لا تولد الإبداع والابتكار، ولا تخاطب العقل والقلب والوجدان في وقت واحد كما هو الحال في اللغة العربية التي يتحدث بها الطلاب والتي هي نسيج تفكير هذه الأمة، هذه قضية حضارية لا يقوم بعلاجها إلا الأمة فهي قضية أمة.

الأستاذ الدكتور محمود السيد:

الشكر الجزيل لجميع السادة الزملاء الذين أبدوا ملاحظاتهم، فيما يتعلق بما تفضل به وأشار إليه الدكتور عبد الحميد مدكور من مقترحات قيمة، أرجو أن نعمل بها على نطاق الساحة القومية، وينبغي أن يكون هناك تناغم بين جميع النظم الثقافية، والاجتماعية، والسياسية حتى تتحقق الأهداف المرجوة.

منذ شهرين صدر قرار في سورية من قِبل السيد رئيس الجمهورية لوضع خطة وطنية لتمكين اللغة العربية والمحافظة عليها وإتقانها، وقد شرفت برئاسة هذه اللجنة التي تضع الخطة.

فيما يتعلق بالضبط بالشكل فأنا أنظر إليه من ناحية تربوية، فإنه من الأهمية بمكان أن تكون جميع الكتب التي يطلع عليهـــا الناشـــئة مـــضبوطة بالشكل، في التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية والتربية الإسلامية وجميـــع العلوم، وبعد ذلك في المراحل العليا ما يخشى منه اللبس ينبغـــي أن يـــضبط بالشكل.

وأوافق على ما أشار إليه الدكتور محمد المختار ولد اباه في النظرة التفاؤلية، ولكن ينبغي لنا أن نستعد، تراثنا العربي يحضنا على ذلك: "اغتـــنم خمسًا قبل خمس...". وفي الحكمة الهندية "العقلاء هم الذين يرون الأحـــداث قبل وقوعها، والحمقى هم الذين لا يـــرون الأحـــداث إلا ســـاعة وقوعهـــا، والمجانين هم الذين لا يرون الأحداث حتى بعـــد وقوعهـــا" لأن التحـــديات كبيرة.

ما تفضل بالإشارة إليه الدكتور صلاح فضل في تطوير برمجيـــات اللغة العربية واستقطاب علماء البرمجيات، أقول إن الاستثمار فـــي منـــاجم العقول أفضل أنواع الاستثمار، والأمة القوية الآن هي الأمة العارفة، وهـــذه تجربة اليابان أمامنا.

فيما تفضل بالإشارة إليه الدكتور أحمد الضبيب فإن الإنـــسان كـــي يكتسب اللغة فلابد له أن يوضع في حمّام لغوي؛ فتكون اللغة محيطة به من جميع الجوانب حتى يكتسب اللغة، وهذا ما يشير إليه علماء النفس اللغوي.

أما بالنسبة لأصحاب القرار والانتماء كما أشار الأســـتاذ الـــدكتور عبد الحافظ حلمي فلو أن التعريب نفذ لما وضعت المقترح، وهنالك تسويف

وإرجاء، وصيحات تنطلق من هنا وهناك لتقول: هل اللغة العربية صالحة أو لا؟ فالمهم ألاّ يصيبنا يأس وأن تكون المتابعة هي الرائد لنا في هذا المجال:

أخلِقْ بذي الصبرِ أن يحظَى بحاجتِهِ

ومُدْمِنِ القرعِ للأبواب أن يلجا

حول ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم(*)

للأستاذ الدكتور محمد المختار ولد اباه
عضو المجمع المراسل من موريتانيا

لم تعد أي لغة اليوم تستطيع أن تعيش بمعزل عن أخواتها، ولم تعد أي ثقافة اليوم تستقل بذاتها، فعهد العولمة، وثورة التواصل والشبكة العالمية، كل هذا جعل اللغات تزدحم اليوم في برج بابلي جديد، وجعلت الثقافة تتلاطم في أمواج حضارة العصر.

ولكي تحافظ اللغة العربية على مكانتها في صراع الوجود العلمي، فمن الحتم عليها أن تقتحم غمار معركة التبادل المعرفي، ومسايرة التقدم الحضاري. والترجمة من أهم العُدد اللازمة لخوض هذه المعركة، فبواسطتها تتقدم مسيرة التعريب، وعن طريقها نستطيع أن نُعرّف العالم أصول الحضارة العربية الإسلامية، وعيون تراثها الفكري والأدبي. وعن طريقها ننقل إلى الجمهور العربي الإسلامي صورًا من روافد الفكر العالمي.

هذا مما يجعلني أقترح أن يولي المجمع الموقر عناية لنشاط الترجمة من العربية وإليها، تمشيًا مع تقاليده العريقة، وخططه الرصينة، التي رسمها وسار عليها طيلة ٧٥ سنة، والتي تمثلت في حرصه على إشراك رموز العالمية في أنشطته الثقافية، ونعيد إلى الذاكرة أنه من بين رواده الأوائل علماء من غير العرب مثل جب وماسينيون وفيشر ونلِّينو وغيرهم.

وبما أنه يستعمل طاقة متجددة في ميدان الفكر والإبداع، فقد يحق للترجمة أن تستفيد من خبرته وتجاربه، وفيما يعني اللغة العربية

(*) لم يُلق في جلسات العيد الماسي لكن تم توزيعه ضمن أوراقه.

بالخصوص، فإن المترجم منها وإليها يحتاج إلى آليات منتظمة تعمل علـــى وضع المناهج والضوابط لعملية الترجمة واعتماد الحـــوافز المُعِينـــة علـــى النهوض بها؛ مع تنسيق جهود العاملين عليهـــا، وتبـــادل المعلومـــات عـــن التجارب الجارية في هذا المجال.

ويطيب لي أن أغتنم هذه المناسبة للحديث عن تجربة خاصة حـــول ترجمة معاني القرآن الكريم.

١ – فكرة الترجمة ومبرراتها:

ظلت فكرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية تراودنـــي منذ عقود؛ ولقد كنت أدفعها عن نفسي علمًا مني أنها عمل يستحيل إنجـــازه على الوجه الأكمل لصعوبات سوف أُبينها في هذا الحديث، غيـــر أن هـــذه الفكرة لم تزل تعاودني، وتلح عليّ حتى قررت أن أحاول تربيع الدائرة. وإذا كنت لا أعرف الأسباب الخفية لهذا الإلحاح الداخلي فإن في إمكاني أن أقـــدم المبررات التي حملتني على خوض هذه المغامرة.

أولاً: محاولة تصحيحية:

إن من اطلع على جل ترجمات معاني القرآن إلى الفرنسية، يلاحـــظ أن بعضًا منها تضمن أغلاطًا، قد يكون بعضها من الخطأ ســـهوًا أو ســـوء الفهم، وقد تكون متعمدة، مثل ما فعل شواركي في ترجمـــة قولـــه تعـــالى: ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ (الأنفال /٧٢)، فإنه لم يترجم الجزء الأخير من الآية، ومثل ما فعل روجيـــه بلاشير في إقحامه للآيات الشيطانية المعروفة التي أدرجها في سورة الـــنجم

بعد قوله تعالى:﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ (النجم/٢٠) وهي: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، دون أن يبين في هوامشه الكثيرة أن لا علاقة لها بالقرآن الكريم، وإنما هي من وحي الشيطان مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾. (الحج/٥٢).

ويذكر ابلاشير في مقدمته حول القرآن أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتاد أن يحذف من النص القرآني بعض الآيات، وذكر منها أسطورة الغرانيق وكل هذا يستغرب من مستشرق متخصص في الدراسات القرآنية، مدركًا لمناهج المترجمين ومقاصدهم. وهو الذي يعترف أن أول ترجمة لمعاني القرآن إلى اللاتينية هي التي أعدها القس بطرس المبجل Pierre le Vénérable حوالي سنة ١١٤١، في الحروب الصليبية. وقد قام بها ريموند الطليطلي Raymond de Tolide، والإنجليزي روبرت دي ترديني، وكانت موجهة إلى القديس برنار، لتزويده بالحجج في محاربة الإسلام. وقد ظلت هذه الترجمة سائدة طيلة خمسة قرون في الغرب. وفي سنة ١٦٣٠م ظهرت أيضًا ترجمة جديدة إلى اللاتينية لفرنسي يدعى أندري دي رير، وهو متخصص في اللغة التركية، ومعرفته باللغة العربية محدودة، ولكن كان لترجمته انتشار واسع في أوربا، ويقول بلاشير إن مثقفي الغرب استقوا منها جل معلوماتهم عن القرآن، وعن الإسلام، على ما فيها من نواقص ومتابعة هدف الطعن في الإسلام.

ويذكر ابلاشير أن أول محاولة لتفهم الدين الإسلامي وقعت سنة ١٧٠٥ على يد مترجم اسمه رالاند Raland، الذي دافع عن الإسلام بتشجيع من الكونت دي بولنفيليي Le Conte de Boulainvillier ، ويعيب عليهما ابلاشير أنهما كانا متطرفين في هذا الدفاع؛ وذكر أن الذي قدم عرضًا موضوعيًّا عن القرآن في هذه الفترة هو ج. سال J.Sale في كتاب "مقدمات الخطاب"، ثم تحدث عن ترجمة كلود سافري، ووصفها بالسطحية.

كما وجَّه انتقادًا شديدًا لجميع المترجمين، وقال إنهم لم يحترموا شعور القراء، فقدموا لهم أعمالاً مملة، وغير متناسقة، لا يمكن أن تعطي صورة صادقة عن حيوية القرآن، وقد يكون ابلاشير صادقًا في هذا القول، لكن لن نتفق معه حينما يقول إن التقديم الصحيح لنص القرآن لا يتأتى دون إعادة ترتيبه حسب تاريخ النزول، مثل ما فعل هو.

ولم يكن ابلاشير يدرك أن القرآن ليس كتاب تاريخ يقدم حوادث السنين حسب ترتيبها الزمني، ولا مدونة قوانين تنظيم الأحكام في فصول وبنود، ولا كتاب علوم مصنفة في أبواب، إنما هو وحي نزل به جبريل الأمين على قلب محمد الأمين، ليهدي الله به المؤمنين إلى التي هي أقوم ليفعلوا الخير لعلهم يفلحون، ويتعاونوا على البر والتقوى، ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان؛ أنزله الله لينير به فؤاد رسوله وأنزله على مكث في مناسبات عُرفت بأسباب النزول، وأجمعت الأمة على احترام ترتيبه التوقيفي، ولن يفلح قوم يحاولون المس بقداسة نصه، ومحاولة إعادة تنظيمه أو مقارنته



بالكتب التي حرفها من استحفظ عليها من البشر، لأن الحق سبحانه تولى بنفسه حفظه، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(الحجر/٩).

ثانيًا: محاولة توضيحية وتبليغية:

إن الهدف الأول لي هو الإسهام في تبليغ الخطاب الإسلامي إلى الناطقين باللغة الفرنسية، آملا أن أقرب قلوب الناس وعقولهم إلى تفهم محتويات معاني هذا الكتاب الإلهي، ومعرفة مضامين الرسالة النبوية المنزلة في القرآن الكريم.

واعتبارًا أن الترجمة نوع من التفسير، فلا ريب أن القرآن - لما يتضمن من وفرة المعاني وتنوع في التعبير - يتحمل أكثر من تفسير، وهذا ما يوضحه كثرة التفاسير وتنوع مقاصدها ومناهجها، كما يتحمل أكثر من ترجمة، وقد صدرت منها العشرات إلى الفرنسية قبلنا، ولن تكون ترجمتنا هي الأخيرة.

٢- الصعوبات العامة التي تعترض المترجم عمومًا، ومترجم معاني القرآن خصوصًا:

أ- المشكل اللغوي ومعادلة الترجمة:

من نظريات اللسانيين قولهم إن اللغة كائن حي مثل سائر الأحياء يخلق في أرحام الشعوب، وتنمو وتشيّخ، وقد تكون عرضة للفناء.

وقد استدلوا على هذه النظرية بدليلين أحدهما أن الطفل لا يتعلم اللغة وإنما تنشأ معه، وتتنامى في ذهنه، والثاني أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ المعجمية، ولا منظومة من القواعد النحوية، وإنما هي ملكة ذاتية من خصائص كل فرد، مرتبطة بكيانه الاجتماعي والحضاري.

وعليه، فإن مهمة المترجم أن يبادل بين لغتين فيأخذ عضوًا من أحد الكائنين ليضعه في مكان الآخر، وهذا الاستبدال يصعب عندما تختلف القوالب المتاحة. فمن أراد استبدال يد بيد مثلاً فإنه سيدرك أنهما قد تختلفان في الحجم والخصائص، ولكل أصابع يد بصمات فريدة، لا توجد في سواها، وهذا يدل على وجود عناصر غير قابلة للاستبدال.

ب- ارتباط اللغة بالتصورات الحضارية:

ومن خصائص اللغة ارتباطها بالتصور الحضاري لكل أمة، ومن أمثلة ذلك اختلاف المدلولات حتى في الحسيات، كالشمس والقمر والظل، فالشمس قد تكون محرقة، يخاف المرء من ضرباتها، ويقول ابن قتيبة: إن الإمام عليًا رأى إنسانًا يتأمل في الشمس فقال له: قم فإنها مبخرة تقفل الريح وتبلي الثوب وتظهر الداء؛ وقد تكون الشمس أيضًا دافئة منعشة. والقمر قد يكون نورًا جميلاً يتغنى به الشعراء، أو جِرْمًا عاديًا يراقبه الفلكيون. والظل قد يكون ظليلاً وحينئذٍ يقابله "الحرور"، ومن حسنات الظل ما يقوله الشاعر:

يذودُ الشمسَ أنَّى قابلَتْنا   فيحجبُها ويأذَنُ للنسيم

وقد يكون ظلمة تخفي الحقائق ويقابله النور، ويقول الحق سبحانه: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ ﴾.

فهذه الخصائص تعتبر بصمات لكل لغة، وتبرهن أن في كل لغة عناصر لا يستطيع أحد نقلها إلى لغة أخرى.

ج- العلاقة بين لغتين:

فالعمل في الترجمة يشبه معادلة ثلاثية الأبعاد، لأنها المُعَيَّــر الأول، صاحب اللغة الأصلية، والناقل إلى اللغة الثانية، والمتلقي يفهم معنى اللغـة الأولى عبر الثانية. ولحلّ هذه المعادلة لابد من تحليل المعطيـات المتعـددة اعتبارًا لما اصطلح عليه بِصلة الألفاظ بالمعاني وما لها من حالات متنوعة. إذ قد يكون المعنى واضحًا، وقد يكون التعبير عنه صحيحًا أو خطـأً، وقـد يكون المعنى غامضًا، والتعبير عنه يكون غامضًا مثله.

وأعتقد أن بإمكان المتخصصين في المنطق الرياضي أن يوضحوا هذه المعادلة في بيان تمثيلي لهذه الحالات، واستخلاص الأشكال المنتجة.

أما فيما يخص ترجمة القرآن الكريم فإنها قد تزيد بعدًا رابعًا، وتعتريها صعوبات خاصة.

د- الصعوبات الخاصة بترجمة القرآن الكريم، ومنها:

أ: استحالة ترجمة النص القرآني وأسلوبه الإعجازي:

إن من خصائص اللغة أن مادتها قد تتحـول إلـى فـن، وكمـا أن الأصوات عندما يتم انتقاء أنواع منها، في تركيبة خاصة تتحول إلـى قطـع موسيقية، فكذلك كلمات اللغة، فقد ينتقيها المبدع، فتكون تارة شعرًا، أو نثـرًا فنيًا، أو نصًّا قرآنيًّا معجزًا، وقد يستطيع المترجم محاولـة ترجمـة الـشعر بالشعر، والنثر الفني بنثر من نوعه، ولكن يستحيل عليه أن يتـرجم نـصًّا قرآنيًّا بمثله.

فلأساليب القرآن الفنية خصائص لا يمكن لأي مترجم أن ينقلها مـن لغة القرآن إلى لغة أخرى، يقول الأستاذ مصطفى القصري: "فلنفتـرض أن

مهرة المترجمين استطاعوا تقديم مدلولات المعاني القرآنية، ولكن كيف لهم أن ينقلوا تجانس نغمات الإيقاعات، وأوزان الإبداع، وأجراس ألفاظه، وقوة أساليب الآيات التي تتعالى كالأمواج العارمة، والتي يغمر المرء تيارها فتدفعه إلى ما لا يعهد من الدوران إلى المجهول ثم تسمو به إلى الدرجات العليا فيشعر أنه لم يعد كما كان، إنه صار أسعد مما كان، مثلما يعود النحل من حقول الأزهار وقد تضلع من رحيقها".

ب- محاولة ترجمة المعاني:

أما ترجمة المعاني فإنها تبدأ أولاً بالتأكد من معرفة مدلول الألفاظ، وهذا أمر ليس سهلاً بالنسبة للقرآن الكريم الذي لا تحصى معانيه ولا تنفد كلماته مصداقًا لقوله جل وعلا: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾. ويقول عنه الإمام علي ابن أبي طالب إنه حمّال لوجوه، وقد كان أكابر الصحابة يترددون في تفسيره، ويقتصرون على ما علمهم النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، فقد روي أن الصديق أبا بكر سئل عن الأبّ في قوله تعالى ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾، فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله برأيي أو كما قال. وأول من اشتهر بالتفسير من الصحابة هو حبر القرآن الإمام عليّ الذي دعا له النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله: اللهم علمه الحكمة بالتأويل.

وقد أولى الأصوليون عناية خاصة لقواعد معرفة مدلول آيات الكتاب وقسموها إلى أربعة أقسام، وهي: المحكم، والظاهر، والمجمل، والمتشابه.

أولاً- المتشابه: وهو الذي استأثر الله بعلمه أو خص به الراسخين في العلم حسب موضع الوقف من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ [آل عمران/ ٧].

ومن المتشابه الذي تستحيل ترجمته الأحرف الموجودة في فواتح بعض السور، وهي في الحقيقة من أسرار القرآن الإعجازية.

ومنه أيضًا ما يمكن أن يطلق عليه "شبه المتشابه" وهو في رأيي يتمثل فيما يعرف بالصفات الخبرية، وهي محل خلاف بين علماء أصول الدين هل يمكن تأويلها وبالتالي ترجمتها أو يجب أن يفوض أمرها إلى الباري سبحانه وتعالى.

ومن فروعها بعض الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم مثل: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ﴾ (آل عمران/٥٤)، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ (النساء/١٤٢)، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (التوبة/٦٧).

ونقل هذه التعابير إلى لغة غير عربية لا يعرف أهلها أسلوب المشاكلة من وجوه البلاغة، قد يسقط المترجمين في تعابير حرفية مستحيلة في حق الباري سبحانه، فالله منزه عن المكر السَّيِّء، وغني عن الخداع، وهو لا يضل ولا ينسى، وله المثل الأعلى.

وكان لابد في ترجمة هذا النوع من الآيات من اعتبار الرد بعدم اعتناء الله جلَّ وعلا بمن لا عناية له بلقاء الله يوم الحشر وبمعاقبة المذنب بمثل ما عمل.

ثانيًا- المحكم: هو ما اتضح معناه عند العلماء، وكانت دلالة ألفاظه قطعية، لا تحتمل في اللغة إلا معنى واحدًا، وعادة ما يمثل له الأصـــوليون بقوله تعالى: ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾، فلا مجال في الشك أن ثلاثة وســبعة تساوي عشرة، والذي يبقى على المترجم في هذا النوع هو وجــود الألفــاظ المناسبة في لغة الترجمة.

وهذا ما يدخل في مشكلة الصعوبات العامة اللغويـــة التـــي ســبقت الإشارة إليها، والملاحظ أن في القرآن الكريم مصطلحات دينيـــة لـــم تكـــن معهودة عند الفرنسيين فلذلك يصعب نقلها.

ثالثًا- الظاهر: وهو اللفظ الذي يحتمل معنيين قد يكون أظهــر فـــي أحدهما وأنواعه كثيرة، ونذكر من أمثلته ما روي أن أحد الصحابة كان يربط في ذراعه خيطين أحدهما أبيض والثاني أسود، لمعرفة وقت الإمــساك فـــي الصوم، امتثالاً لما ورد في قوله تعـــالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ﴾، ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم بفعله هذا، قال له: إنك لعريض القفا، إنما هو سواد الليل وبياض الفجــر أو كمـــا قال.

رابعًا- المجمل: وهو ما احتمل أكثر من معنى، وهو يتضمن عـــدة أنواع، منها:

***مسألة الوقف والابتداء:** لقد كتب القرآن خاليًـــا مـــن علامـــات الوقـــف، والمعروف أن مواضع الوقف لها تأثير على المعنى، فحينما نقرأ قوله تعالى:

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾، نلاحظ أن القراء يقفون على "لا ريب"، أو على "لا ريب فيه"، لكنهم يمنعون الوقف عليهما معًا في قراءة واحدة، ويسمونه بالتعانق وهم بذلك يشيرون إلى اختلاف المعنى؛ فالوقف الأول يدل على أنه لا ريب أنه الكتاب المنزل، وأنه يتضمن الهدى للمتقين، والثاني يعني أنه لا ريب فيه، وأنه هدى للمتقين.

وأهمية الوقف عند المترجم في معرفة انتهاء الجملة في اللغات التي اعتمدت علامات الفصل والوصل، وبالنسبة للقرآن الكريم، فإن الأئمة عنُوا بمشكلة الوقوف، وأفردوا لها مصنفات خاصة مثل كتاب أبي عمرو الداني في الوقف والابتداء، كما كانت محل خلاف عند القراء المغاربة، ومن أشهر مظاهر هذا الخلاف ما ثار حوله ما يعرف بالوقف الهبطي.

* **مشكلة عود الضمائر:** ومن أمثلتها في آية الكرسيّ يقول الله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ من هم هنا المعنيون بهذا الخطاب؟ أكثر المفسرين يتأولونها بالكائنات عمومًا، ولكن القرائن قد تدل على أن المعنيين هنا هم الملائكة؛ ذلك أن هذه العبارات وردت ثلاث مرات في غير البقرة، وذلك في الآيات التالية:

﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ۝١٠٩ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه/ ١٠٩-١١٠].

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ﴾ [الأنبياء/٢٦-٢٨].

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الحج/٧٥-٧٦].

فهذه الآيات الكريمة التي نزلت قبل البقرة أوضحت علاقة المشركين بالملائكة فقالوا إنهم "بنات الرحمن"، فرد الله عليهم بالآية الأولى المذكورة في سورة طه، وادعــوا أنهم يعبدونهم، فقــال الحق سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾. (سبأ/ ٤٠ : ٤٢)

وفي جميع هذه الآيات يرد القول إن الملائكة لا يشفعون إلا بإذن الله تعالى ورضاه. وفي بعضها أنهم لا يحيطون بعلمه، وفيها كذلك أنه يعلم مـــا بين أيديهم وما خلفهم. واستحضار ما نزل قبل آية الكرسي، يعتبر دليلاً على أن الملائكة هم المعنيون فيها، ومع ذلك فقد آثرنا بيان ذلك في الهامش دون إدراجه في أصل الترجمة مراعاة للعموم الوارد في التفاسير.

٣- المنهج المعتمد في هذه الترجمـــة يتــضمن مجموعـــة مـــن الضوابط، نذكر منها:

أ- استعمال لغة عصرية: اختيار لغة عــصرية مقبولـــة المــستوى وواضحة لجمهور القراء، وهذا من تحديات الترجمة التي ترمي إلـــى نقــل

معاني لغة خالدة إلى لغة متطورة، ذلك أن اللغة العربيـة احتمـت بظـلال القرآن، فسلمت من أمراض الشيخوخة وعوادي الزمن، فإنا نفهم اليوم شعر الجاهليين الذي مر عليهم نحو من عشرين قرنًا، وبالمقارنة مع اللغة الفرنسية فإن النصوص المكتوبة في عهد شرلمان، أي في القرن الرابع الهجري لـم تعد مفهومة لدى الفرنسيين اليوم.

ب- التقيد بالتفاسير المعتمدة: ذلك أن مشكلة المترجمين من غيـر العرب قد تكمن أساسًا في عدم التمكن من فهم غوامض اللغة، فقد رأيت من ذلك أن كثيرًا منهم يترجم كلمة "أصبح" بمعنى ما وقعه عند الصبح، وهي قد تأتي لهذا المعنى، ولكنها في بعض المواضع تجيء بمعنى "صـار"، مثـل "أمسى"، من ذلك قول النابغة:

أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا   أخنى عليها الذي أخنى على لبد

ولكني اكتشفت أن من بين الناطقين بالعربية من يقرأ النص فيتبادر في ذهنه فهم خاطئ نتيجة اعتقاده بوضوح المعنى، وأذكر أن هذا حصل لي في حالتين:

ففي سورة يوسف يقول الحق سبحانه، على لسان يوسـف:﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ ﴾ جوابًا علـى قـول المـسجونَيْن ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ﴾، فتكرار كلمة "تأويل" أوهمني أن معناها واحد في الآيتين، وهـذا غير ما قاله المفسرون، فكلمة "تأويله" ترجع إلى الطعام وليس إلى الرؤيا.

الموضع الثاني في سورة التكاثر في قوله تعـالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ﴾، فقد خُيل إليَّ أن في الآية جـواب

شرط هو "لترون الجحيم" بدلالة اللام عليه، لكن المفسرين أوردوا أن الجواب محذوف، وعند التفكير في الآية اتضح لي أن رأيهم هو الصحيح.

وهذه الغوامض قد جعلتني أكثر تحفظًا وتقييدا بتفسير الأئمة المعتمدين، حذرًا مما قد يعتبر تفسيرًا بالرأي أو اجتهادًا خاطئًا، وإن كنت تمسكت بفهمي لبعض المعاني في توجيه قد يخالف بعض علماء اللغة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾، فقد اعتبرت "أعمى" الثانية من باب "أفعل" التفضيل، مع العلم أن نحاة البصرة لا يجيزون هذه الصفة، واستندت في هذا التوجه على حجتين: إحداهما سياق العطف الذي ورد في الآية الكريمة، ولا خلاف في أن "أضل سبيلا" من باب "أفعل" التفضيل، الثاني أن نحاة الكوفة لا يمانعون في هذه الصيغة، وقد سبق لي أن بينت ذلك في نظم لمسائل الخلاف في كتاب "الإنصاف" لابن الأنباري، وأشرت إليه بالبيت التالي:

ومنع صوغه من البياض "أبيض" من أخت بني بياض

جـ- التعامل مع تعدد القراءات: من المعروف أن الروايات السائدة في العالم الإسلامي اليوم هي رواية ورش عن نافع المعتمدة في المغرب، ورواية حفص عن عاصم المنتشرة في المشرق وكثير من هاتين الروايتين لا تتضمن تغييرًا في المعنى، لأن أكثرها من مسائل "الأصول" كأحكام الفتح والإمالة وتحقيق الهمزة أو تسهيلها أو تفخيم الراءات واللامات فهي مسائل تتعلق بصيغ أداء التلاوة ولا تمس المعنى، لكن بعض الخلافات في "فرش

الحروف" تغير معنى الآية، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ (الزخرف/١٩)، فهذه قراءة نافع، أما عاصم فقد قرأ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ ففي هذا النوع من الخلاف، فقد تم الجمع بين الروايتين، إحداهما في متن الترجمة، والثانية في هامشها، وتم إصدار نسختين: أولاهما كانت خصصت لقراءة نافع، والثانية لقراءة عاصم.

د- بيان الناسخ والمنسوخ: وهو أمر سهل لقلة الآيات المتفق على نسخها.

هـ- بيان تكافؤ أقوال المفسرين في الهوامش: مع الحرص على التقليل منها؛ إذ قد قال أحد الكتاب إنها فضيحة المترجم.

وكلمة أخيرة عن قيمة هذه الترجمة، فإنه ليس من حق المترجم أن يبدي رأيه في عمله فإنما الكلمة للقراء. ولا شك أني أرى نوعًا من "الإجازة" على حد تعبير القدماء، في أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية قررت إدخال هذه الترجمة في موقعها في شبكة المعلوماتية برواية ورش، وأن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة اعتمدها في رواية حفص وقرر نشرها.



اليوم الثالث

(الجلسة الختامية)

١- كلمة الختام

للأستاذ الدكتور محمود حافظ

رئيس المجمع

٢- إعلان مجمع اللغة العربية

في مناسبة العيد الماسي

للأستاذ فاروق شوشة

الأمين العام للمجمع

كلمة الختام

للأستاذ الدكتور محمود حافظ رئيس المجمع

السادة العلماء، سعادتنا اليوم بالغة بهذه المحاضرات الثلاث التي خرجت من عقول هؤلاء العلماء الأفذاذ، معالي الوزير الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد، الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي، والأستاذ الدكتور محمود السيد، وإذا كانت اللغة العربية تتحدث عن نفسها فستكون اللغة العربية اليوم في سعادة غامرة بهذه الإنجازات الرائعة التي خرجت من هذه القرائح الوقّادة، بالإضافة إلى المداخلات القيمة التي زادت هذه المحاضرات ثراء ما بعده ثراء، ولا شك أن المحاضرات التي قيلت والتعقيبات عليها من الأساتذة المشاركين مفيدة جدًّا، ولذا فنحن سننشر هذه المحاضرات في عيد المجمع إن شاء الله لتكون ذخيرة بالغة القيمة بالنسبة لهذه الاحتفالية بالعيد الماسي لمجمع اللغة العربية، بالإضافة إلى المداخلات، فنحن لدينا اليوم قرابة ثمانين مداخلة شارك بها السادة العلماء، وهذه حصيلة عظيمة وبالغة القيمة، أضافت إلى المحاضرات التي قيلت إضافة بالغة القيمة، ولذا أشكر السادة العلماء الذين شرفوا هذه الاحتفالية التاريخية، فهذه الأيام الثلاثة مشهودة ستدخل التاريخ، بالإضافة إلى ما علمناه اليوم من توثيق العلاقة بين مجمع اللغة العربية وجامعة الدول العربية وجميع المجامع، وأنا أريد (ميثاقًا) بحيث يربط المجامع اللغوية بالجامعة العربية، حتى يكون هناك عمل مشترك تؤازره الجامعة العربية حتى يؤتي أُكله في المستقبل إن شاء الله. وأنا أقول على الرغم من الاعتداءات الصارخة أو الهجمة الشرسة على اللغة العربية أو ما

يفكر فيه اليونسكو، فإني غير متشائم أبدًا فاللغة العربية باقية إن شاء الله إلى أبد. الآبدين وإلى يوم يبعثون، وشكرًا لكم.

والآن إعلان للأستاذ فاروق شوشة يقرؤه علينا ويؤكد فيـــه مكانـــة اللغة العربية وما يمكن أن نواجه به ما يدور الآن وما يحدث بالنسبة للغـــة العربية.

الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع: لا بد من كلمة تمهيديـــة قبـــل الإعلان، وهذه الكلمة خاصة باحتفالية العيد الماسي:

أولاً: هذه الاحتفالية قُصِد بها أن تكون وقفة مع راهن المجامع اللغوية العربية وحاضرها، وأن تكون أيضًا شحنًا ونقطة انطلاق لما هو قادم مـــن عملنـــا المجمعي. والصورة واضحة لأي مُنصف حقيقي يتابع وضع اللغة العربيـــة الآن على الألسنة وعلى الأقلام ومن خلال كتابات المبدعين العـــرب، وهـــم بالألوف، فهو يرى بمقدار ما ظهرت على الصفحة من سلبيات ونقاط سوداء وعوامل تدعو إلى التردّي فإن هناك رد فعل دائمًا تمثل خلال العام الأخيـــر فقط عام ٢٠٠٦، في عشرات المؤتمرات والملتقيات والندوات، على مستوى الجامعات في كل الوطن العربي، ومع المجامع اللغوية العربية وعلى مستوى الهيئات الثقافية، وعلى مستوى جمعيات المجتمع المدني فـــي مـــصر وفـــي الإمارات وفي غيرهما من الدول العربية لكي تواجه لغتنا العربية هذا الواقع الذي شكونا جميعًا من سلبياته. الآن لدى المواطن العادي وفي العديـــد مـــن أجهزة الإعلام العربية، خاصة الصحافة، كتابات مستمرة يوميًّا تشير إلى ما آل إليه الأمر في اللغة العربية، وأنه لابد من وقفة، أين صوت المجامع؟ أين صوت الجامعات؟ أين صوت وزارات التعليم؟ هذا دليل إيجابي عظيم علـــى

أن ما نحن فيه الآن لا يعد انتكاسة، ولا هو يدعو إلى اليـأس، ولا يجعلنا نسترجع الماضي باعتباره العصر الذهبي. أنا من المـؤمنين بـأن العـصر الذهبي لأية أمة حقيقية هو مستقبلها وليس الماضي، المستقبل الذي نعمل من أجله، هو عصرنا الذهبي الحقيقي وينبغي أن نكون أكفاءً له، وإلا كنا نـسير وأعيُننا ورؤوسُنا معصوبة إلى الوراء.

الأمر الثاني: في كثير من الحالات يحس الإنسان العربـي، نتيجـة لهجمـة الفضائيات العربية، ونتيجةً لما يُقدّم في وسائل الإعلام، أن هناك مـا يـشبه المؤامرة، وهي ليست مؤامرة، هي سعي إعلامي – وأنا أتكلم الآن بوصفي إعلاميًّا – لإشراك الجماهير المستمعة والمشاهدة في مادة هذه البرامج فيمـا يُسمَّى البث المباشر. أكلِّمُك وتُكلِّمني أبدأ بالكلام في لغة صحيحة ثم أُسْتَدْرَجُ إلى لغة البوابين والشغالات والسوقة والمهنيين والحرفيين، فيتحـول سـياق اللغة في الإذاعات والتلفزيونات والفضائيات إلى عامية قاع المجتمع. البـث المباشر الذي أصبح عدوى هائلة في كـل وسـائلنا الإعلاميـة المـسموعة والمشاهدة هو المسؤول عن هذا التدني في لغة الحـوار، وعـن الابتـذال والسوقية الذي نبعت منه الأغاني، الحوار في الأفـلام، فـي المـسرحيات المعروضة، في الأغنيات التي تشغل الشباب، خاصة الفتيـات، كـل ذلـك ظواهر وأعراض لن تواجه إلا بإيماننا بالمستقبل. أنا لا أريد أن أقول ما قاله المتنبي عندما أحس أنه غريب الوجه، واليد واللسان، وكانت غربـة وجهـه بلغتنا الآن معبرًا عن فقدان الهُوية، هو بلا وجه أي بلا هوية وبلا مرجعية، وكانت غربة يده اعترافًا بفقد القدرة على الفعل واعترافًا بأنه لم يعد يملـك؛

لأنه خاوي الوفاض، وكانت غربة اللسان نتيجة ازدحام الفضاء بالرطانــات وبالعجمة وبالتردّي.

حالنا الآن، وإن كان البعض يشبهه بحال المتنبي حينما قـــال بيتـــه العظيم إلا أننا مختلفون، اجتماعُنا اليوم يقين بأن غدًا أفضل من اليوم، وتأكيدٌ بأن المجامع اللغوية العربية إذا ما أدركت أن ساعة الحسم قد اقتربت فلا بد من أن تعمل معًا، ولا بد من أن يصبح المشرق العربي، والمغرب العربـــي صوتًا واحدًا ويدًا واحدة ويقينًا واحدًا، على أن اللغة العربية لن ينصلح أمرها في مجالٍ وتبقى متخلفة في مجالات أخرى. هذا الإعلان لن يكون جديدًا على سمعكم ولكنه يركّز على النقطة الجوهرية والفاصلة التي لا بــد أن يــسعى مجمعنا وسائر المجامع العربية إلى تحقيقها؛ لأنها نقطـــة تتعلـــق بالدولـــة، وبقانون المجامع، وبالإلزام، وبالسلطة، وبالمرجعية، وأستأذنكم في قراءته:

إعلان مجمع اللغة العربية

في مناسبة عيده الماسي

(١٧ مارس – ١٩ مارس ٢٠٠٧م)

(٢٧ صفر – ٢٩ صفر ١٤٢٨هـ)

للأستاذ فاروق شوشة

الأمين العام للمجمع

في مشهد علمي ولغوي وثقافي جليل، ضم نخبة علماء العربية ومفكريها وأساتذتها ومبدعيها، من المصريين والعرب والمستعربين، هم أعضاء مجمع اللغة العربية في مصر وأعضاء المجامع العربية، العاملون والمراسلون، والخبراء المجمعيون العاكفون على قضايا اللغة والعلم، وممثلو الجامعات والمؤسسات والهيئات المتصلة بأمور اللغة العربية، والعاملة في مجالاتها المختلفة، والمشاركون في الجمعيات اللغوية التي تؤكد اهتمام المجتمع المدني ومبادراته – في هذا المشهد الجليل جاء احتفال مجمع اللغة العربية في مصر بعيده الماسي، وبلوغه الخامسة والسبعين من عمره الحافل بالعطاء والإنجاز. وجاءت هذه المشاركة المصرية والعربية والدولية تقديرًا للدور الذي قام به هذا المجمع في خدمة قضايا اللغة العربية، والعمل على صيانتها والمحافظة عليها، وتيسيرها وتطويرها، وجعلها مواكبةً لروح العصر، قادرةً على الوفاء باحتياجاته ومطالبه، متسعةً لمجالات المعرفة الشاملة والمتسارعة بلا حدود، باعتبار هذه اللغة وعاءً لتراثنا وثقافتنا وذخيرةً لمكتنزاتنا وتجليات إبداعنا، وآلةً لإنتاجنا المعرفي قديمه وحديثه،

ومنطلقًا لطموحاتنا ومواجهتنا للتحديات التي يفرضها علينـــا واقـــع عربـــي وعالمي جديد، لا بد فيه من تأكيد الهوية وترسيخ القدم والأخذ بأسباب التقدم ووسائله، والإسهام فيه – كما أسهمنا عبر التاريخ – عندما كانت العربية لغة العولمة، وجامعة الثقافات، ولسان الشعوب، والحضارة العربية تنتظم العـــالم كله من مشرقه إلى مغربه، سلامًا وتنويرًا وهداية، وصياغة للعقل والوجدان، ونشرًا لقيم الحياة والعمران.

إن مجمع اللغة العربية، وهو يعي دوره كأعظم ما يكـــون الـــوعي ويقدر مسؤوليته كأكبر ما يكون التقدير، يتطلع اليوم إلـــى صـــياغة جديـــدة لقانون عمله ووجوده، واعترافًا حاسمًا من الدولة ومؤسساتها بفاعليـــة دوره وأبعاد مسؤوليته، باعتباره مرجعية لغوية، في كل ما يتصل بقـــضايا اللغـــة العربية، في التعليم والإعلام والثقافة، لتصبح قراراته ملزمة وحاكمة، مـــن منطلق هذه السلطة اللغوية التي يضمنها ويحققها له قانون جديد، يجيء بمثابة استعادة وتأكيد لمرسوم إنشاء هذا المجمع عندما كان مجمعـــا ملكيًـــا للغـــة العربية والصادر في الثالث عشر من ديسمبر عام ١٩٣٢م، والذي كان ينص في مادته السابعة عشرة على أن تتخذ وزارة المعارف العمومية كل الوسائل التي تكفل اتباع قرارات المجمع في أمر اللغة العربية وألفاظها وتراكيبهـــا، وذلك بإذاعتها إذاعة واسعة، وباستعمالها بوجه خاص في مصالح الحكومـــة وفي التعليم، والكتب المدرسية المقررة.

هكذا جاء مرسوم إنشاء المجمع، مرتبطًـــا بمـــسؤولياته وواجباتـــه التنفيذية، وملزمًا لوزارة المعارف العمومية – التي كان يتبعها المجمع عنـــد إنشائه – بتنفيذ قراراته في أمر اللغة العربية، وهو الأمر الذي يرى المجمع

الآن ضرورة استعادته وتأكيده، بأن يعاد النظر في الصيغة الحالية لقانونــه، ليستعيد سلطته التنفيذية، ومرجعيته فيما يتصل بأمور اللغة وقضاياها.

لقد صمت المجمع طويلاً أمام هجمات عديدة وانتقادات كثيرة تهدف إلى الانتقاص من قدره وهيبته، كثير منها كان يصدر عن غرض أو هوًى، والقليل منها كان موضوعيًّا يتغيا الحقيقة ويسعى إلى جلاء الموقف، ظنًّا من أصحاب هذا النقد وهذا الهجوم أن المجمع يتقاعس عن المشاركة في السجال اللغوي، وعن أن يكون له دور بارز ورأي مسموع في كل ما يجري ويحدث من حولنا والظواهر السلبية تتفاقم وتتعاظم: ضعفًا في مناهج تعليم العربيــة وانهيارًا في مستوى المتعلمين في المدارس والجامعات، وشيوعًا للأخطــاء الفادحة على الألسنة والأقلام في وسائل الإعلام وغيرها، وانتشارًا للأســماء الأجنبية التي أسرف الناس في إطلاقها على كل ما حولنا ونعيش فيــه، دون أن يجدوا من يردهم بالقانون وبالوعي عن هذه الممارسات الخاطئة التي من شأنها القضاء على الهوية وتشويه صورة الوطن. في الوقت الذي أتيح فيــه لعدد من المجامع اللغوية في عدد من البلاد العربية سلطة القــرار وفاعليــة تنفيذه، وسلطة مواجهة كل ما يسيء إلى الناس في لغتهم وفي واقع حيــاتهم المتصل بهذه اللغة.

إن مجمع اللغة العربية وهو يقدم الشكر الجزيل للرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية على تفضله برعاية احتفالنا بالعيد الماسي، ولجامعة الدول العربية التي احتضنت هذا الاحتفال، وكانت بحق بيتًا للعرب في أمور لغتهم وثقافتهم وحياتهم والتي أعلنت عن مؤازرتها لجهود المجامع اللغويــة

العربية في الحفاظ على العربية والعمل على تطويرها وجعلها موائمة للعصر يطلب من الدولة، ومن مجلسيها التشريعيين: الشعب والشورى، الموافقة على تعديل قانون المجمع، بحيث تتضمن صيغته الجديدة المقترحة استعادة المجمع لدوره الغائب الذي نص عليه مرسوم إنشائه، وسلطته اللغوية التي يجب أن تكون له في كل ما يتصل باللغة العربية وقضاياها، استكمالاً لما في المجتمع من سلطات تنفيذية وتشريعية وقضائية.

إن حاضر المجمع ومستقبله وازدهاره مرهون بتحقيق هذا المطلب، والاستجابة السريعة له، ونحن نطرحه ونطالب به في مناسبة العيد الماسي. وإلا فإن الحال سيظل على ما هو عليه. السلبيات في واقعنا اللغوي تتعاظم، والمجمع مكتوف اليدين، دون أن تكون قراراته ملزمة للآخرين.

والأمل معقود، على أن تكون مسيرة المجمع في سنواته القادمة أكثر اكتمالاً وقدرة وعزيمة، ووفاء بما هو مطلوب منه من عمل وإنجاز، بفضل مؤازرة الدولة ودعمها، والتفاف هذا الحشد العلمي من حوله، وتعظيم جهده في إطار تكامله مع الجهد المجمعي العربي المشترك، المتمثل في اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، وفي ذخيرة الأمة من العلماء والمفكرين والمبدعين والباحثين.

والشكر الموفور لكم جميعًا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،



خـاتمـة

وفي اليوم الثالث والعشرين من مارس عام ٢٠٠٨ م تحقق ما كان المجمع يصبو إليه . لقد أقر مجلس الشعب اقتراحًا بمشروع قانون - تقدمت به لجنة التعليم بالمجلس - بتعديل بعض أحكام القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٨٢ م بإصدار قانون إعادة تنظيم مجمع اللغة العربية .

وهذا هو نص القانون الذي أصدره مجلس الشعب في هذا اليوم التاريخي - بالنسبة للمجمع - والذي ينتقل به المجمع إلى عهد جديد يتحمل فيه مسؤوليته عن اللغة العربية ، ويمارس مهمته التي نص عليها القانون :

نص القانون

باسم الشعب

رئيس الجمهورية

قرر مجلس الشعب القانون الآتي نصه ، وقد أصدرناه :

(المادة الأولى)

يستبدل بالبند (ز) من المادة (٣) من القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٨٢ بإصدار قانون إعادة تنظيم مجمع اللغة العربية ، النص الآتي :

مادة ٣ : وسائل المجمع لتحقيق أغراضه هي :

(أ) - تلتزم دور التعليم والجهات المشرفة على الخدمات الثقافية والوزارات والهيئات العامة ووحدات الإدارة المحلية وغيرها من الجهات الخاضعة لإشراف الجهات المشار إليها بتنفيذ ما يصدره المجمع من قرارات لخدمة سلامة اللغة العربية ،



وتيسير تعميمها وانتشارها وتطوير وسائل تعليمها وتعلمها ، وضبط نطقها الصحيح ، وتوحيد ما فيها من مصطلحات ، وإحلالها محل التسميات الأجنبية الشائعة في المجتمع ، على أن يصدر بها قرار من الوزير المختص ينشر فى الوقائع المصرية ، ويقوم المجمع من خلال لجانه النوعية المختصة بتحقيق هذا الدور ، وتذليل أية صعوبات تواجهه ، ومتابعة تنفيذه وتقييم مستوى الأداء فيه .

ويعتبر هذا الالتزام أحد الواجبات العامة الملقاة على العاملين كل فى حدود اختصاصتهم ، ويترتب على مخالفة هذا الالتزام انعقاد المسؤولية التأديبية للمخالف .

وينشأ مكتب بمجمع اللغة العربية لتلقي الشكاوى بشأن المخالفات التي ترد على هذا الالتزام ، وتحقيقها ، ويقوم المجمع بإعلان تقرير سنوي عن حالة اللغة العربية ، وما تتعرض له قراراته من مخالفات".

(المادة الثانية)

ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ، ويعمل به من اليوم التالي لتاريخ نشره،

يبصم هذا القانون بخاتم الدولة ، وينفذ كقانون من قوانينها .

الشكر موصول - باسم المجمع - إلى مجلس الشعب ورئيسه الموقر فقيه القانون الأستاذ الدكتور أحمد فتحى سرور والى رئيس لجنة التعليم الأستاذ الدكتور شريف عمر .

صور تذكارية بمناسبة الاحتفال بالعيد الماسي للمجمع المنعقد بالقاعة الكبرى بمبنى جامعة الدول العربية في المدة من ١٧ – ١٩ مارس سنة ٢٠٠٧م.



الدكتور محمود حافظ رئيس المجمع ، وإلى يمينه الدكتور كمال بشر نائب رئيس المجمع ، وإلى يساره الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع .



الجالســون: الدكتور محمود حافظ رئيس المجمع وإلى يمينه الســفير محمد الخمليــشي الأميــن العام المســاعد لجــامعة الــدول العربية.

الواقفون: من اليمين الدكتور ناصر الدين الأسد عضو المجمع من الأردن، وإلى يمينــه الــدكتــور إحســان الدين أوغلي عضو المجمع المراســل من تركيا والدكتور هاني هلال وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي.



الدكتــور محمود حافظ رئيس المجمع، والدكتور هاني هلال وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي، وهما يرفعان صورة الطابع التذكاري للمجمع بمناســبة الاحتفال بالعيد الماسي للمجمع ، وإلى يسارهما الدكتور إحسان الديــن أوغــلي عضــو المجمــع المراســل مــن تركيــا .



الدكتور محمود حافظ رئيس المجمع والدكتور هاني هلال وزير التـــعليم العالي والدولة للبحث العلمي والأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع يكرمون اسم الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع الأسبق ويتســـلم درع المجمع ابنه الدكتور محمد إبراهيم مدكور.



الدكتور محمود حافظ رئيس المجمع والأستاذ الدكتور هاني هلال وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي يكرمان اسم الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع السابق وتتسلم درع المجمع كريمته الدكتورة رندا شوقي ضيف .



الجلسة الافتتاحية للاحتفال بالعيد الماسي للمجمع

بمبنى جـامعة الـدول العـربية .



إهداءات تذكارية لمجمع اللغة العربية في عيده الماسي .



الدكتور عبد الحافظ حلمي عضو المجمع، وإلى يمينه الدكتور هيثم الخياط

عضو المجمع من سورية والدكتور عبده الراجحي

والأستاذ مصطفى حجازي عضوا المجمع .



الدكتور أحمد بن محمد الضبيب عضو المجمع من السعودية،

وإلــى يمينــه الدكتور ســلطان أبو علي عضو المجمــع.



الدكتور محمد إحسان النص عضو المجمع من سورية وإلى يساره الدكتور عـوض بن حمـد القـوزي العضو المراسل من السعودية ويجلس خلفهما الـدكتور صادق عبد الله أبـو سـليمان العضـو المراسل من فلسـطين.



الدكتور كمال بشر نائب رئيس المجمع، وإلى يساره الأستاذ فاروق شوشة الأمـــين العام للمجمع، و الدكتور أحمد فؤاد باشـــا عضو المجمع، والـدكتور أحمد طالب الإبراهيمـــي عضو المجمـــع من الجـــزائر.



الدكتور محمود المناوي عضو المجمع، وإلى يمينه الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة عضو المجمع من تونس ويجلس خلفهما الدكتور محمد الحمـــلاوي نائب رئيس الجمعية المصـــريـــة لتعـــريب العـــلوم.



الــدكتور أحمــد علــي الجــارم عضــو المجمــع، وإلى يساره الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع السوري وعضو المجمع ، ويجلس خلفهما الدكتور حسن البشير صديق من السودان .



الدكتور حسن الشافعي عضو المجمع، وإلى يمينه الدكتور عبد الرحمن الحـاج صالـح رئيـس مجمـع الجزائـر وعضـو المجمـع ٠



الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي عضـــو المجمع من الجزائـــر،

وإلى يمينه الدكتور محمد بن شريفة عضو المجمع من المغرب .



الدكتور صلاح فضل، وإلى يمينه الدكتور عبد الحميد مدكور،
ويجلـــس خلفهما الدكتور عطية عبـــد الســـلام عاشـــور،
وإلى يساره الدكتور محمد الأمين بسيوني أعضاء المجمع .



الدكتور كمال بشر نائب رئيس المجمع، وإلى يساره الدكتور عبد الحافظ حلمي عضو المجمع، والدكتور عوض القوزي عضو المجمع المراسل من السعودية، والأستاذ أحمد حامد حسـين مدير عام الشـؤون المالية والإدارية بالمجمع .



الدكتور شـــاندور فودور عضو المجمـــع المراسل من المجر، وإلى يمينـــه الدكتور فريد ليمهاوس عضو المجمع المراسل من هولندا، ويجلس خلفهما الدكتور علي القاسمـــي عضو المجمع المراســـل من العـــراق، وإلى يمينه الدكتورة وفاء كامل الخبيرة بلجنة اللهجـــات والبحوث اللغوية بالمجمع .



الدكتور نيقولا دوبريشان عضو المجمع المراسل من رومانيا وإلى يساره أحد السادة الضيوف، ويجلس خلفهما الدكتور محمد عطية زمزم الخبير بالمجمـــع، وإلى يساره الدكتور فريد عبد العزيز طلبة الخبير بالمجمع .



الدكتور علي الصادق حسنين نائب أمين مجمع اللغة العربية بليبيا، وإلى يساره الأستاذ خالد الفتحلي المدير الإداري للمجمع الليبي ويجلس خلفهما الدكتـــور عبـــد الحـــافـــظ حلمـــي عضـــو المجمـــع وأحـــد الضيـــوف.



الدكتور عبد الله يوســف الغنيم عضو المجمع المراسل من الكــويت

وإلى يساره الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي الأمين العام لمركز

تعريــب العلــوم الصحيــة بدولــة الكــويت.



الدكتور يوسف عز الدين عضو المجمع من العراق، وإلى يساره الدكتور محمد المختار ولد أباه عضو المجمع المراسل من موريتانيا.



الأســتاذ طاهر أبو زيد الرئيــس التنفيــذي لجمعية حماة اللغة العربية

وإلى يمينه المستشار فؤاد فهمي الأمين العــام لجمعية حماة اللغة العربية .